الصور الذهنية والإعلامية

عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير

د. أيمن منصور ندا

كيف يرانا الغرب؟



المدينة برس
طباعة - نشر - تسويق إعلامي

الصور الذهنية والإعلامية

عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير

كيف يرانا الغرب ؟

د. أيمن منصور ندا
كلية الإعلام - جامعة القاهرة

٢٠٠٤

المدينة برس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)
فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ
اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾

صدق الله العظيم

(آل عمران : ١٧٣-١٧٤)

إهــــــــداء

إلى أبي (رحمه الله) ..

الذي رسم صورةً لـ " غَدٍ "

أبَى الدهرُ أن يراها تكتمل ،

وقضى أن تظلَ ناقصةً برحيله

قائمة المحتويات

الباب الثانى : الصورة الإعلامية والقرار السياسى :
التكوين والعلاقات المتبادلة

الباب الثالث : صورة العرب والمسلمين فى العقل الغربى واستراتيجيات تغييرها

المقدمة

لعــلّ تاريخ البحث فى العلوم الاجتماعية لم يشهد موضوعاً بحثياً اختلف الباحثون حول كلّ أبعاده وجوانبه مثل موضوع الصورة ؛ فقد اختلف الباحثون حول بنية المصطلح ومدى ملاءمتها للموضوع ، واختلف الباحثون حول المفهوم وقدمــوا تعــريفات مخــتلفة ومتناقضة ومتضاربة له، واختلف الباحثون حول خصــائص الصورة وسماتها، وحول المنظور الأمثل لدراستها، وحول وظائفها ومهامها ومنهجية قياسها.

كذلــك ففــى الوقــت الــذى يشير فيه بعض الباحثين إلى كون الصورة "موضوعاً له أهمية متجددة" Continuous Importance وأن لها "جاذبية عقلية" Intellectual Appeal تُغــرى بدراســتها ، يشــير البعض الآخر إلى الصورة باعتــبارها "موضوعاً بحثياً مزيفاً وإلى مفهوم الصورة باعتباره "مفهوماً زائفاً False Concept لا يشير إلى شئ ولا يعبّر عن شئ!!

وتوجــد تفســيرات مــتعددة يســوقها الباحــثون لهذا "المناخ التنظيرى المضطرب" فى مجال دراسات الصورة لعلّ أهمها ما أشار إليه بولدنج (١٩٥٦) Boulding من أن الباحثين قد استبدلوا "دراسة صورة الصورة The Image of The Image بدراسة الصورة ذاتها" وهو ما أكده وورتشيل وروزجربر(١٩٩٧) Worchel & Rothgerber ، بعــد أربعــة عقود تقريباً ، عندما أشارا إلى أن "الصــورة النمطية قد تم تنميطها Stereotype has stereotyped وأننا فى أشد الحاجــة إلى تغيير هذه الصورة المنمطة عن الصورة المنمطة Changing The Stereotype of The Stereotype.

غــير أننا نرى أن السبب الحقيقى لهذا ، إضافةً إلى ما سبق ، يرجع إلى الأحكــام المطلقــة والتعميمات التى تضمنتها التعريفات الأولى للصور الذهنية والمنمطة والتى وضعها ليبمان (١٩٢٢) Lippmann وكاتز وبريلى (١٩٣٣)

Katz & Braly ومـــيس (١٩٤٣) Mace وبوخانـــان وكانـــتريل (١٩٥٤) Buchanan & Cantril وغيرهم ، إذ وجهت هذه التعريفات الدراسات اللاحقة إلى دراسة خصائص معينة للصورة واعتبارها حقائق أو مسلمات تم التأكد من صحتها والتحقق من صدقها ، ومن ثمَّ فإن معظم دراسات الصورة ، من وجهة نظـــرنا وبمصـــطلحات المـــناطقة ، تحـــتوى على " مصادرة نظرية" إذ أتت "بالنتيجة" قبل " المقدمة" ، و"بالمقدمة الصغرى" قبل "المقدمة الكبرى" وبمحاولة "الاستنباط" قبل محاولة "الاستقراء" وهكذا .

وإذا كـــان هـــذا هو الحال فى الدراسات الغربية المتصلة بالصورة ، فإن واقع الدراسات العربية يبدو أشدَّ اضطراباً وأكثر إظلاماً ، بحيث يحق لنا القول ، باقتـــناع تام ، بأن معظم باحثى الصورة العرب يدرسون واقعاً مزيفاً للصورة Pseudo أو إن شئنا الدقة يدرسون واقعا تخيلياً لها Virtual أكثر مما يدرسون واقعها الحقيقى .

علـــى هـــذا فإن المهمة الرئيسية لنا فى هذا الكتاب تنحصر فى "غربلة" أدبـــيات الصـــورة، ومـــراجعة التراث العلمى المتصل بها، وتقديم رؤية نقدية لأبعادهـــا ومجالاتها، وصولاً إلى مفهوم يمكن تحديد أبعاده بدقة، ويمكن قياسه بسهولة.

إضـــافةً إلى ذلك فإننا نسعى ، فى هذا الكتاب ، إلى تقديم نموذج عملى بـــارز للصـــور الذهنـــية والإعلامية ولتأثيراتها وهو ما يتعلق بصورة العرب والمســـلمين فـــى العقل الغربى من حيث الخصائص والسمات وعوامل التشكيل ،وانعكاساتها فى وسائل الإعلام الغربية ، مقترحين بعض الوسائل والطرق التى يمكن من خلالها تحسين هذه الصورة .

ووفق أهداف الكتاب تم تقسيمه إلى ثلاثة أبواب تحوى عشرة فصول :-

الباب الأول وعنوانه " الصورة : القضايا الإشكاليات " ويتكون من أربعة فصـــول : **الفصـــل الأول** ويتعرض للمصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالصورة الذهنـــية ، فـــى محاولة للتوصل إلى تحديد دقيق لمفهوم الصورة وإلى مصطلح أكـــثر تعبيراً عنها. ويحاول **الفصل الثانى** فحص واختبار الخصائص المنسوبة إلـــى الصورة الذهنية فى محاولة لاستبعاد الخصائص التى لا توجد أدلة بحثية تؤكدهـــا أو مـــنطق علمى يدعمها ويبرر وجودها . ويركز **الفصل الثالث** على الـــتوجهات النظرية الرئيسية فى دراسات الصورة ويقدم سبعة منها .أما **الفصل الرابع** فيقدم تحليلاً وظيفياً للصور الذهنية على مستوى الفرد والجماعة والنظام الاجتماعى ككل.

الـــباب الثانى وعنوانه "الصور الإعلامية والقرارات السياسية : التكوين والعلاقـــات المتبادلة " ويتكون من ثلاثة فصول(من الخامس إلى السابع) : ففى **الفصـــل الخـــامس** يتم التركيز على دور وسائل الإعلام فى صنع الصور وفى نقلها مع توضيح الأساليب والأدوات المتبعة فى ذلك . وفى **الفصل السادس** يتم تـــناول العلاقـــة بيـــن النظامين الإعلامى والسياسى ويتم تقديم بعض العوامل المحددة لطبيعة هذه العلاقة والمشكلة لها . أما **الفصل السابع** فيقدم تحليلاً لكيفية اتخاذ كثير من القرارات السياسية الدولية على أساس الصور الذهنية والإعلامية وليس على أساس معطيات الواقع الدولى الفعلى.

الـــباب **الثالـــث** وعـــنوانه " صورة العرب والمسلمين فى العقل الغربى واســـتراتيجيات تغيـــيرها " ويـــتكون من ثلاثة فصول ، أيضاً ، (**الثامن إلى** العاشر) : ففى **الفصل الثامن** يتم تقديم تتبع تاريخى لصورة العرب فى التراث الغـــربى فى سبع مراحل تاريخية مختلفة . وفى **الفصل التاسع** يتم استعراض

صـــورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام والثقافة الغربية المعاصرة . أما **الفصــل العاشــر والأخــير** فيقدم بعض الاستخلاصات المتعلقة بصورة العرب والمسلمين فى الغرب وكذلك بعض الأساليب التى يمكن من خلالها تحسين هذه الصورة .

بقـــى أن أوجه خالص شكرى وتقديرى **إلى الأستاذ الدكتور فرج الكامل** رئيس قسم الإذاعة بكلية الإعلام جامعة القاهرة والذى شرفت بالتتلمذ على يديه فـــى مرحلة الماجيستير .. و **الأستاذ الدكتور سامى الشريف** وكيل كلية الإعلام لشئون التعليم والطلاب والذى شرفت بالتتلمذ على يديه فى مرحلة الدكتوراه ... و**المفكــر الكبــير الأستاذ السيد ياسين** ... إذ من خلالهم ، وبفضلهم ، تعلمت كيف أفكر وكيف أكتب .

وأخـــيراً يأمل كاتب هذه السطور فى أن يكون هذا الكتاب إضافة للمكتبة الإعلامـــية العربـــية ، وأن يجد فيه دارسو الصورة ما يعينهم على أن يحركوا بعضاً من ثوابتها لديهم . والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

د. أيمن منصور ندا

القاهرة : ديسمبر ٢٠٠٣

الباب الأول



الصورة الذهنية
القضايا
والإشكاليات

الفصل الأول

الصورة :
المصطلح
والمفهوم

تمهيد:

مـــن الظواهـــر اللافـــتة للـــنظر فـــى مجال دراسات الصورة أن هناك اخـــتلافاً كبـــيراً ، ظاهـــراً أحـــياناً وباطـــناً أحـــياناً أخـــرى ، حول كلٍّ من المصـــطلح والمفهـــوم، فالمصـــطلح ، رغـــم شيوعه، يحمل بداخله كثيراً من المشـــكلات المنهجـــية والإشـــكاليات الـــنظرية، والمفهـــوم، رغـــم كـــثرة الـــتعريفات المقدمـــة له أو بســـببها، يـــبدو غامضـــاً وفضفاضاً ولا يدلُّ على شئ ، وهو ما يمكن توضيحه على النحو التالى:-

أولاً: المصطلح The Term :

تـــتعدد المصـــطلحات المســـتخدمة للتعبـــير عـــن "الصـــورة" سواء فى اللغـــة العربـــية أو فـــى اللغـــة الإنجليزية، ففى اللغة العربية نجد مصطلحات "الصـــورة" [1] ، " الصـــورة الذهنـــية "[2]، " الصـــورة النمطية" [3]،"التعميمات النمطية"[4]، "القوالب النمطية الجامدة"[5] وغيرها.

وفى اللغة الإنجليزية توجد مصطلحات عديدة أبرزها **"The Image"**[6]، و**"Stereotype"**[7] و**"Tabloid Thinking"**[8] وغيرها.

(أ) المصطلح فى اللغة العربية:

يلاحـــظ علـــى مصـــطلحات الصـــورة ومرادفاتها فى اللغة العربية أنها لا تعكـــس إطـــاراً نظـــرياً محـــدداً أو مفهومـــاً فكـــرياً معيـــناً لعملية يمكن إدراجهـــا تحـــت هـــذه المصـــطلحات، وإنمـــا هى " ترجمات تقريبية ظاهرية لمصـــطلحات غربـــية "، إذ حـــاول الباحثون ترجمة المصطلح الغربى "كبنية لغويـــة" أكـــثر مـــن اهـــتمامهم بترجمـــته" كبنـــية ظاهراتـــية أو موضوعية" فـــالأولى تركـــز علـــى الـــترجمة الحرفية للمصطلح ومحاولة الحصول على مقـــارب لغـــوى لـــه فـــى لغتـــنا، أمـــا الثانـــية فتهتم بالحصول على مقارب

موضــوعى يعــبِّر عــن ذاتــه مــن خلال ذاته، أكثر مما يعبر عن ذاته من خــلال تعــريفات أخــرى لــه. ولعــلَّ هــذا مــا يفسّــر- جزئــياً- كــثرة المصطلحات الدالة عليه في اللغة العربية .

ســبب آخــر لكــثرة المصــطلحات الدالــة علــى الصــورة فى اللغة العربــية، هــو تعــدد المجــالات البحثية التى استخدم فيها الباحثون مصطلح الصــورة، فطغــت الأنســاق الجزئــية على النسق الكلى، وغطت التعريفات الفرعــية الإجرائــية المتخصصــة علــى الــتعريف الكلى العام للظاهرة، مما جعــل الظاهــرة الواحــدة (الصــورة) قــد تــبدو للــبعض ظواهر مختلفة لا يربطها رابط سوى المصطلح.

ونــرى- فــى ضــوء اطلاعــنا علــى الــتراث العلمــى فــى مجال الصــورة، ودراســتنا لخصائصــها- أن المصــطلح العربى الأكثر دلالة على طبــيعة الموضــوع (الصــورة) والأكــثر توافقاً مع خصائصه، هو مصطلح "<u>التصور</u>" وذلك للأسباب التالية:-

١. إن مصــطلح "الصــورة" يشــير إلــى شئ ساكن وكيان جامد (ولذا يتم إضــافة صــفة "مــتحركة" إلــيه فــى بعــض الأحيان للإشارة إلى موضوع آخــر) وهــو مــا يتــناقض مــع نتائج كثير من الدراسات التى تشير إلى أن العملــية الــتى أُصــطلح علــى تســميتها "بالصــورة" هى " عملية ديناميكية متغــيرة وليســت اســتاتيكية جــامدة"(٩) وإذا كــنا فى اللغة العربية نقول مثلاً إن "التصــنيع" اســم لعملــية و "الصناعة" اسم لحرفة، فكذلك يمكننا القول إن "التصور" اسم لعملية مستمرة و "الصورة" اسم لمنتج ثابت جامد.

٢. إن مصــطلح "التصــور" يغنيــنا عــن اســتخدام مصــطلح "الصورة الذهنــية" كمــا يســتخدمه الــبعض، فالتصور لا يكون إلا ذهنياً أو عقلياً، ولا يوجــد تصــور غــير ذهــنى، وبديهى أن المصطلح الذى يكفى لذاته ويكتفى

بذاته أفضل من المصطلح الذى يحتاج إلى مصطلحات أخرى لتوضيحه أو لتمييزه عن غيره.

٣. إن استخدام مصطلح "التصور" يخلص دراسات ما اصطُلح على تسميتها "بالصورة" من كثير مما انطبع عنها نتيجة استخدام الصفات الموضحة لها " نمطية- جامدة- ثابتة.." والتى غالباً ما تكون غير دقيقة، ويتيح للدراسات اللاحقة أن تبدأ من جديد فى دراسة الظاهرة بدون أى تصورات مشوهة أو غير صحيحة على الإطلاق.

٤. إن استخدام مصطلح "التصور" يصحّح كثيراً من الأخطاء المنطقية فى كثير من الدراسات التى استخدمت مصطلح الصورة: (صورة الموت[١٠]، صورة مادة الفلسفة[١١]، صورة الأب[١٢]، صورة الربة إيزيس[١٣]، صورة السلطة[١٤]، صورة مجنون ليلى[١٥]..) فالموت ليس له صورة حتى يمكن تصويره، وإنما مجموعة مفاهيم يتم تصورها، ومادة الفلسفة ليس لها صورة ، وما ينبغى لها ، وإنما تصور وتخيل وإدراك ، والأب ليس له صورة ؛ وإنما مجموعة تصورات وتوقعات عن أدواره وواجباته.. وهكذا.

٥. إن استخدام مصطلح "التصور" يخلصنا من كثير من الدراسات التى تعتمد فى تعريفها للمفهوم على تاريخ المصطلح ، إذ إن تاريخ المصطلح قد يعطى فكرة عن استخداماته فى الفترات الزمنية المختلفة أكثر من إعطائه فكرة عن ماهيته، ويعطينا توضيحاً لوظائفه أكثر من إعطائنا توصيفاً لكينونته.فتاريخ أى ظاهرة ليس هو الظاهرة ذاتها بل هو دالّ من دوالها، ومظهر من مظاهرها لا يغنى عن تعريفها ولا يحلُّ محل تفسيرها. فأن تفسر معناه "أن تتتبع شيئاً ما تتبعاً أنطولوجياً يعود

بــه إلـــى أصـــله"[16] والتتـــبع الأنطولوجـــى (الوجودى) شئ، والتتبع الزمنى (التاريخى) شئ آخر.

(ب) المصطلح فى اللغة الإنجليزية:

يمكـــن القول بصفة عامة إن فى اللغة الإنجليزية مصطلحين يشيران إلى "الصورة" أحدهما عام وكلى والآخر خاص وجزئى، والفروق بينهما واضحة إذا تم تتبع أصولهما، بيد أن المشكلة أن المصطلح الخاص والجزئى قد طغى على المصـــطلح العام والكلى، وكثيراً ما تم إستخدامه كبديل له أو كمرادف على أقل تقدير.

1. المصـــطلح العـــام والكلـــى **The Image** وهو المقابل الغربى لما أسميناه "التصـــور" ولـــه الخصـــائص ذاتهـــا التى تتسم بها عملية "التصور"، كما أنه المصـــطلح الأقدم فى الاستخدام، والأكثر شيوعاً فى العلوم الإنسانية حتى عام ١٩٢٢ م .

2. المصطلح الخاص والجزئى **(The Stereotype** ومرادفاته **Solid & Tabloid Thinking)** وهو مصطلح استعاره الصحفى الأمريكى ولتر ليبمان **Lippmann** (١٩٢٢) فـــى كتابه "الرأى العام" من عالم الطباعة، وذلك لوصف حالة خاصة مـــن حـــالات التصور، وهى التصورات النمطية أو الثابتة أو التصورات التى تضحى بالفروق الفردية وبالتفاصيل الدقيقة فى مقابل الحصول على تصور عام أو رؤية عامة.

على أن المقارنة بين المصطلحين العام والخاص وعلى استخدام الباحثين لكـــلٍّ منهما تدلنا على أن مصطلح **Stereotype** ومرادفاته ليس اسماً ولا مصدراً دالاً على عملية ولكنه فى غاية وجوده مجرد صفة لعملية، أو حالٌ مؤقت لها لا يحلُّ محلها ولا تُختزل العملية فيه. لذلك نجد كثيراً من الدراسات الأجنبية الأولى فـــى مجال الصورة تستخدم لفظة **Stereotype** كصفة أكثر من استخدامها كاسم

يتضح ذلك في دراسة كاتز وبريلى Katz & Braly (١٩٣٣) حيث استخدم الباحثان اصطلاح Stereotyped Pictures للإشارة إلى التصورات الثابتة أو النمطية أو الجامدة[١٧]، وفى دراسة ميس Mace (١٩٤٣) أشار الباحث إلى وجود أفعال وأفكار ومدركات نمطية [١٨] There are Stereotyped Actions , Stereotyped Ideas and Stereotyped Perceptions.

وفى دراسة بوخانان وكانتريل Buchanan & Cantril (١٩٥٤) استخدم الباحثان المصطلح الأكثر دقة وهو Stereotyped Images للإشارة إلى التصورات النمطية أو الجامدة[١٩]. وفى دراسة ستيفن وروزنفيلد Stephan & Rosenfield (١٩٨٢) استخدم الباحثان مصطلح Stereotyped Categories للإشارة إلى التصنيفات والفئات النمطية[٢٠]، وفى دراسة أوتاتى ولى Ottati & Lee (١٩٩٥) أشارا الباحثان إلى التصورات النمطية باستخدامهما مصطلح Stereotypic Image وأشارا إلى وجود Stereotypic Belief و Stereotypic Perception و Stereotypic Representation وهكذا[٢١].

على هذا فمصطلح Stereotype ليس هو "التصور" ولكنه نوع من أنواعه أو صفة لإحدى حالاته، وليس هو العملية ولكنه حال مؤقت لها. وما نعتقده هو أن الدراسات الأجنبية التى استخدمت الـ Stereotype فقط قد اكتفت "بالصفة" Stereotype واستغنت بها عن الاسم The Image لأن الاسم معروف ومتفق عليه من ناحية ولأن الصفة هى موضع الدراسة والبحث فى هذه الدراسات من ناحية أخرى.

ثانياً: المفهوم The Concept:

من استقراء الدراسات السابقة فى مجال الصورة، ومن تتبع التعريفات التى قدمها الباحثون لها، يمكن القول بصفة عامة إن هناك سبع "حزم تعريفية" تعبّر كلُ "حزمة" عن "اتجاه بحثىّ" ينطلق من "تصور نظرىّ" يبرره ويفسره، وهذه الحزم السبع هى:

(١) تعريفات لغوية فيللولوجية:

تقوم هذه التعريفات وينطلق أصحابها من فكرة أن التحليل اللغوى للمصطلح يمكن أن يدلنا على المعنى، فاللغة ليست وسيلة لحمل المعانى فحسب بل هى فى حدّ ذاتها جزء من المعنى، ومن ثمَّ فإن تفكيك المصطلح ومعرفة اشتقاقاته يُعتبر وسيلة ناجحة لمعرفة دلالاته ومعانيه.

وعلى هذا يذهب هؤلاء إلى أن "مصطلح القوالب النمطية الجامدة يعنى فى اللاتينية الحديثة Ster-eo-Tip ويقابله فى الألمانية لفظ **Stereos** وفى الإنجليزية لفظ Solid type وهو يعنى فى قواميس اللغة "أنماط جامدة"[٢٢].

كما يذهب هؤلاء إلى أن "الأصل فى معنى كلمة Stereotype (هو) الشيء المكرر على نحو مطّرد وعلى وتيرة واحدة لا تتغير"[٢٣] أو هو "الشيء المتفق مع نمط ثابت أو عام، وتعوزه السمات الفردية المميزة"[٢٤] ، كما يذهب هؤلاء الباحثون إلى أن "مصطلح الصورة جاء من اللفظ اللاتينى Image وهو يعنى رسم أو شكل أو صورة"[٢٥]، وأن الصورة هى "كل ما يصور.. فصورة الشيء هى خياله فى الذهن أو العقل"[٢٦] ، وأن مصطلح الصورة" يقابله فى اللغة العربية ثلاثة ألفاظ هى فكرة ذهنية، صورة، انطباع"[٢٧].

(٢) تعريفات تمثيلية تشبيهية:

تقوم هذه التعريفات على محاولة تقريب "الصورة" من ذهن القارئ وذلك بتشبيهها بشيء مادى قريب منه أو بمعنى يمكن أن يتوصل إليه. ومن ثمَّ فإن الصورة من هذه الوجهة هى "أشبه برسوم داخل نفوسنا يصعب تعديلها"[٢٨]. وتعدُّ "كما لو كانت عملية بناء تصورات أو عملية من التفسيرات المتكررة والرموز التى تتعلق بشيء ما أو مشاعر أو أفكار"[٢٩]. ويمكن تصورها على أنها "محاكاة صناعية أو إعادة تقديم الشكل الخارجى لأى شئ وبشكل خاص للأفراد[٣٠]. أو أنها "إحياء أو محاكاة لتجربة حسية"[٣١].

ويــنحو بعض الباحثين إلى تبسيط المفهوم أكثر من تشبيهه، ومن ثمَّ فإن الصـــورة لا تعدو أن تكون" مجرد تصور ذهنى قد يكون حقيقة صادقة أو وهماً باطلاً"[٣٢]، وهى "مجموعة معانٍ لرموز اجتماعية مجردة تحظى بقبول عام"[٣٣]، أو هى "مجموعة السمات الحقيقية أو المتخيلة عن ظاهرة ما[٣٤]، وإجمالاً فهى تعــنى" كيفــية تصـــور مجتمع لمجتمع آخر سواء أكان هذا التصور يعبِّر عن الحقيقة ويعكس الصفات الواقعية للانتماء إلى ذلك المجتمع أو أنه يخضع لعملية تشويه متعمدة أو غير متعمدة"[٣٥].

(٣) تعريفات توصيفية ظاهرية:

تقـــوم هذه التعريفات على تقديم الوصف الظاهرى (الخارجى) للظاهرة، دون محاولة التعمق فى بيان أسبابها أو نتائجها، أو محاولة التعرف على آلياتها وكوامنها ، أى أنها تقدم الخصائص الأكثر بروزاً للظاهرة وتكتفى بها، وتتجاهل الخصـــائص الكامنة بداخلها أو العوامل المؤثرة فيها. فالصورة من هذه الوجهة هـــى "نموذج مبسط لبيئة الفرد، تنشأ من تلقى الفرد رسائل عن طريق الاتصال المباشـــر وغير المباشر، تمر عبْر عديد من المرشحات النفسية، ويتم ذلك داخل إطـــار اجتماعى ثقافى معين"[٣٦] وهى أيضاً "الناتج النهائى للانطباعات الذاتية الـــتى تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما... وتتكون هـــذه الانطـــباعات مـــن خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم"[٣٧].

ويذهـــب باحثو هذه الوجهة إلى أن أهم خصائص الصورة إجمالاً ، هى أنهـــا "عادة معرفية إدراكية"[٣٨] وأنها "بنية تكاملية من المعانى أو السمات التى تتداعى إلى عقل الفرد عند ذكر شئ معين"[٣٩] وأنها "ترتكز على قدر ضئيل من الســـمات المتميزة"[٤٠] و"تعكس مرحلة من الإدراك الانتقائى" وهى "إدراك جامد متحـــيز بشـــكل نســـبى"[٤١] و"تعدُّ إحدى الخبرات المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد"[٤٢] وأنها ، بصفة عامة ، تشير إلى "المعتقدات التى توجد لدينا"[٤٣]

(٤) تعريفات انتقائية تفسيرية:

وتقوم هذه التعريفات على التفسير الجزئى للظاهرة من خلال انتقائها نظرية- أو مدخلاً بحثياً- وتفسير الظاهرة من خلالها. وإذا كان هناك سبعة توجهات نظرية فى دراسة الصورة[٤٤] فإن لكل توجه من هذه التوجهات تعريفاته وتحديداته، فعلى سبيل المثال، يتم تعريف الصورة من وجهة نظر باحثى التيار المعرفى فى دراسة الصورة على أنها " مجموعة معينة من التعميمات التى يتوصل إليها الأفراد من خلال العملية الإدراكية العامة للتصنيف، وتتمثل الوظيفة الرئيسية لهذه العملية فى التبسيط أو التنظيم، وذلك لأغراض التكيف المعرفى والسلوكى"[٤٥] وهى أيضاً " تصنيف لعناصر فردية تتعلق بالأشخاص، والتى تفسر الاختلافات الموجودة فى تلك العناصر"[٤٦] وكذلك فهى "التمثيل المعرفى الذى يعتنقه الفرد فى ذهنه" وهى "عملية اختزان الفرد لمجموعة من الصور فى ذهنه"[٤٧].

أما الصورة من وجهة نظر باحثى التيار النفسى الاجتماعى فى دراسة الصورة فتم تعريفها على أنها" بنية اجتماعية تنتج عن التأثير التراكمى لعمليات الاتصال الفعالة والمستمرة فى المجتمع"[٤٨] وتنتج "عن السمع والأقاويل والتحدث وليست بالخبرة المباشرة"[٤٩] وهكذا.

(٥) تعريفات إجمالية كلية:

وتقوم هذه التعريفات على تقديم صورة كلية عامة عن خصائص المفهوم، ومحاولة إجمال كل ما قيل بشأنه ،فالصورة من هذه الوجهة هى " نموذج عام شائع وثابت نسبياً للصفات الشخصية والسلوكية الخاصة بجماعة ثقافية أو عرقية أو لشعب من الشعوب"[٥٠] وهى "منظومة من الانطباعات والآراء والاتجاهات التى تكوّن تمثيلاً عاماً أو سائداً"[٥١]، وهى أيضاً " مجموعة معارف الفرد ومعتقداته فى الماضى والحاضر والمستقبل"[٥٢] وإجمالاً فإن الصورة تعنى مجموعة "الأفكار والمعتقدات والأحاسيس التى تتكون فى عقل ووجدان الجماهير

تجـاه قضــية أو مــنظمة أو فكرة أو شخص، وهى تتبادر إلى الذهن عند ذكر اســمها لتعطى فكرة معينة أو مفهوماً عاماً عنها قد يكون طيباً أو سيئاً، وتتكون هــذه الصــورة ممــا يستقيه الفرد من وسائل الإعلام وما اكتسبه من معارف ومعلومات وخبرات حول هذه القضايا أو الأفكار أو المنظمات"(٥٣).

(٦) تعريفات منفعية وظيفية:

وتقــوم هذه التعريفات على تعريف الصورة من خلال ذكر وظائفها، أو المهام التى يمكن أن تقوم بها، دون الاهتمام بتعريفها أو بيان مراحلها أو أبعادها أو طريقة تكوينها.

فالصورة من هذه الوجهة هى "أداة يمكن من خلالها مساعدة الأفراد على حل كثير من احتياجاتهم الاجتماعية اليومية"(٥٤).

(٧) تعريفات تركيبية تجميعية:

وهى تعريفات استقرائية، تقوم على "استقراء" التعريفات الأخرى المقدمة للصــورة، ومحاولــة "تجميع" السمات المشتركة فى هذه التعريفات ثم محاولة "تركيــبها" فى تعريف جديد، وهى فى ذلك أقرب إلى نمط التعريفات الإجمالية الكلية بيْد أنها تمتاز عنها بمحاولة الانتقاء من هذه السمات والانتظام فى طريقة عرضها.

فالصورة من هذه الوجهة هى "انطباعات ثابتة لا تؤثر فيها الأحداث المتغيرة، وهى ذات محتوى غاية فى البساطة، حيث لا تحتوى إلا على العناصر المتميزة للموضــوع، وهى تعد أحد شروط تكوين المعتقدات والاتجاهات"(٥٥) وهى أيضاً "الســمات الشائعة الثابتة..التى تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية، والتى تُصاغ علــى غير أساس علمى أو موضوعى تأثراً بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط".(٥٦) وهــى مــن ناحية الشكل المنطقى" تبدو حكماً يمنح طبقة من الأشخاص صفات محددة بطريقة مبسطة تعميمية غير موسوعية ومغلفة بقيم عاطفية"(٥٧).

ملاحظات عامة على التعريفات السابقة:

- يمكن القول بصفة عامة إن السمات العامة للصورة (على نحو ما سيتم توضـــيحه فـــى الفصل الثالث) هى نفسها السمات العامة للتعريفات المقدمة لهـــا، والمآخذ التى يمكن أن تؤخذ عليها أو أوجه النقد التى يمكن أن توجه إليها، فهذه التعريفات السابقة تتسم بالسمات التالية:

١. الجزئية: بمعنى عدم وجود "اتجاه تعريفى كلى" يجمع خصائص الاتجاهات السابقة ويوحّد بينها، فى الوقت الذى يتجنب عيوب هذه التعريفات ويتخلص منها.

٢. التبســيط: ويظهــر هــذا بوضوح فى "الاتجاه التمثيلى التشبيهى" وكذا فى "الاتجــاه التوصيفى الظاهرى" حيث يجنح الباحثون نحو التبسيط الذى يخل أحياناً بطبيعة الظاهرة، ويفقدها الكثير من خصائصها.

٣. عدم الدقة: ويظهر ذلك بوضوح فى الاتجاه اللغوى الفيللولوجى وكذا الاتجاه الإجمـــالى الكلـــى، فالاعـــتماد على اللغة قد لا يعطينا معلومات دقيقة عن الظاهرة، كما أن إجمال خصائص المفهوم قد يجعلنا ننسى بعض خصائص الصورة الجوهرية ومن ثم تصبح غير دقيقة ومشوهة.

٤. المـــبالغة فـــى التعميم: ويظهر ذلك بوضوح فى الاتجاه التركيبى التجميعى الذى يجنح باحثوه نحو إعطاء صفات مطلقة للصورة، فهى "انطباعات ثابتة" و"لا تؤثـــر فـــيها الأحـــداث المتغيرة" و "ذات محتوى غاية فى البساطة" و "تصاغ على غير أساس علمى". وهذه كلها تعميمات لا يمكن الجزم بصحتها أو القول بصدقها فى ظل نتائج دراسات علمية تشير إلى عكس ذلك.

٥. التحـــيز: بمعنى أن هذه التعريفات تميل إلى تبنى توجه معين نحو الصورة وهـــو توجـــه ســـلبى غالباً، كما يتم ربط الصورة دائماً بظواهر سلبية فى المجتمع "كالتعصب" و"العنف".

٦. المقاومـــة للتغيير: ويبدو ذلك فى ثبات اتجاه الباحثين نحو بعض خصائص الصـــورة وســـماتها منذ ليبمان وحتى اليوم، ومقاومة أى "تصورات بديلة" لخصـــائص الصورة أو لسماتها، وتظهر هذه المقاومة فى معظم الاتجاهات التعريفية السابقة.

نحو بناء تعريف جديد للصورة:

من خلال إطلاعنا على دراسات الصورة، وفى ضوء الاتجاهات التعريفية الســـابقة والملاحظـــات الـــتى أبديـــناها ، يمكن تقديم التعريف التالى لمصطلح "الصورة".

"الصورة هى عملية معرفية نفسية نسبية ذات أصول ثقافية، تقوم على إدراك الأفراد الانتقائى، المباشر وغير المباشر، لخصائص وسمات موضوع ما (شركة – مؤسسة- فرد- جماعـــة- مجتمع..) وتكوين اتجاهات عاطفية نحوه (إيجابية أو سلبية) وما ينتج عن ذلك مـــن توجهـــات ســـلوكية (ظاهرة- باطنة) فى إطار مجتمع معين. وقد تأخذ هذه المدركات والاتجاهات والتوجهات شكلاً ثابتاً أو غير ثابت، دقيقاً أو غير دقيق".

ومن التعريف السابق نلاحظ ما يلى:

١. أن الصـــورة عملية: ويعنى ذلك أنها ليست ظاهرة استاتيكية جامدة ولكنها ظاهرة ديناميكية متفاعلة، تمر بمراحل متعددة، تتأثر كل مرحلة بما يسبقها وتؤثر فيما يلحق بها. كما أنها متطورة ومتغيرة وتأخذ أشكالاً عديدة وقوالب مختلفة.

٢. أن هذه العملية معرفية: ويعنى ذلك أنها تمر بالمراحل ذاتها التى تمر بها العمليات المعرفـــية، (إدراك- فهم- تذكر) وتخضع للمتغيرات والعوامل التى تخضع لها العمليات المعرفية أو تتأثر بها.

٣. أن هذه العملية نفسية: بما يعنى كونها عمليات داخلية لها أبعاد شعورية إضافةً إلى أبعادها المعرفية.

٤. أن القواعـــد الحاكمـــة لهـــذه العملية نسبية: بمعنى أنها متغيرة من موضوع لآخر، وليست لها خصائص ثابتة.

٥. أن هـذه العملـية تـتكون وتتطور فى إطار ثقافى معين: والثقافة هنا بمفهومها الشامل والتى تعنى ، كما عرّفها تايلور ، "ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والمعـتقدات والفنون والقانون.." أو كما عرفها "مالينوفسكي" "الثقافة هى كل ما نعيشه ونخبره، وكل ما نلاحظه ملاحظة عملية، وهى -باختصار- كل ما يتعلق بعملية تنظيم بنى البشر فى جماعات دائمة" وكما عرفها "فيرث" هى "كل السلوك المـتعلم الذى يكتسبه الفرد من المجتمع"(٥٨) معنى ذلك أن الصورة لا تنشأ فى فراغ وإنما تتأثر بكل الظروف المحيطة بها.

٦. أن هذه العملية لها ثلاثة مكونات:

أولاً: المكون الإدراكي: ويعنى الجانب المعلوماتى فى الصورة، أى المعلومات والبـيانات المـتعلقة بموضوع ما. وقد يتم اكتساب هذه المعلومات بشكل مباشـر مـن خلال وجود الفرد داخل محيط الموضوع أو قريب منه، أو بشكل غير مباشر من خلال الاتصال الشخصى ووسائل الإعلام وغيرها مـن مصـادر الحصول على المعلومات. وغالباً ما يخضع هذا المكون لعمليات انتقائية ذاتية فى أشكاله ومراحله كافة.

ثانـياً: المكون العاطفي: ويتضمن تكوين اتجاهات عاطفية سلبية أو إيجابية نحو الظاهـرة موضوع الصورة. وليس بالضرورة أن تكون الاتجاهات سلبية فقـط، بـل يمكـن أيضـاً أن تكون إيجابية، وفى بعض الحالات تكون الاتجاهات محايدة وذلك عندما يكون موضوع الصورة موضوعاً خارجياً تتسـاوى فيه المعلومات المؤيدة والإيجابية فيه مع المعلومات المعارضة والسلبية فيه.

ثالـثاً: المكـون السـلوكي: ويظهر هذا المكون فى بعض السلوكيات المباشرة الظاهـرة (مـثل التحـيز ضد جماعة ما، أو القيام بأعمال عدوانية تجاه الجماعـة موضـوع الصورة..) أو فى بعض السلوكيات الباطنة (التقييم السلبى- الاستعلاء والازدراء...).

٧. إن سـمات هـذه المكونـات الـثلاثة المكونة للصورة متغيرة، بمعنى أن بعض السـمات قد تكون ثابتة وبعضها غير ثابت، كما أن هذه المدركات والاتجاهات

والســـلوكيات المكونة للصورة تكون دقيقة وصحيحة ولها ما يبررها فى بعض الأحـــيان ، ومشوهة وخاطئة وغير مبررة فى بعضها الآخر. بمعنى آخر، فإن الصورة لا تأتى دائما على صورة واحدة.

٨. **إن هذه المكونات الثلاثة للصورة تعمل فى إطار مجتمعى معين:** فإذا كان الإطار المجتمعى هو منبع الصورة وأحد محددات تكوينها، فهو أيضاً المجال الذى تعمل فيه الصورة وتعيش، فالصورة تنبع من المجتمع وتوجد فيه.كما أن هذا التعريف يؤكـــد علـــى خصوصية الصورة داخل إطارها المجتمعى، فصورة الموضوع الواحـــد قد تختلف من إطار مجتمعى إلى إطار مجتمعى آخر، وقد تختلف هذه الصورة داخل الأطر المجتمعية الفرعية داخل الإطار المجتمعى العام.

٩. **إن الصـــورة ليســـت محددة الموضوع:** فأى شئ صالح لأن يكون موضوعاً للصورة، (الفرد- الجماعة- المجتمع- المؤسسة- السلعة- ..).

١٠. **إن خصائص وسمات الشيء موضوع الصورة ليست محدودة أو محددة:** فقد تكون خصائص شكلية أو موضوعية، خصائص ظاهرة أو باطنة، نسبية أو مطلقة...

• هوامش الفصل الأول

(١) ميخائيل سليمان (١٩٨٧): صورة العرب فى عقول الأمريكيين. ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) على عجوة (١٩٨٣): العلاقات العامة والصورة الذهنية. القاهرة، عالم الكتب.

(٣) أشرف أحمد عبد المغيث (١٩٩٤): دور الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصرى ، دراسة تحليلية ميدانية . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ص ٧٠-٧٥.

(٤) ليفون مليكيان وحسين الدرينى (١٩٨٥) : "دراسة استطلاعية فى أبعاد تعقد التركيب و الاتفاق فى التعميمات النمطية " فى : لويس كامل مليكة (محرر) قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى . المجلد الرابع (ص ص ٢٨١-٢٩٤) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٥) عبد اللطيف خليفة ، شعبان رضوان (١٩٩٨): مرجع سابق ، ص ١١٠.

(6) Boulding , k. (1956) : The Image. New York, Vail-Ballou press inc.

(7) Lippmann, w. (1991) : Public Opinion , Lippmann, W. (1991): Public Opinion: With New Introduction by Michael Curtis. London, Transaction publishers, PP 79-157.

(8) Albig, w. (1939) : Public Opinion . London , McGraw-Hill Book Company inc. P.58.

(٩) راجية أحمد قنديل (١٩٨١): صورة إسرائيل فى الصحافة المصرية سنوات ٧٢، ٧٤، ١٩٧٨ . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، ص ٣٧

(١٠) اعتماد معوض عوض (١٩٩٥): صورة الموت فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، دراسة نقدية . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .

(١١) نادية حسن إبراهيم (١٩٩٤): صورة مادة الفلسفة عند الطلاب الدارسين لها فى المرحلة الثانوية :دراسة كشفية . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .

(١٢) شادية يوسف علام (١٩٩٣): صورة الأب لدى أبناء المسجونين (غير الجانحين) وعلاقتها بالبناء النفسى لهم .دراسة إكلينيكية متعمقة . رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

(١٣) آمال سعيد نور (١٩٩٣): صورة الربة إيزيس على التمائم والجعارين المصرية فى قرطاج. رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة .

(١٤) عصام هاشم أحمد (١٩٩١): صورة السلطة لدى طلاب الجامعة . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

(١٥) عصام خلف كامل (١٩٩٠): صورة مجنون ليلى بين التراث والمعاصرة . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا .

(١٦) أليشيا خواريرو (١٩٩٥) : من أصول الحداثة إلى جذور ما بعد الحداثة . اليونسكو ، ديوجين، (مصباح الفكر) العدد ١٦٣/١٠٧، ص٤٤.

(17) Katz, D. & Braly, K. (1933): Racial Stereotypes In One Hundred College Students. Journal of Abnormal and social psychology. Vol. 28. P. 289.

(18) Mace, A. (1943): National Stereotypes : Their Nature and Function. The Sociological Review (January – April) pp. 29- 36.

(19) Buchanan, W. & Cantril, H. (1954): "National Stereotypes " in: Schramm, W. (Ed) The process and Effect of Mass Communication . Urbana , University of Illinois press , p. 191.

(20) Stephan, W. & Rosenfield, D. (1982): " Racial and Ethnic Stereotypes" In: Miller, A. (Ed) In The Eye Of The Beholder : Contemporary Issues In Stereotyping . New York, Praeyer Special Studies., p. 96.

(21) Ottati, v. & Lee, Y. (1995) :" Accuracy: A Neglected Component of Stereotype Research." In Lee, Y.

et al (Eds) Stereotype Accuracy: Toward Appreciating Group Differences . New.York, American psychological Association , p. 39.

(٢٢) سيد عبد العال (١٩٨٨): مقياس القوالب النمطية لصفات المرأة المصرية . القاهرة، مجلة علم النفس ، العدد ٦ ص ص ٢٠-٣٦

(٢٣) أسعد رزق (١٩٧٨): موسوعة علم النفس . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٤، ص ٣٢٠.

(٢٤) منـير البعلـبكى (١٩٩٢) : المـورد قاموس إنكليزى - عربى . بيروت، دار العلم للملايين، ص ٤٤٩.

(25) Lexicon Universal Encyclopedia (1988): Image and Imagery, No. 11. New York , Lexicon publication Inc. , p. 51.

(٢٦) المـنظمة العربـية للتربـية والثقافة والعلوم (١٩٨٨): المعجم العربى الأساسى. باريس ، لاروس ، ص ٧٥٦.

(٢٧) كرم شلبى (١٩٨٩): معجم المصطلحات الإعلامية . القاهرة، دار الشروق، ص٢٨٥

(٢٨) حامد زهران (١٩٨٤): علم النفس الاجتماعى. القاهرة، عالم الكتب، ط٥، ص ١٤١

(٢٩) ثريا البدوى (١٩٩٥): دور الاتصال فى تكوين الصورة الذهنية لدى الشعب المصرى عـن الأوروبيين . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص٧٧.

(30) Boorstin, D. (1964) : The Image: A Guide To Pseudo-Events in America. New York, Harper Colophon Books, P.g

(٣١) أشرف عبد المغيث (١٩٩٤) : مرجع سابق، ص ٥٧.

(٣٢) حمـدى ياسين ، ثناء الضبع (١٩٨٧): " الصورة القومية المتبادلة بين عينتين من الطلـبة السعوديين والمصريين " فى : بحوث المؤتمر الثالث لعلم النفس فى مصر. القاهرة ، مركز التنمية البشرية والمعلومات، ص ٢٤٥.

(33) Robertson, T. (1970): Consumer Behavior . Atlanta, P2.

(34) Scott, A. (1967): The Functioning of International Political System. New York, Macmillan Company, P. 48

(٣٥) نادية سالم (١٩٧٨): صورة العرب والإسرائيليين فى الولايات المتحدة . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، ص٩

(٣٦) أشرف عبد المغيث (١٩٩٤) : مرجع سابق، ص ٦١.

(٣٧) على عجوة، (١٩٨٣) : مرجع سابق ، ص ١٠.

(38) Gudykunst, W. & Kim,Y. (1992): Communicating With Strangers : An Approach to Intercultural With Communication. New York, McGraw-Hill.inc. P 86.

(39) Timothy, J. (1971) :"Brand Image" in: Ehrenberg,A. & Pyatt, F. (Eds) Consumer Behavior: Selected Reading. New York , P.123.

(40) Gerhard, M. (1976): "Intercultural and International Communication". In : Fisher, D . & Merril, J. (Eds) International and Intercultural Communication . New York, Hasting House Publisher, 2 nd eds. P 410.

(41) Lang, Kurt (1974) : Images Of Society : Media Research in Germany. Public Opinion Quarterly, vol. 38 No. 4 , P. 334.

(٤٢) عبد اللطيف خليفة ، شعبان رضوان (١٩٩٨) :الشخصية المصرية : الملامح والأبعاد " دراسة سيكولوجية " . القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ١١١.

(٤٣) أشرف عبد المغيث (١٩٩٤) :مرجع سابق ، ص ٥٩.

(٤٤) سيتم استعراض هذه التوجهات النظرية فى الفصل الثالث.

(45) Gudykunst, W. et al (1989):" Language and Intergroup Communication" in: Molefi, A. & Gudykunst, W. (Eds) Handbook of International and Intercultural Communication. London , Sage publications – inc. p. 148.

(46) Gudykunst, w. & kim, y .(1992): Op. Cit., p. 86.

(٤٧) حمدى يسن (١٩٨٦) : الشخصية العربية بين السلبية والإيجابية : دراسة امبيريقية سيكولوجية . القاهرة ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ، ص ٤٢

(48) Lang, Kurt (1974) : Op. Cit. , p. 334.

(٤٩) ثريا البدوى (١٩٩٥) : مرجع سابق، ص ٨٦.

(٥٠) سيد عبد العال (١٩٨٨) : مرجع سابق، ص ص ٢٠-٣٦

(51) Merill, J. (1962) : The Image of The United States in Ten Mexican Dailies, Journalism Quarterly, Vol. 30, No. 2 , P 203.

(52) Holsti, O. (1969) :"The Belief System and National Images: A Case Study." In: Rosenau, J, (Ed) International Politics and Foreign Policy . The Free Press Of Glenco inc ., PP 543-550.

(٥٣) صلاح الدين محمد كامل (١٩٧٩): العلاقات العامة والصورة الذهنية لأجهزة المخابرات: مع دراسة تطبيقية. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص٣١.

(54) Stangor, C. (1995):" Content and Application Inaccuracy in Social Stereotyping." In: Lee, Y. et al.(ed) Op. Cit. , P 279.

(55) Bowes, J. (1977): Stereotyping and Communication Accuracy. Journalism Quarterly, Vol. 55, No.1 PP 70-76.

(٥٦) السيد يس (١٩٩١): الوعى القومى المعاصر أزمة الثقافة السياسية العربية . القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ص ص ٩١-٩٢.

(٥٧) سامى مسلم (١٩٨٥): صورة العرب فى صحافة ألمانيا الإتحادية . بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ١٨.

(٥٨) بوتومور (١٩٨٣): تمهيد فى علم الإجتماع . ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف، ط ٦، ص ص ١٧٦- ١٨٠.

الفصل الثانى

الصورة : الخصائص والسمات

تمهيد:

من الناحية النظرية البحتة، تتحدد الخصائص الشكلية لظاهرة ما والسمات المضمونية لها بناءً على التعريفات المقدمة لها، وتتحدد هذه التعريفات بناءً على الدراســات الإمبيريقــية فــى مجال الظاهرة، ولذا فإن الخطوة الأولى فى بناء النظرية هو فحص الدراسات الإمبيريقية (الاستقراء) ثم محاولة "الاستدلال" من هذه الدراسات على ماهية الظاهرة والتصور النظرى لها.

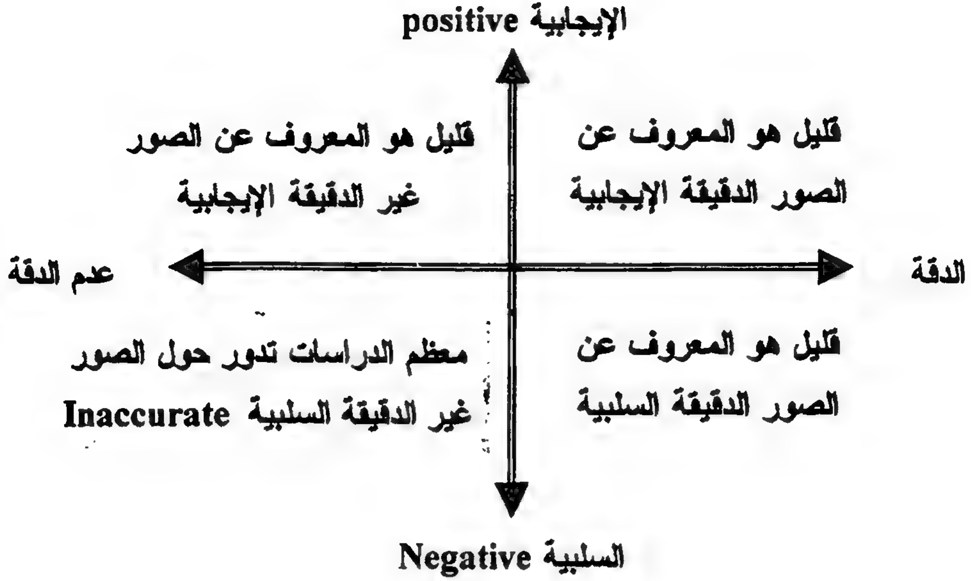
بيد أن الأمر فى مجال دراسات الصورة على العكس من ذلك، فقد وُجِّهت الدراسات الإمبيريقية نحو دراسة نواحٍ وخصائص فى الظاهرة تم تضمينها فى التعريفات الأولى للصورة، ومن ثمَّ فإن معظم الدراسات تحتوى على "مصادرة نظــرية" إذ أتــت "بالنتــيجة" قبل "المقدمة" و "بالمقدمة الصغرى" قبل "المقدمة الكبرى" وبمحاولة "الاستنباط" قبل محاولة "الاستقراء" وهكذا.

علــى هــذا فــإن البداية الحقيقية- من وجهة نظرنا- لبناء إطار نظرى صــحيح فى مجال الصورة هو البدء بفحص خصائص الظاهرة (الصورة) من واقع نتائج الدراسات الإمبيريقية من ناحية وأساسيات المنطق العلمى من ناحية أخرى، ثم محاولة استبعاد الخصائص التى لا توجد أدلة بحثية تؤكدها أو منطق علمى يدعمها ويبرر وجودها.

ســمة أخــرى من سمات البحث فى مجال دراسات الصورة، هو التركيز على خصــائص معينة ودراستها بصورة مكثفة وإهمال دراسة خصائص أخرى والعزوف عــنها. ولعــلَّ الأمــر يبدو أكثر وضوحاً لو رسمنا "متصلين متعامدين" أحدهما يمثل الخصيصــة الأســاس الأولــى للصــورة (الدقة- عدم الدقة) والثانى يمثل الخصيصة الأســاس الثانــية لهــا (السلبية- الإيجابية) ثم وزعنا الدراسات الإمبيريقية فى مجال الصورة على هذين المتصلين، إذاً لاتضح مدى التركيز فى دراسة بعض الخصائص، ومدى العزوف عن دراسة خصائص أخرى وذلك كما هو واضح بالشكل.

شكل رقم (١)

توزيع دراسات الصورة على متصلى الدقة والسلبية



ومن الشكل السابق يتضح أن معظم الدراسات تتركز على متصل السلبية/عدم الدقة فى حين تعزف عن دراسة الخصائص الأخرى للصورة[١].

وتوجد عدة أسباب يعزى إليها الباحث هذه السمة فى دراسات الصورة:

١. إن المنطلقات التي تنطلق منها الدراسات الأولى والرائدة في دراسة أى ظاهرة تحـــدد إلـــى حدٍ ما ، وتؤثر فى ، منطلقات وتوجهات الدراسات اللاحقة لدراسة هـــذه الظاهـــرة:- ولمـــا كان "ليبمان" (١٩٢٢) وكاتز وبريلى (١٩٣٣) وميس (١٩٤٣) و بوخانـــان وكانـــتريل (١٩٥٤) قـــد ركزوا على السلبية وعدم الدقة باعتبارهما أهم خصائص الصورة، لذا فقد ركزت الدراسات اللاحقة على دراسة هاتيـــن الخصيصـــتين واســـتغرقت فيهما. شبيه بهذا اتجاه الباحثين إلى دراسة الجوانب المعرفية للصورة بعد أن نشر تاجفيل Tajfel (١٩٦٩) دراسته فى هذا المجـــال[٢] كذلـــك فقد اتجه الباحثون نحو دراسة الأبعاد المعرفية- الاجتماعية للصورة بعد نشر دراسة تاجفيل أيضاً فى هذا المجال (١٩٨٥) [٣] معنى هذا أن الدراســـات الأولـــى فـــى أى مجال تحدد ، إلى حدٍ كبير ، منطلقات الدراسات اللاحقة فى هذا المجال وتحدد توجهاتها.

٢. مـــيل الباحثيـــن في العلوم الاجتماعية ، والإنسانية بصفة عامة ، إلى دراسة الخصـــائص السلبية لأى ظاهرة أكثر من دراسة الخصائص الإيجابية لها. فعلى الرغم من وجود جوانب إيجابية للاغتراب- مثلاً- وكونه وسيلة للتطور والتقدم، على ما ذهب إليه هيجل ومن قبله القديس أوغسطين والمعلم إيكهارت وأفلوطين وغيرهم، فإن الأبحاث الإمبيريقية فى مجال الاغتراب قد ركزت على الجوانب الســـلبية فيه[٤]. كذلك فرغم وجود بعض الجوانب الإيجابية للعولمة، فإن معظم الدراســـات تركـــز على الجوانب السلبية فيها ، وهذا هو الأمر نفسه فى مجال الصـــورة، فعلـــى الرغم من وجود بعض الجوانب الإيجابية فيها[٥] فقد ركزت معظم الدراسات على جوانبها السلبية. وقد يرجع ذلك إلى عدم الوضوح النسبى لإيجابيات الصورة على المستوى الاجتماعى فى مقابل وضوح وبروز سلبياتها فى كثير من المواقف المجتمعية الناتجة عنها (العدوان- التفرقة العنصرية..).

ســمة أخــرى من سمات البحث فى مجال دراسة خصائص الصورة هو النظر إلى الفرضيات **Hypotheses** باعتبارها حقائق **Facts** أو مسلمات **Axioms** تــم التأكد من صحتها والتحقق من صدقها، فالصورة ، وفق هذا المنظور ، هى "تعميمات مبالغ فيها" تتسم "بالسلبية" و "عدم الدقة"، وهى "غير منطقية" و "غير قابلــة للتغيــير" و "تقــاوم المعلومــات الجديدة" و "لها أصول جينية".. كما أن الصورة- وفق هذا المنظور- ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعصب، والتمركز الإسنى **Ethnocentrism** والتمييز العنصرى.. غير أننا لو افترضنا -جدلاً- صحة هذه الخصائص المنسوبة إلى الصورة ونسبة هذه السمات إليها لكان السؤال المنطقى الــذى يطرح نفسه: لماذا إذاً كلُ هذه الدراسات المكثفة التى تُجرى لاختبار هذه الخصائص وتلك السمات؟ أهو إعادة تأكيد لها؟ أم أنه لا توجد موضوعات بحثية أخرى جديرة بالبحث وخليقة بالدراسة؟!!!!

غايــة مــا يقــال إذاً عــن هذه الخصائص المنسوبة للصورة إنها مجرد "فرضيات" خاضعة للدراسة قد تثبت صحتها وقد لا تثبت، ولا يجب أن نعتبرها حقــائق إذا كانــت الأدلة البحثية غير كافية، وليس معنى هذا أن كل خصائص الصورة المعروفة خاطئة أو مزيفة ولكن معناه أننا ينقصنا الدليل على صحتها ، لــذا فإننا بحاجة إلى إعادة فحص الخصائص المنسوبة إلى الصورة وإلى إعادة "غربلــتها" ، وقوفــاً على الخصائص التى تم التأكد منها إمبيريقياً وتتماشى مع "المــنطق العلمــى"، وتحديداً للخصائص التى هى مجرد فرضيات لم يثبت بعد صــحتها فنقــبلها أو خطؤهــا فنرفضــها، كما أننا بحاجة إلى إعادة النظر فى تعريفات الصورة وإلى تخليصها مما لصق بها من خصائص ثبت خطؤها وعدم صــحتها، بــيد أن هــذه المهمة من العمق بحيث لا يستطيع باحث إجمالها فى صــفحات معدودات، ومن الصعوبة بحيث تحتاج إلى أن تكون موضوع دراسة فــى حدّ ذاتها. ولذا فإن مهمتنا فى هذا الفصل ستقتصر على الإشارة إلى بعض هــذه الخصــائص والسمات فى مجملها دون الإحاطة بها أو الاستطراد فيها .

ويمكن ، بصفة عامة ، تقسيم هذه الخصائص والسمات إلى:

- خصائص وسمات تتعلق ببنية الصورة وتكوينها.
- خصائص وسمات تتعلق بنتائج استخدامها.

أولاً: الخصائص البنيوية للصورة:

(١) عدم الصحة:

ذهــب كثــير مــن الباحثيــن إلى أن السمة الأساسية للصورة أنها غير صحيحة(٦) وذهب بعض الباحثين إلى "وصف الإنسان حامل الصورة بأنه يتسم بالجهل وسوء الإدراك وبأنه مريض عقلياً"(٧) باعتبار أن هذه الصور هى "نوع من الهلوسة **Hallucination**"(٨).

كما ذهب كثير من علماء علم النفس الاجتماعى إلى اعتبار الصور نوعاً من التعميمات الخاطئة **Faulty Generalizations** وأنها نتاج للتخيلات غير الدقيقة **Production of Inaccurate Imagination** وأنهــا نــوع من الإسقاطات النفسية **Projections** أكــثر مــنها تصــنيفات منطقية **Rationally Derived Categories** تســتخدم لتنظيم وتبسيط العالم الاجتماعى، وكنتيجة لذلك فقد أُعتبرت الصورة كأنهــا انعكــاس للتشــويه المعرفى **Cognitive Distortion** ولسوء الفهم وسوء الاتصال(٩).

ولكن هل يمكن أن تكون كلّ الصور بالضرورة غير صحيحة؟ وهل يمكن أن تكون كل جوانب الصورة الواحدة غير صحيحة؟ أى أن عدم الصحة يسرى علــى المجموع الكلى للصور من ناحية، وعلى تكوين كل صورة على حدة من ناحــية أخــرى؟ إن المنطق العلمى لا يدعم هذه المقولة كلية، كما أن الأبحاث الإمبيريقية لا تؤيدها:

- يقــول الفيلسوف البريطانى برتراند راسل **Russell** إن خبرة كل يوم ليست بالضــرورة خــبرة زائفة أو خادعة **Illusory** فلابدّ أن هناك علاقة بين المظهر

Appearance والحقيقة الكامنة وراءه[١٠].

- يقول ولترليبمان "إن الأسطورة ليست بالضرورة مزيفة (زائفة) فربما تكون كلهـا صحيحة وربما تكون بعض أجزائها صحيحة فقط، بيد أنها لابد أن يكون فيها جزء من الصحة على الأقل"[١١].
- ذهب بيرنات ومانيس Biernat & Manis إلى أن كل صورة بها "حبة صدق Grain of truth أو جزء من الحقيقة[١٢].
- ذهـب فيشمان Fishman إلى أن الصورة تعتبر "تمثيلا صادقاً للواقع الذى نبعت منه أو انعكاساً له " Faithful Representation of Reality [١٣].
- ذهـب فينيكى Vinacke إلى "أنه من السخف أن ندعى أن الجماعات التابعة لدولة معينة أو بيئة ثقافية معينة لا يوجد لديها خصائص عامة (صورة) تميزهم عـن الجماعات الأخرى[١٤] أما تريانديس وفاسيليو Triandis & Vassiliou فقد أوضـحا بطـريقة إمبيريقـية أن صورة اليونانيين والأمريكيين المتبادلة بينهما تحتوى على جزء كبير من الصحة وليست هذه الصور خاطئة تماماً[١٥].

خلاصـة القـول فى هذه الخصيصة، إننا لا نستطيع أن نقول: إن كل الصور زائفة وغير صـحيحة، كمـا لا نستطيع القول إن كل الصور صادقة وصحيحة، فكل صورة قد تحتوى علـى جوانب صحيحة وجوانب أخرى غير صحيحة، وقد تكون هناك صور غير صحيحة ولكنها ليست سمة لمعظم الصور أو خصيصة لجميعها.

(٢) عدم الدقة:

هـل لابـدَّ أن تكون الصورة بالضرورة غير دقيقة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تتوقف على تعريفنا للصورة ؛ فهل نعرفها على أنها "رأى مبسط إلى حدٍّ الإفراط المشوه"[١٦] وأنها "ليست صادقة بالضرورة"[١٧] لأنها " تُصاغ على غير أسـاس علمـى أو موضـوعى"[١٨] وأنها " معتقدات غير دقيقة عن الجماعات الأخرى"[١٩].

فـــى هـــذه الحالة الإجابة سوف تكون نعم ؛ الصورة لابدً أن تكون غير دقيقة، بيد أن هذه التعريفات تتطلب أن يقتصر اهتمام الباحثين فى مجال الصورة على المعتقدات عن الجماعات التى يثبت بالدليل القاطع أنها غير صحيحة. فعلى سـبيل المثال ، يستطيع الباحث أن يدرس الاعتقاد القائل: إن اليهود يديرون كل البـنوك الأمريكـية، لأنه اعتقاد خاطئ ، غير أنه لا يدرس الاعتقاد القائل: إن اليهود هم أغنى فئة أقليات فى الولايات المتحدة لأنه اعتقاد صحيح(٢٠).

كما أن هذه الخصيصة (عدم الدقة) تعدُ صحيحة وصادقة فى حالة النظر إلـى الصـورة علـى أنهـا "تعمـيمات إما الكل صحيح أو لا All or Non Generalizations عـن أعضـاء جماعـة ما ؛ فلو قلنا إن الألمان كلهم أكفاء، وتصورنا أن هناك شخصاً ألمانياً وحداً غير كفء، إذاً الصورة فى هذه الحالة تعدُ غير صحيحة. ولقد أخذ ألبورت Allport (١٩٥٤) بهذا المعيار عند تفرقته بيـن الصـورة والمعـتقدات الدقيقة عن خصائص جماعة ما، فبالنسبة له "كلُ المحامين محتالون "هذه صورة" أما قولنا "المحامون أكثر احتيالاً من بقية الناس فهذه ليست صورة"(٢١).

وقـد أشار جود و بارك Judd & park (١٩٩٣) إلى وجود ثلاث طرق يمكن أن تؤدى إلى عدم دقة الصورة:

١. Stereotypic Inaccuracy وتؤدى إلى تشويه الإدراك (المبالغة فى تضخيم متوسط الأدب لدى الإنجليز مع التقليل المبالغ فيه من معرفتهم بالموضة..)
٢. Dispersion Inaccuracy وتتضمن تشويه تباينات الجماعة على صفة ما (رؤية الإنجليز أكثر انسجاماً أو أقل أدباً من الواقع الحقيقى)
٣. Valence Inaccuracy وتعكـس المـيل إلى رؤية الجماعة بطريقة أكثر إيجابية أو أكثر سلبية من الواقع(٢٢).

وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن الطريقة الوحيدة لحلّ هذه القضية هى المقارنـــة بين الصورة كما تم تقريرها مع محكات Criteria يُفترض أنها تعكس

الخصـــائص الأصـــلية لأفراد جماعة ما[٢٣] ، أى أنه لكى نحكم على صورة ما بأنها غير دقيقة فلابدَّ من المقارنة بين الصورة والواقع الحقيقى الذى تعكسه من خـــلال قواعد موضوعية للمقارنة، فلو أردنا مثلاً أن نحكم على الصورة القائلة "إن الألمان أكفاء" فلابد من معرفة نسبة الأكفاء فى المجتمع الألمانى ونقارن بين هذه النسبة والصورة المرسومة والمنطبعة عن الألمان وهكذا[٢٤].

(٣) الصورة مبنية على التعصب :

تحتل دراسة الصورة مكان القلب فى دراسات التعصب[٢٥] وتمثل العلاقة بيـــنهما موضع دراسات كثيرة فى الفترة من الأربعينيات وحتى السبعينيات من القرن العشرين ، وذلك على افتراض أن الصور تقوم بتبرير التعصب **Serve to Justify Prejudice** أو أنهـــا تقـــوم علـــى إدراكـــات ومعـــتقدات تتسم بالتحيز والتعصب[٢٦].

علـــى أن هـــناك بعـــض الدراســـات الإمبيريقية التى لا تدعم مثل هذه الفرضـــية، ففـــى الدراسة التى قام بها إيجلى وملادينتش **Eagly & Mladinic** (١٩٨٩) وجـــد الباحـــثان أن شـــدة العلاقة بين صورة النوع والاتجاهات نحو الرجال والنساء كانت تتراوح بين ٠,٠٢- ٠,٠٣ وهى علاقة ضعيفة جداً (فى الوقـــت الذى وجدت فيه الدراسة علاقة ارتباطية قوية بين الصورة والاتجاهات نحـــو الحـــزب الجمهـــورى أو الديمقراطى فى الولايات المتحدة)[٢٧] كما وجد ماكايولى وتانجفيل **Mccauley & Thangavel** (١٩٩١) أن صورة وظائف النوع كانت غير مرتبطة مع الاتجاهات نحو المرأة[٢٨].

وعلى الجانب النظرى توجد صور كثيرة لا تعتبر مبنية على العاطفة أو التعصـــب، فعلى سبيل المثال من الصعب أن نتخيل دوراً للتعصب فى الاعتقاد القـــائل إن الـــرجال أطول قامة من النساء، أو أن لاعبى السلة المحترفين أكثر طـــولاً وأقـــوى من غيرهم.. على هذا فدور العاطفة أو التحيز أو التعصب فى

خلق الصورة قد يكون سؤالاً فى حاجة إلى دراسات إمبيريقية لاختباره أكثر من كونه مكّوناً أساسياً من مكونات الصورة(٢٩).

(٤) المقاومة للتغير والتغيير:

يشير كثير من الباحثين إلى أن إحدى خصائص الصورة الرئيسة هى الثبات Fixedness والجمود Rigidity، فالصورة على حدّ تعبير ليبمان "من الصعب هزها أو تغييرها Hard To Shake" (٣٠) أو على حدّ تعبير بعض الباحثين "أشبه برسوم.. يصعب تعديلها"(٣١) وهى "تميل إلى الثبات ومقاومة التغير " كما أنها "ثابتة لا تؤثر فيها الأحداث المتغيرة"(٣٢) .

على أن الواقع لا يدعم مثل هذه الفرضيات وتلك التعريفات، فعلى سبيل المثال كان لدى الأمريكيين اتجاه سلبى (صورة سلبية) نحو الألمان واتجاه إيجابى نحو الروس فى أثناء الحرب العالمية الثانية، واتجاه إيجابى نحو الألمان وسلبى نحو الروس بعد الحرب.

كما أن هناك حالات تكون فيها الصورة صادقة وصحيحة على إجمالها غير أن فيها بعض الاستثناءات ؛ فهل نغيّر الصورة الكلية بناء على الاستثناءات ؟ إننا يمكن أن نقوم بهذا ولكنْ فى حال تعريفنا للصورة على أنها "تعميمات إما كلها صحيحة أو خاطئة All or Non Generalizations فعلى سبيل المثال، عندما تكون لدينا صورة بأن كل الألمان (بدون استثناء) أكفاء، وقابلنا ألمانياً غير كفء. فى هذه الحالة يكون تفكيرنا غير مبرر ولا مقبول لو ظللنا على الصورة القديمة، ولكنْ هل يوجد من يعتقد فى أن أى صورة ليس لها استثناءات فى الواقع ؟(٣٣) الإجابة بالطبع لا.

على هذا فالصورة ليست ثابتة على إطلاقها، وليست جامدة فى جميع أحوالها، ولكنّ ذلك يتوقف على عوامل أخرى كثيرة.

(٥) الصورة مبنية على المبالغة فى تضخيم الاختلافات بين الجماعات:

يمكـــن القـــول ، بصفة عامة ، إن الصورة مثل "الكاريكاتير" تقوم على الإدراك الجزئى لجانب من الموضوع ثم محاولة تضخيمه وإبرازه بشكل مبالغ فيه(٣٤) وقد ينتج التضخيم والمبالغة فى فن الكاريكاتير عن محددات وظيفية له، بيْد أن هذه المبالغة فى الصورة تأتى نتيجة عمليات نفسية وإدراكية حتمية لدى الإنسان، فكما يبدو اللون الرمادى الغامق أميل إلى السواد (مظلم أو داكن) ويبدو اللون الرمادى الفاتح أميل إلى اللون الأبيض (مضىء) كذلك فإن الألمانى يبدو أكثر كفاءة والإيطالى أقل كفاءة وهكذا(٣٥).

وتعتـــبر الفكـــرة القائلة إن الصور هى مبالغات للاختلافات الحقيقية بين الجماعات فرضية جذابة.. أحد مكونات هذه الجانبية أنها تقدم إجابة عن السؤال القـــائل: ما الخطأ فى الصورة؟ إضافة إلى كونها نقطة إلتقاء **Confluence** لعدد مـــن الـــنظريات المفســـرة، فالمبالغة يمكن التنبؤ بها باعتبارها جزءاً من تأثير التـــناقض الإدراكى **Perceptual Contrast Effect** وكعملية تبسيطية أو تلخيصية تســـاعد علـــى تقليل الطلب على مصادر طرق تمثيل المعلومات المحدودة لدى الإنســـان، أو كنتـــيجة لدوافـــع تقيـــيم الذات المتضمنة فى عمليات التوحد مع الجماعات أو الصراع معها(٣٦).

وعلـــى الرغم من شيوع هذا الفرض ومعقوليته، فإن هذا الفرض لا يجد تدعيماً له من الدراسات السابقة، فقد قام ماكايولى **Mccauley** باختبار الدراسات المـــتعلقة بهذا الموضوع، وخلص من استعراض هذه الدراسات إلى أن المبالغة فـــى الصـــورة هى على أقصى تقدير لها مجرد فرضية(٣٧). كما ذهب مارتين **Martin** إلـــى وجـــود دليل ضعيف على صحة هذه الفرضية، وذلك على الأقل عندما لا تكون المحكات التى تقاس بها الفروق مقاييس موضوعية(٣٨).

(٦) الصورة هي تبسيط مبالغ فيه للواقع المعقد :

يشير كثير من الباحثين إلى أن "المبالغة فى التبسيط" **Oversimplification** هــى إحــدى خصائص الصورة الأساسية، فالصورة "تمثل رأياً مبسطاً إلى حدً الإفــراط المشوّه"[٣٩] وهى "ذات محتوى غاية فى البساطة"[٤٠] و "تتمثل الوظيفة الأساســية (لهــا) فى التبسيط"[٤١] وهى أيضاً تمثل نموذجاً مبسطاً لبيئة الفرد.."[٤٢]. وتتسم بصفة عامة بــ "التبسيط"[٤٣].

كمــا يشير بعض الباحثين إلى أنه "من أجل تبسيط عملية تكوين الصور فإننا عادةً نلجأ إلى الحكم على الأشياء من خلال استخدام المقارنات التى تشتمل علــى متضــادات مــثل أبيض وأسود، خير وشر، عادل وغير عادل، مقدس وملعــون.. وبــدون التبســيط والتعمــيم نفقــد القدرة على التعامل مع العالم الواقعى"[٤٤].

وعلــى الرغم من معقولية الخصيصة، واتفاق معظم "الدراسات المُنظِّرة للصورة عليها، فإن الباحث لا يستطيع تأكيدها أو نفيها فى ضوء قلة الدراسات الإمبيريقــية المتاحة التى تختبر هذه الفرضية، ومن ثمّ فإن "تعليق الحكم" يبدو ضرورة بحثية إلى حين توفر هذه الدراسات.

(٧) الصورة غير منطقية فى أصولها Illogical in Origin

يوجد اعتقاد لدى بعض الباحثين فى مجال الصورة أن معظم الصور غير مبنــية علــى المنطق، وأنها ذات أسس غير عقلية، وذلك لأنها تنبع من الخبرة الفردية، وتعتمد على السمع وليس على الخبرة المباشرة[٤٥].ولكنّ كوْن الصورة غير منطقية فقط لاعتمادها على السمع والخبرات غير المباشرة يخلق لنا مشكلة صعبة؛ فالافتراض القائل إن التعلم عن الجماعات الأخرى بطريقة غير مباشرة يكون بالضرورة غير منطقى وغير صحيح هو افتراض لا نستطيع أن نسلِّم به. فكــيف يستطيع أى باحث أن يدعى أن الخبرة الشخصية المباشرة هى المصدر

الأوثــق والأوحد للتعلم المنطقى؟ هل لابدً بالضرورة أن نذهب إلى القمر لكى نعلم عنه شيئاً ؟ وهل لابدً من الذهاب إلى جواتيمالا حتى نعلم شيئاً عن سكانها ؟ وهل لابدً من الذهاب إلى إندونيسيا حتى نعلم شيئاً عن جزرها..؟! [٤٦].

ثانياً: خصائص تتعلق بنتائج استخدام الصورة:

(١) الصورة تقود الناس إلى تجاهل الاختلافات والفروق الفردية:

نتــيجةً لخصيصة "المبالغة فى التعميم" السابق ذكرها واعتماداً عليها، فإن الأفــراد يفترضون بطريقة آلية أن كل فرد من أفراد الجماعة موضوع الصورة تنطــبق عليه صورة الجماعة ككل، على الرغم مما بينهم من اختلافات وفروق فردية. أى أنه عندما تكون المعلومات الشخصية عن كل فرد من أفراد الجماعة غامضة أو صعباً الحصول عليها، فإن الناس يميلون إلى الاعتماد على الصور الموجــودة لديهــم عن استخدامهم معلومات شخصية[٤٧] فعلى سبيل المثال، فى حالة غياب أى نوع من المعلومات، فإن كثيراً من الناس قد يتوقعون أن أى يوم فــى الألاســكا هــو أكثر برودة من أى يوم فى نيويورك، وأن أى لاعب سلة محــترف هو أطول من أى إنسان آخر. ولكن هل ستظل هذه الصورة ثابتة أو ســيظل الفــرد على حكمه لو توفرت لديه معلومات عن يوم من أيام الألاسكا المشمس (درجة الحرارة ٣٠ درجة) فى حين كانت فى نيويورك (٦) درجات؟! الحقيقة أنه لا توجد دراسات إمبيريقية تبين أن الناس يتجاهلون الفروق الفردية إذا توافرت لديهم المعلومات[٤٨] خاصةً وأن هناك عدداً من الدراسات التى تشير إلـــى أن الـــناس يبـــنون أحكامهم ، إلى حدً كبير ، على الخصائص الشخصية للجمهـــور أكثر من الاعتماد على تصنيفهم باعتبارهم أعضاء فى جماعة عرقية أو إثنية معينة[٤٩].

(٢) الصورة تؤدى إلى تكوين إدراكات متحيزة (متعصبة) لدى الأفراد:

لأن الصـــورة مبنــية على التعصب Based in Prejudice (على ما سبق ذكــره) كما أنها متحيزة Biased لذا فقد تؤدى أحياناً إلى إصدار أحكام متحيزة ومتعصــبة ، وعلـــى حدّ تعبير بعض الباحثين "فمن خلال الصور يرى الناس جوانب من الحقيقة، ويهملون جوانب أخرى لأنها لا تتماشى مع معتقداتهم، ولا تـــأتلف مـــع اتجاهاتهم، فالصور النمطية ما هى إلا أحكام أو تقويم لما نراه فى ضـــوء تحيزاتنا وقيمنا ومبادئنا ، حيث ينبع التحيز والتعصب من العلاقات بين عضـــوية الجماعـــة والخصائص النفسية للفرد. كما تؤثر الصورة على طريقة معالجـــة الأفراد للمعلومات، فالمعلومات المحابية يتم نسبتها إلى جماعة الفرد، بينما يتم نسبة المعلومات غير المحابية إلى الجماعات الأخرى الخارجية"(٥٠).

وقـــد ذهب كلٌ من هاملتون وجيفورد إلى أن "التحيز المعرفى فى طريقة استقاء المعلومات أو التعامل معها، يمكن أن يشكل تحيزات فى تكوين الصورة، وذلك لأن التحيز المعرفى قد يؤدى إلى إدراك متباين لدى جماعتين اجتماعيتين، ولأن الصـــورة النمطـــية تعـــتمد على إدراك الاختلافات بين الجماعات وعقد المقارنـــة بيـــنهما، فإن التحيز المعرفى ، من وجهة نظرهما ، يمكن أن يشكل تحيزات فى تكوين الصورة"(٥١).

وعلى صعيد الدراسات الإمبيريقية، نجد تضارباً فى نتائج هذه الدراسات: فقـــد ذهبـــت بعض الدراسات إلى أن الصورة تؤدى إلى تكوين هذه الإدراكات المتحـــيزة لـــدى الأفراد(٥٢) وذهبت بعض الدراسات إلى أن الصور تؤدى إلى تكوين أحكام عكسية Counter Stereotypic Judgements، فالإناث قد يُرون على أنهـــن أكثر عنفاً من الذكور(٥٣) كما ذهبت دراسات أخرى إلى عدم وجود دليل على أن الصورة تؤدى إلى تكوين مدركات متحيزة لدى الأفراد(٥٤).

علـى هذا، فإن الصورة قد تؤدى (أحياناً) إلى إصدار أحكام متحيزة لدى الأفـراد ، غـير أن تعميم هذا الحكم على المواقف كافة، والقول بأن الصورة تـؤدى (دائمـاً) إلى إصدار أحكام متحيزة لدى الأفراد يعتبر سوء تقديم لنتائج الدراسات الإمبيريقية.

(٣) الصورة تؤدى إلى التمركز حول السلالة Ethnocentrism:

يمكـن تعـريف التمركز حول السلالة بأنه "رؤية الجماعة الداخلية للفرد على أنها مركز كل الأشياء.. وهى تعنى أيضاً الإعجاب بجماعة الفرد وتفضيلها علـى الجماعـات الأخـرى"(٥٥) وقد حدد ترياندس **Triandis** أربعة أبعاد لهذه الخصيصة من وجهة نظر أفراد الجماعة الداخلية:-

- مـا يجرى فى ثقافتنا يتم رؤيته على أنه "طبيعى" و "صحيح"، وما يجرى فى الثقافات الأخرى يتم إدراكه على أنه "غير طبيعى" و "غير صحيح".
- نحـن نـدرك عـادات الجماعـة التى ننتمى إليها باعتبارها "صالحة" لجميع الجماعات الأخرى.
- نحـن نعـتقد، وبـدون مناقشة، أن عادات الجماعة التى ننتمى إليها وتقاليدها وقيمها جميعها صحيح.
- نحـن نعتقد (نؤمن) أنه من الطبيعىّ أن نساعد ونتعاون مع أفراد جماعتنا من أجـل صـالحها وأن نشعر بالفخر إزاء عضويتنا فيها فى الوقت الذى نصبح شاكين فى، وعدوانيين تجاه، الجماعات الخارجية كافة (٥٦).

وقد أشار براون **Brown** إلى أن سبب كون معظم الصور خاطئة هو أنها تتضـمن تقيـيم خصـائص الجماعات الخارجية وفق معايير الجماعة الداخلية للفـرد(٥٧). على أن هذه الخصيصة قد تصدق فى دراسات الصورة القائمة على أسلوب "قائمة الكلمات الوصفية **Trait Words List**" التى استخدمها الباحثون منذ أن اسـتخدمها كاتزوبـريلى **Katz & Brely** (١٩٣٣) غـير أنها لا تصدق فى

الدراسات التى تستخدم أساليب أخرى أكثر موضوعية فى قياس الصوره، فكثير مــن الصــفات الــتى استخدمها كاتز وبريلى هى صفات نسبية يختلف معناها ودلالاتهــا من جماعة إلى جماعة، ومن ثمَّ فهى غير موضوعية تماماً فى قياس الصورة.

غاية ما يقال فى هذه الخصيصة ، فى ضوء قلة الدراسات المؤيدة لها أو النافية ، إنها مجرد فرضية قابلة للدراسة وليست صفة أو خصيصة للصورة تم إثباتها أو التحقق منها.

(٤) الصورة تخلق نبوءة التحقق الذاتى لها The Self- Fulfilling Prophecy :

يمكــن تعريف هذه الخصيصة بأن السمات أو الصفات المنسوبة للجماعة الخارجية تخلق توقعات لسلوكهم، وهذه التوقعات لها جانبان سلبيان، أولهما أنها تؤثــر على سلوك أفراد الجماعة الداخلية وثانيهما أنها تؤثر على طريقة إدراك وتفسير تصرفات أفراد الجماعة الخارجية(٥٨).

ويمكن تعريفها أيضاً على أنها " تنبؤات لا تصدق على الوقائع الفعلية فى الوقت الذى تصاغ فيه هذه التنبؤات ، غير أنها تغدو صادقة بسبب الأفعال التى تتخذ كنتيجة مترتبة على الاعتقاد فى صحة هذه التنبؤات " (٥٩)

ويشــير ميللر Miller إلى أن الأفراد لديهم نزعة نارية Hell bent لتأكيد افتراضـــاتهم وتوقعاتهم عن الأفراد الآخرين، وسوف يبحثون- بانتقائية- عن ، ويقــبلون بانتقائــية أيضـــاً ، المعلومات التى تؤيد توقعاتهم. وهذا يضع الفرد موضـــوع التوقعات فى موضع لا يُحسد عليه، وقد يمثل ضغطاً قوياً على الفرد ليجسد رؤية صانع الصورة له ويدمج هذه الصورة فى مفهومه الداخلى وبالتالى "يتصرف خارج نطاق الدور" (٦٠).

علـــى ســبيل المــثال- فـــى بداية هذا القرن كانت معظم النقابات تمنع الأمريكييــن من أصل إفريقى من الانضمام إلى عضويتها، وكانت هذه النقابات تدعـــى أن الأمريكيين من أصل إفريقى عادة ما يثيرون الشغب والاضطرابات

وأنهم لا يمكن الثقة بهم ، وهذا بالتالى قلل من فرص عمل الأمريكيين من أصل إفــريقى، ونتــيجة لذلــك فقــد قــام هؤلاء السود بحركة تمرد وأثاروا الشغب والاضــطرابات نتــيجة منعهم من العمل، وبالتالى تحققت الصورة التى كونتها النقابات عنهم باعتبارهم مثيرى الشغب (٦١).

مــثال آخــر ، مــع أن " بنك الولايات المتحدة " ، وهو بنك خاص رغم اسمه، لم يكن فى ضائقة مالية جديدة فى عام ١٩٢٨ ، فإن الكثير من أصحاب الودائع " ظنوا " أنه يعانى ضائقة مالية لا مخرج منها، وقد يفلس سريعاً ، وقد أدى ذلــك " الاعــتقاد " إلى سحبهم لودائعهم ، مما دفع البنك إلى الإفلاس فى الواقع (٦٢).

وعلــى صعيد الدراسات الإمبيريقية ذهبت بعض الدراسات إلى أن تأثير الــتوقعات علــى الصورة يعتبر صغيراً جداً أو أنه غير موجود (٦٣) كما ذهبت بعــض الدراســات إلــى أن "نبوءة التحقق الذاتى للصورة" لا تتم بدون وجود توقعات دقيقة (٦٤).

معــنى هذا أنه لا يوجد اتفاق على هذه الخصيصة وأنها مثل غيرها من الخصائص مجرد فرضية فى حاجة إلى دراسة.

- **هوامش الفصل الثانى**

(1) Jussim, Lee et al (1995):" Why Study Stereotype Accuracy and Inaccuracy?" In : Lee,Y. et al (Eds) Stereotype Accuracy: Toward Appreciating Group Differences. New York. American Psychological Association, P. 17.

(2) Tajfel , H. (1969): Cognitive Aspects of Prejudice. Journal of Social Issues, vol.25 , PP 79-97.

(3) Tajfel, H. & Turner, J. (1982): "The Social Identity Theory of Intergroup Behavior" in: W.G. Austin & S. Worchel (Eds) The Social Psychology of Intergroup Relations. Belmot CA , Wadsworth, PP 33-47.

(٤) أيمـن منصـور نـدا (١٩٩٧) العلاقـة بيـن التعرض للمواد التليفزيونية الأجنبية والاغـتراب الثقافى لدى الشباب الجامعى المصرى. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ص ١٩-٤٩

(6) Reicher , S. Et al (1997): "Stereotype Construction as A Strategy of Influence" In : Spears,R. et al (Eds) The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackwell Publishers inc., PP. 94-118.

(٦) ذهـب تيموثى Timothy إلى أن الصورة هى "بنية تكاملية من المعانى أو السمات .. وهـذه السـمات غير صادقة" وذهب انجليش و انجليش Enghish & English إلى أن "الصـورة هـى.. إدراك جزئى لجانب من الحقيقة" وذهب جانيس Janis إلى "زيف الصورة وكونها مفهوماً زائفاً".

(8) Bramel, D. (1992): On Bringing Intergroup Conflict Back Into The Study of Prejudice. Paper Presented at the Looth Annual Convention of the American Psychological Association, Washington, Dc.- Cited at Ottati & Lee (1995): Op.Cit. p.38

(9) Horowitz, M. (1978): Image Formation and Cognition. New York, Appleton-Century Crafts, 2 nd. ed. P.8.

(10) Ottati, V. & Lee, Y. (1995): Op.Cit., P. 38.

(11) Russell, B. (1974):" A Skeptical View of Mysticism " In : Alston , W. & Brandt, R. (Eds.) The Problems of Philosophy. Boston, Allyn & Bacon, 2 nd ed . P 65.

(12) Lippmanm,W. (1922): Op.Cit., P. 80.

(13) Biernat, M. & Manis, M. (1994): Shifting Standards and Stereotype- Based Judgments. Journal of Personality and Social Psychology. Vol. 66. PP. 5-20.

(14) Fishman, J. (1956) : An Examination of The Process and Function of Social Stereotyping. Journal of Social Psychology, Vol. 43 PP 26-64.

(15) Vinacke, W. (1956): Exploration in The Dynamic Process of Stereotyping. Journal of Social Psychology, vol. 43 , PP. 105-132.

(16) Triandis, H. & Vassiliou, V.(1967): Frequency of Contact and Stereotyping. Journal of Personality and Social Psychology, Vol. 7. PP 316-328.

(١٦) منير البعلبكى (١٩٩٢): مرجع سابق، ص ص ٤٤٩.

(18) Timothy, J. (1971): Op.Cit. , P.123

(١٨) السيد يس (١٩٩١): مرجع سابق، ص ص ٩١-٩٢.

(20) Brigham, J. (1971): Ethnic Stereotype. Psychological Bulletin, Vol. 76 PP 15-38.

(21) Jussim, Lee et al (1995) : Op. Cit. P.5

(22) Ibid.

(23) Judd, M . & Park, B. (1993): Definition and Assessment of Accuracy in Social Stereotypes. Psychological Review, Vol. 100- PP 109- 128.

(24) Campbell, D. (1967): Stereotypes and The Perception of Group Differences . American Psychologist, Vol. 22 PP. 817- 829.

(25) Jussim, Lee et al (1995) : Op.Cit., P.87.

(26) Brown, R. (1995) : Prejudice, Its Social Psychology, Oxford & Cambridge, Blackwell, P. 82.

(27) Jussim, Lee et al (1995) : Op. Cit., P.8.

(28) Eagly, A. & Mladinic, A. (1989): Gender Stereotypes and Attitudes toward Men and Women. Personality and Social Psychology Bulletin,Vol. 15, PP. 543- 558.

(29) Mccauley, R. & Thangavel, K. (1991): Individual Differences in Sex Stereotyping of Occupations and Personality. Social Psychology Quarterly, Vol. 54, PP. 267- 279.

(30) Jussim Lee et al (1995): Op.Cit., P. 8.

(31) Lippmanm, W. (1922): Op.Cit. , P. 25

(٣١) حامد زهران (١٩٨٤): مرجع سابق، ص ١٤١.

(٣٢) أشرف عبد المغيث (١٩٩٤) : مرجع سابق ، ص ٦١

(34) Jussim, Lee et al (1995): Op.Cit., PP 8- 9.

(٣٤) وليد خدورى (١٩٧٩) : " النفط وأجهزة الإعلام الغربية " فى : الإعلام الغربى والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية ، لندن ١٩٧٩. الإمارات ، وزارة الإعلام والثقافة ، ص ٦٧

(36) Jussim, Lee et al (1995):Op. Cit., P. 10.

(37) Jussim, Lee et al (1995):Op. Cit., P. 10

(38) Ibid.

(39) Martin, C. (1987): A Ratio Measure of Sex Stereotyping. Journal of Personality and Social Psychology, Vol. 52, PP 4789- 499.

(٣٩) منير البعلبكى (١٩٩٢): مرجع سابق، ص ٤٤٩.

(41) Bowes, J. (1977) Op. Cit., P. 70- 76.

(42) Tajfel , H.(1969): Op. Cit.

(٤٢) أشرف عبد المغيث (١٩٩٤): مرجع سابق، ص ٦١.

(٤٣) السيد يس (١٩٩١): مرجع سابق، ص ص ٩١-٩٢.

(٤٤) ثريا البدوى (١٩٩٥): مرجع سابق، ص ٩٢.

(46) Jussim, Lee et al (1995) : Op. Cit., P. 7.

(47) Ibid

(48) Biermat, M .& Manis , M.(1994) : Op. Cit.,P.P 5- 20.

(49) Jussim, Lee et al (1995): Op. Cit., PP. 12-13.

(50) Ibid., P 13.

(٥٠) ثريا البدوى (١٩٩٥): مرجع سابق، ص ٩٦.

(٥١) المرجع السابق نفسه.

(53) Jussim, L. (1991): Social Perception and Social Reality: A Reflection-Construction Model. Psychological Review, Vol. 98, PP. 54- 73.

(54) Candry, S. & Ross, D. (1985): Sex and Aggression: The Influence of Gender Label on The Perception of Aggression in Children. Child Development, Vol. 56 , PP 225- 233.

(55) Locksley, A. et al (1980): Sex Stereotypes and Social Judgment. Journal of Personality and Social psychology, Vol. 39, PP 821- 831.

(56) Smith, p. & Band, M. (1998): Social Psychology Across Cultures. London, Prentice Hall Europe, 2 nd ed. P 191.

(57) Smith, p. & Band, M. (1998): Op.Cit, P 191.

(58) Brown, R. (1995): Op. Cit., P. 90.

(59) Miller, A. (1982): " Stereotyping: Further Perspectives And Conclusions." In: Miller, A. (Ed) Op.Cit., PP 466- 505.

(٦٠) صلاح قنصوه (١٩٩٨) : مقدمة كتاب " صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمى ". القاهرة ، سطور ، ص ص ٢٥-٢٦

(61) Miller, A. (1982): Op.Cit., p495

(62) Jussim , Lee , et al (1992) : Op.Cit., pp14-15

(٦٣) صلاح قنصوه (١٩٩٨) : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(64) Chapman , G.& Mccauley , C. (1993) : Early Career Achievements Of National Science Foundation Graduate Applicants : Looking for Pygmalion and Galatea Effects on NSF Winners . Journal of Applied Psychology , Vol. 78, pp815-820

(65) Jussim , Lee , et al (1992) : Op.Cit., pp52-73

الفصل الثالث

الصورة :
التوجهات
النظريـة

تمهيد:

مـرت دراسـات الصـورة مـنذ أن أبرزها ليبمان Lippmann وأدخلها فـى نطـاق دراسـات العلـوم الإنسانية بعدة مراحل، اتسمت كل مرحلة منها بعـدة خصـائص فكـرية وسـمات نظـرية، وانطلقـت كل مرحلة من إطار نظـرى يـبلورها ويحـدد توجهاتهـا. فقد شهد عقدا الثلاثينيات والأربعينيات بـزوغ الـتوجه النفسـى فـى دراسـة الصورة، بينما شهد عقدا الخمسينيات والسـتينيات سـيطرة الـتوجه الاجـتماعى، وسـيطر الـتوجه المعرفى على دراسـات الصـورة مـنذ نهايـة الستينيات وحتى منتصف الثمانينيات، بينما شهدت المرحلة الأخيرة بزوغ التوجهات المركبة فى دراسة الصورة[1].

ومـن اسـتقراء دراسـات الصـورة عـبر مراحلها المختلفة، يمكن لنا القـول إن هـناك بصـفة عامـة "توجهات سبعة" فى دراسة الصورة، يندرج تحـت كـل توجـه مـنها عـدد مـن الـنظريات والمداخل، وهذه التوجهات هى:-

١. التوجه الكلى- العام فى دراسة الصورة.

٢. التوجه النفسى فى دراسة الصورة.

٣. التوجه الاجتماعى.

٤. التوجه النفسى- الاجتماعى.

٥. التوجه المعرفى.

٦. التوجه الاجتماعى- المعرفى.

٧. التوجه النفسى- المعرفى.

وإذا كـان لكلٍ توجه من هذه التوجهات سماته المستقلة وخصائصه الفريدة التى "تجمع" نظرياته تحتها، و "تمنع" دخول نظريات أو مداخل أخرى إليها، فإن هـذه الـتوجهات يجمعهـا بصفة عامة "تاءات سبعة "يمكن إبرازها فى النقاط التالية:-

١. الـتكامل: فالعلاقــة بيــن هــذه الــتوجهات- مــن وجهة نظرنا- هى علاقــة "تكــامل" وليســت علاقــة "تفاضل"، فكل توجه يسد ثغرات فى التوجه الذى يسبقه ويضع أساساً نظرياً للتوجه الذى يعقبه.

٢. التواصــل: فالعلاقــة بيــن هــذه الــتوجهات هــى علاقة "اتصال" لا علاقــة" انفصــال "حيــث يمــدّ كــلّ توجــه الآخــر بمنطلقات ويستمد منه تفسيرات ومقاربات نظرية وإمبيريقية .

٣. الـتجانس: إذ علــى الــرغم مــن الاخــتلاف الظاهــر بيــن هــذه الــتوجهات، فإنهــا جمــيعاً فــى جوهــرها تــبدو " متجانســة " و"متشابهة" يجمعهــا اعــتقاد واحــد وهــو أن الصور لا تنشأ فى فراغ، كما أنها متعددة الأبعاد والمصادر.

٤. الـتداخل: إذ علــى الــرغم مــن التــباعد الظاهر بين هذه التوجهات، فإنهــا تــبدو "مــتداخلة" و "متشــابكة" ولا يمكن رسم حدود موضوعية فاصلة لكل توجه، تفصله عن بقية التوجهات الأخرى وتمنع تداخله معها.

٥. التــنافس: فعلــى الــرغم مــن الســمات الســابقة لهذه التوجهات، فإن باحــثى كــل توجــه يذهــبون إلى إمكانية التفسير الشامل للصورة من خلال هــذا الــتوجه، ولــذا يحــاولون "تعميقه" رأسياً دون محاولة الانفتاح "الأفقى" على التوجهات الأخرى.

٦. الـتلازم: فعلــى الــرغم مــن الإطار التنافسى بين هذه التوجهات، فإن الباحــث فــى مجــال الصــورة- خارج إطار هذه التوجهات- يرى ضرورة "تــلازم" هــذه الــتوجهات، وضــرورة الإلمــام بهــا جميعاً كشرط للدراسة الموضوعية لها.

٧. الـتأريخ : فكــل توجــه مــن هذه التوجهات يؤرخ لمرحلة من مراحل تطور دراسات الصورة ويحدد إطارها الزمنى على ما سبق ذكره آنفاً.

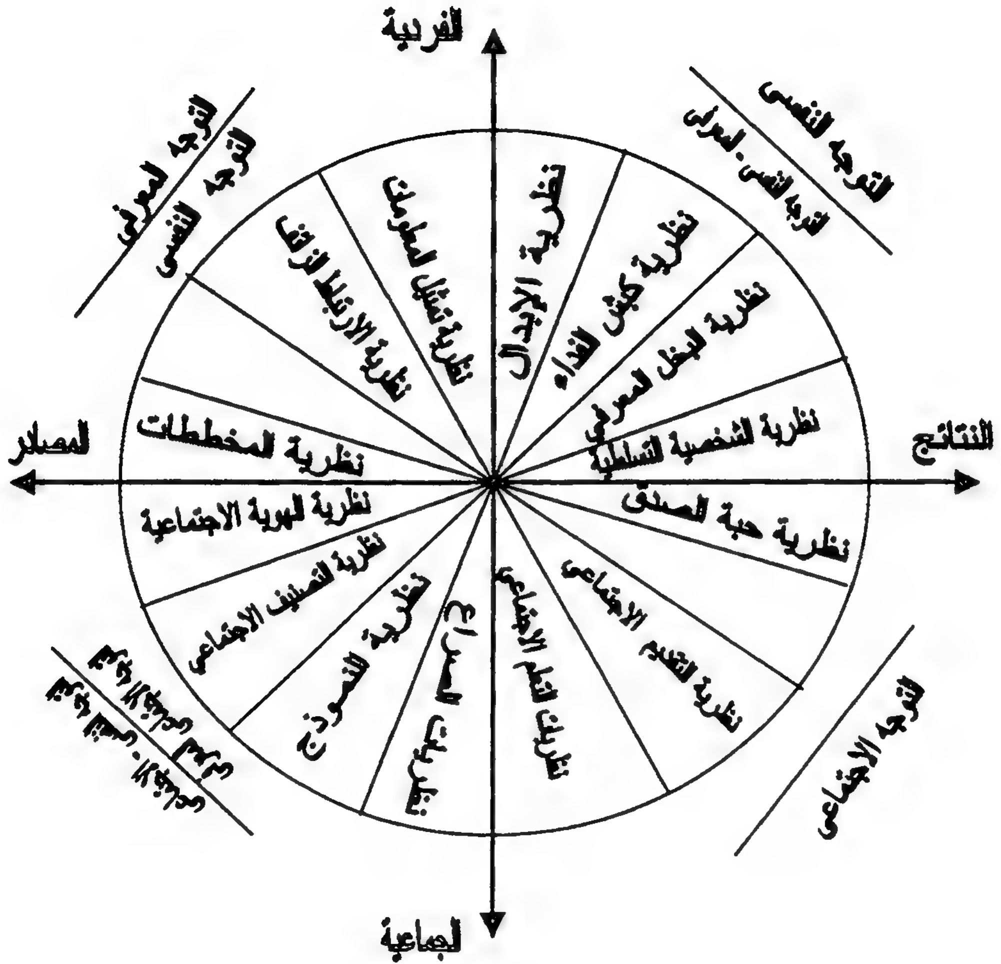
***

وإذا كانت "التاءات السبعة "السابقة تجمع بين هذه التوجهات النظرية لدراسة الصــورة وتوحّــد بيــنها، فــإن رسم" متصلين متعامدين" أحدهما يمثل متصل

الفردية- الجماعية والآخر يمثل متصل المصادر- النتائج، يمكن أن يوزع هذه التوجهات على النحو التالى:-

شكل رقم (٢)

توزيع التوجهات النظرية على متصلى الفردية والمصادر



ومن الشكل السابق يتضح لنا ما يلى:

١. إن هناك توجهات تبحث فى مصادر تكوين الصورة لدى الأفراد: وتعتبر هذه التوجهات الفرد وحدة مستقلة للبحث، وموضوعاً فردياً قابلاً للدراسة. وهذه التوجهات هى: التوجه المعرفى الذى يبحث فى البناءات المعرفية للصورة داخل الفـــرد، والـــتوجه النفســـى الذى يبحث فى دوافع الأفراد واتجاهاتهم نحو هذه الصور، ولكل توجه منهما نظرياته التى تندرج تحته على ما سيأتى ذكره.

٢. إن هـــناك توجهـــات تبحث فى مصادر تكوين الصورة لدى الجماعات: وهـــى على عكس التوجهات السابقة لا ترى إمكانية دراسة الفرد كوحدة مستقلة معـــزولاً عن البيئة الاجتماعية، فالمجتمع هو مصدر كل تصرف إنسانى ومنبع كلّ ظاهرة اجتماعية. ومن هذه التوجهات: التوجه الاجتماعى- النفسى والتوجه الاجتماعى- المعرفى.

٣. إن هـــناك توجهات تبحث فى نتائج الصورة على المستوى الفردى: أى تبحـــث عن استخدامات الفرد للصور، وطريقة تأثره بها وتأثيره فيها. ومن هذه التوجهات: التوجه النفسى والتوجه المعرفى، والتوجه النفسى - المعرفى.

٤. إن هناك توجهات تبحث فى نتائج الصورة على المستوى الجماعى: أى علـــى مســـتوى الجماعـــات والفـــئات المخـــتلفة. ومن هذه التوجهات: التوجه الاجتماعى.

٥. إن هـــناك توجهـــات تقـــف على حواف الزوايا الأربع للمتصلين: وهذه الـــتوجهات تكوّن دوائر بحثية متتابعة ومتدرجة من حيث العمق (ضيق الدائرة) والإحاطـــة (اتســـاعها) وتشـــمل مجالات عدة مثل المجال الإعلامىّ والمجال السياسىّ وغيرهما.

***

وتكاد سمة "التعددية" أن تكون "التاء الثامنة" للخصائص التى تميز هذه التوجهات النظرية السبعة، إذ يندرج تحت كل توجه منها عشرات النظريات والمقاربات والفرضيات التى تفسر عملية تكوين الصورة، وتوضح آلياتها، وتشرح خصائصها، وتتنبأ بما يمكن أن ينتج عنها.

وعلى الرغم من أهمية "الإحاطة الكاملة" بهذه النظريات كأساس للفهم والتفسير، ومع التسليم بهذا، فإن " الانتقاء العمدىّ" لبعض هذه النظريات والمقاربات، و"الإشارة العابرة" لها، قد يكونان أوجب لنا وألزم لعدم التشتت. ويمكن بيان التوجهات السبع على النحو التالى :-

أولاً: التوجه الكلىّ العام:

يعتبر التوجه الكلى العام هو التوجه الأول الذى انبثقت منه بقية التوجهات، ونبعت من خلاله مختلف النظريات. ويُنسب هذا التوجه إلى الصحفى الأمريكىّ ولترليبمان Lippmann وإلى كتابه الأساس "الرأى العام" الصادر سنة ١٩٢٢(٢).*

ومن الخصائص المهمة التى تميز هذا التوجه:-

- أنه يشرح بصفة عامة " ما هية الصورة" وهو ما يساعدنا على الفهم.
- أنه يبين بصفة إجمالية "خصائصها وسماتها" وهو ما يساعدنا على التفسير.
- أنه يحدّد بشكل كلىّ "دوافع العقل البشرى لتكوينها" وهو ما يساعدنا على التنبؤ.
- أنه يوضح بصفة شاملة" حدودها ومجالاتها" وهو ما يساعدنا على التحكم.

وبديهيٌ أن أى توجه يساعد على "فهم" ظاهرة ما و"تفسيرها" و "التنبؤ" بمساراتها و"التحكم" فيها يكون قد استوفى شروط "النظرية العلمية" وحقق "متطلباتها".

على أنه يجب الإشارة أيضاً إلى أن هذا "التوجه الكلىّ العام" لا يبحث فى التفاصيل ولا يهتم بالجزئيات، فهو توجه يبحث فى "الماهيات والجواهر" وعلى التوجهات الأخرى أن تبحث فى "الوقائع والمظاهر" ، وهو توجه يُجْمل "الظاهرة" وبقية المداخل تفصّل "الأحداث".

ويمكن عرض الخطوط العامة لهذا التوجه كما ظهر فى كتاب الرأى العام (١٩٢٢-١٩٩١م) لليبمان فى النقاط التالية:-

- يشير ليبمان إلى أن كلاً منا يعيش ويعمل فى بقعة صغيرة من الأرض، ويتحرك فى دائرة أصغر، ويحيط علماً بأشياء قليلة، ومن أى حادث كبير له تأثيرات عظيمة قد لا نرى على الأكثر منه إلا جملة بسيطة أو جزءاً صغيراً.. ورغم ذلك فإن آراءنا تغطى مساحة كبيرة وزمناً طويلاً وعدداً كبيراً من الأشياء[٣]، أى أن مساحة تصوراتنا أكبر بكثير من مساحة إدراكنا، وتوجد فجوة هائلة بينهما. فكيف يمكن سد هذه الفجوة؟

- يرى ليبمان أن كلّ شخص منا يصنع لنفسه بالتدريج داخل رأسه صورة موثوقاً بها للعالم الذى يعيش فيه ، وأياً كان اعتقادنا فى هذه الصورة، فإننا نتعامل معها كما لو كانت هى العالم نفسه[٤]. كما يرى ليبمان أن ما يُطْلَق عليه "تكيّف الفرد مع بيئته" يحدث من خلال هذه الصورة الخيالية Fiction أو البيئة الزائفة Pseudo Environment، على أنه يشير إلى أن الخيال والزيف لا يقصد بهما الكذب ، وإنما يقصد بهما إعادة تقديم البيئة الحقيقية فى صورة يصنعها الإنسان داخل عقله ويعيش

فـي تخـيلاته. وأن هـذه التخـيلات أو التصـورات لهـا مـدى واسع من الهلوسـة الكاملـة والـتخاريف إلـى الإدراك العلمى الكامل المستخدم للنماذج العلمية(٥).

ولكنْ هل هذه الصور بنات أفكار للإنسان أم يستمدها من الآخرين ؟

- يذهـب ليـبمان إلـى أن الإنسان يُحْكى له عن العالم قبل أن يراه، وذلك مـن خـلال أسـرته ومدرسـته، ومـن ثمَّ فهو يتخيل معظم الأشياء قبل أن تكـون له بهـا خـبرة، وهـذه المفاهـيم والمدركات المسبقة التى تُغرس فى عقلـه تـتحكم بعـد ذلـك فـى كيفية إدراكه للعالم وتصوره له(٦). كما يذهب ليـبمان إلـى أن مـا يقـوم به كلّ إنسان لا يكون مبنياً على المعرفة اليقينية ولكـن علـى صـور يصـنعها بنفسـه أو تُعطى له، فلو قال له "أطلسه" إن العـالم مسـطح فلـن يمشـى بالقـرب مما يعتقد أنه "حافة الكوكب الأرضى" خوفـاً مـن السـقوط. ولـو أن شخصاً أمسك بيده "معدناً أصفر" يشبه الذهب، فسـوف يتصـرف لـبعض الوقـت كمـا لـو كـان قد أمسك ذهباً بالفعل ، وهكذا(٧).

لكنْ ما الذى يدفع الإنسان إلى تكوين هذه الصورة ؟

- يشـير ليـبمان إلـى أن البيـئة الحقيقـية هى من الكبر والتعقيد وسرعة الـزوال، بحيـث لا نسـتطيع أن نـتعامل معها مباشرة. ولأننا يجب أن نعمل فـى هـذه البيـئة، فإنـنا يجـب أن نعيد بناءها فى شكل أبسط قبل أن نتعامل معهـا(٨). إضـافة إلـى هـذا فلابـد مـن الإشـارة إلى محدودية الاتصال الاجـتماعى، وقلـة الوقـت المـتاح كـل يوم للانتباه للشئون العامة، وكوننا نعـبر عـن الحقـائق الحياتـية باسـتخدام كلمـات عاجـزة عـن نقل كل التفاصيل(٩).

ولكنْ كيف يستخدم الإنسان هذه الصور؟

- يرى ليبمان أن الإنسان لا يرى أولاً ثم يعرف، ولكنه يعرف أولاً ثم يرى. ففى العالم الذى يتصف بأنه محيّر وسريع الزوال ومُربك نحن ننتقى فقط ما عرّفته لنا الثقافة ثم نميل إلى إدراكه فى الصورة التى صنعتها لنا الثقافة[١٠]. ونحن ننتقى ونختار رموزاً وعلامات يمكن لنا التعرف عليها من الواقع. وهذه الرموز تكون مليئة بالأفكار التى تحمل مخزوناً من صورنا، فنحن لا نرى الرجل أو غروب الشمس، ولكننا نلاحظ هذا الشيء الذى هو فى رأسنا رجل، ثم نرى ما سوف يملأه عقلنا فى هذه الموضوعات المرئية. ولأنه لا يوجد لدينا الوقت الكافى ولا الفرصة المناسبة للمعرفة المتعمقة والإدراك الكامل، فنحن نلاحظ خصيصة أو سمة قد تميز فئة معروفة عندنا ثم نملأ بقية الصورة بمعان مستمدة من الصور الموجودة عندنا والتى نحملها فى رؤوسنا. [١١].

ولكنْ ما المنافع التى تعود على الإنسان من استخدامه للصور؟ أو ما الوظائف التى تقوم بها الصورة للإنسان؟

- يشير ليبمان إلى أن هناك ثلاث وظائف أساسية للصورة لدى الإنسان هى:-

١. توفير وقته ومجهوده.
٢. الدفاع عن وضعه فى المجتمع.
٣. حفظه من الأضرار التى قد تترتب على رغبته فى رؤية العالم ثابتاً وكلياً[١٢].

وعلى حدّ تعبيره، فالصورة" لا تحفظ فقط أوقاتنا فى الحياة المليئة بالأعمال، وليست فقط وسيلة للدفاع عن وضعنا فى المجتمع، ولكنها

أيضـــاً تمـــيل إلـــى حمايتنا من التأثيرات المربكة والمذهلة Bewildering التى قد تصيبنا إذا حاولنا رؤية العالم فى شكله الكلى والثابت"[١٣].

كمـــا يشـــير ليـــبمان إلـــى أن الصـــورة "ليست مجرد نظام بديل للعالم الحقــيقى المحــير والســريع الــزوال، وليســت مجــرد مســارات مختصرة Shortcuts للتفكــير، ولكــنها كــلُ هــذه الأشــياء وأكــثر، فهــى الضــامن لاحترامــنا الشخصــى، وهــى الحصــن الحصــين Fortress لتقاليدنا، والتى خلــف خطــوط دفاعهــا وبواســطتها نســتطيع أن نســتمر فى الشعور بأننا آمنون فى الموقع الذى نشغله"[١٤].

لا عجــب إذاً إن رأى الإنســان أن أى إزعــاج أو تهديــد للصور التى يحملهــا فــى رأســه هــو هجــوم أو تهديــد للأسس التى يقوم عليها العالم بأســره، فهــو لا يقــبل الاعــتراف بــأن هــناك فــرقاً بيــن عالمه والعالم الحقيقى[١٥].

غــير أن ليــبمان يحــذِّر مــن بعــض التأثيرات السلبية للصورة، فلأن "صــورنا عــن كيفــية عمــل الأشــياء فــى العــالم بسيطة وثابتة بالمقارنة بــالواقع، لذلــك تــأتى علينــا أوقات لا نستطيع أن نفهم فيها شيئاً. وبدلاً من أن تقــوم الصــور بتوفــير جهدنــا وتركيز طاقتنا فقد تؤدى هذه الصور إلى شــعورنا بالإحــباط وإلــى تضــييع جهــد الإنســان وطاقته وإصابته بالعمى الفكرى"[١٦].

والخلاصــة كمــا يتصــورها ليــبمان هــو أنــه "قــد ضــاع الفضاء الحقــيقىّ، والزمــن الحقــيقىّ، والعــدد الحقــيقىّ، والعلاقــات الحقيقــية بين الأشــياء، والأفــراد الحقيقــيون، والأوزان الحقيقــية. لقــد تجمــدت كلُ هذه الأشــياء فــى الصــور"[١٧] وهــذه الصور على الرغم من كونها من صنيعة أيدينا، فإنها تقودنا فى هذه الحياة وتوجه مسارات تفكيرنا.

ثانياً: التوجه النفسىّ فى دراسة الصورة:

ساد التوجه النفسىّ فى دراسة الصورة فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين[18]، ووفق دراسات هذا التوجه فإن أهم خصائص الصورة هى:-

١. الصور تمثل انعكاساً لدوافع داخلية Inner Drives أو حاجات دافعية Motivational Needs للشخص الذى يكون هذه الصور.

٢. الصورة فى جوهرها هى وسيلة للدفاع عن الذات Ego-Defense [19].

٣. تعتبر عملية تكوين الصور لدى الأفراد عملية نفسية حتمية لا يمكن تجنبها[20].

٤. تمثل الصور نوعاً من التفكير المعيب الناقص Flawed وجميعها خاطئ ويحتوى على شر[21].

٥. جميع الصور زائفة وغير صحيحة[22].

واستجابة لهذه الخصائص، فقد مالت الدراسات الأولى فى مجال الصورة إلى وضع الصور فى عقول أولئك الذين يعانون الإحباط والتعصب والمتمركزين حول السلالة Ethnocentrism كما أن الصور، وفق هذه الدراسات، لم تكن إلا تعميمات خاطئة، صُنعت بواسطة أفراد متحيزين ومتعصبين أو تحت ظروف غير سوية[23].

وخلال هذه المرحلة من مراحل تطور دراسة الصورة، تم تطبيق عدد من فرضيات نظرية التحليل النفسى لفرويد على حاملى الصور ومستخدميها ، كما تم الربط بين الصورة والتعصب والعدوانية. كما ظهرت نظريات نفسية تفسر مصادر تكوين الصورة وآلياتها مثل نظرية

الإبدال (الإحلال) Displacement [٢٤] ونظرية "الشخصية التسلطية"[٢٥] ونظرية كبش الفداء[٢٦] وغيرها.

نظرية كبش الفداء Scapegoating Theory

وقد اشتقت هذه النظرية من فرضية الميول العدوانية الناتجة عن الإحباط Frustration-Aggression Hypothesis [٢٧] والتى تنص على أن السلوك العدوانى هو دائماً رد فعل وانعكاس لبعض الإحباط، فلو مُنِعَ (حُرِمَ) الأفراد من الوصول إلى بعض الأهداف ذات الجاذبية الخاصة لديهم، فإنهم يتصرفون بعنف مع الشخص مسبب الإحباط، غير أن هذا الشخص قد يكون قوياً جداً أو لا يمكن تحديده والتعرف عليه، إذاً فإن عداء الأفراد وعدوانيتهم سوف تتجه إلى أفراد أقل قوة وأكثر تحديداً.

وتشير النظرية إلى أن أفراد جماعات الأقلية (أو أفراد الجماعات الخارجية)عادة ما يقومون بدور الجماعات التى يحل العدوان بها، ومع هذا الإحلال يتم لوم هذه الجماعات ويُعزى إليها الإحباط وذلك بلصق صفات سلبية بهذه الجماعات[٢٨].

مثال على ذلك، فى أوقات الحروب، تزداد مشاعر الإحساس بالذنب، لأننا جميعاً نعلم أن الحرب شرّ، ولكنْ يجب على منْ نحبهم أن يخرجوا للقتال، وأن يَقتلوا أو يُقتلوا.. ولإراحة أنفسنا من الشعور بالذنب والإحساس به فقد نلوم الآخرين على مشاكلنا، ونعتبرهم سبباً لكل ما يحلّ من أزمات ومشاكل[٢٩].

وتوجد مجموعة صفات يجب توافرها فى الجماعات التى يتم استخدام هذا السلوك معها:

- أن يكون لها خصائص مميزة.
- سهولة الوصول إليها.

- إمكانية تشخيصها أو تحديدها بسهولة.
- عدم الخوف من إمكانية قيامها بهجمات انتقامية أو معارضة.

كما أن هناك أشكالاً مختلفة لهذا السلوك، فقد يحدث على المستوى الخيالى المحض، أو قد يكون لفظياً متمثلاً فى الإشاعات، النكت، القصص، إلصاق الألقاب السيئة، الاتهامات الباطلة، وقد يكون مادياً مثل العنف الجسدى، التفرقة العنصرية، تدمير الممتلكات، وغيرها [٣٠].

ثالثاً: التوجه الاجتماعىّ فى دراسة الصورة:

يركز التوجه الاجتماعى فى دراسة الصورة على كون الصور أشياءَ جاهزةً Ready Made لكثير من الأفراد ويتم الحصول عليها من خلال الثقافة ، وهم يكتسبونها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وهى تشكّل الأعراف السلوكية لهم تجاه الجماعات أو الأفراد الآخرين. كما يركّز هذا التوجه على القنوات الاجتماعية Social Channels المسئولة عن نقل الصور (المدرسة- وسائل الإعلام- المساجد- الكنائس..) كما يحاول تفسير التغيرات التى تحدث فى مجال الصورة بربطها بمختلف الحركات الاجتماعية والثقافية، مثل الأزمات الاقتصادية، والصراعات الدولية وحركات الحقوق المدنية وغيرها. كما يركز هذا الاتجاه على شرطى المشاركة Shareness والإجماع Consensus كشرطين محددين للصورة[٣١].

ووفق هذا التوجه فإن الصور مغروسة فى الثقافة ويتم اكتسابها من خلال مختلف الوسائل الثقافية والاجتماعية ومن خلال التنشئة فى الأسرة والمدرسة وعن طريق التعرض المتكرر لهذه الصور فى وسائل الإعلام[٣٢].

ووفـــق هـــذا الـــتوجه أيضـــاً فـــإن الصـــورة يمكن أن تنبع من الواقع الاجـــتماعى للجماعـــة موضـــوع الصـــورة، حيث يذهب بعض الباحثين إلى أن الأنمـــاط الســـلوكية الممـــيزة للجماعـــة أو ظـــروفها الاقتصـــادية والاجتماعـــية الخاصـــة بهـــا يمكـــن أن تمدنـــا بالبذرة Seed bed التى يمكن للصـــور أن تـــنمو مـــنها وتزدهـــر.. كمـــا أنهـــا يمكـــن أن تنبع من وظيفة أيديولوجـــية Ideological Function لتـــبرر أو تنـــتقد الوضـــع الحـــالى. فالصـــور بمخـــتلف أشـــكالها مغروســـة فـــى شبكة العلاقات الاجتماعية بين الجماعات(٣٣).

ووفقـــاً لهـــذا الـــتوجه فـــإن التماســـك الاجـــتماعى Social Cohesion والـــنظام الاجـــتماعى Social Order ينـــتجان عـــن الاتفاق العام على منظومة القـــيم، وهـــذه المـــنظومة تنـــتقل إلـــى الأفـــراد مـــن خـــلال عملية التنشئة الاجتماعـــية، وتعتـــبر الصـــور جـــزءاً مهمـــاً مـــن هذا الموروث المجتمعى Societal Heritage(٣٤).

كمـــا يشـــير هـــذا الـــتوجه إلـــى أن الصور تتأثر بشدة بالجماعة التى ينـــتمى إلـــيها الفـــرد، فهـــى ليســـت ناتجاً إبداعياً Creative Product لشخص مـــنعزل، وإنمـــا هـــى نـــتاج للجماعـــة ونشـــاط لها(٣٥) أى أنها ليست مجرد نشـــاط إدراكـــى فـــردى ولكـــنه نشـــاط اجـــتماعى بـــه نتوقع أن نتوافق مع الأفـــراد الآخريـــن فـــى جماعتـــنا فـــى الصـــور التى تحدّد كلاً من الجماعة الداخلية للفرد والجماعات الخارجية له(٣٦).

وتـــندرج تحـــت هـــذا الـــتوجه نظـــريات عـــدة مـــنها نظـــرية التعلم الاجـــتماعى Social Learning Theory، ونظـــرية التمثـــيل الاجتماعى Social Representation Theory ونظـــرية حـــبة الصـــدق The Grain of Truth Theory(٣٧) وغيرها.

رابعاً: التوجه النفسيّ- الاجتماعيّ فى دراسة الصورة:

يحاول هذا التوجه التوفيق بين التوجهين النفسى والاجتماعى وأن يوائم بين منطلقاتهما. فالصورة نفسية ذات أبعاد اجتماعية، أو اجتماعية ذات أبعاد نفسية أو هما معاً. ورغم كون الصور تنتج داخل عقل الفرد وتتأثر بشخصيته، فإنها تتأثر أكثر بالأنماط الثقافية السائدة فى المجتمع، أى أن الصور الموجودة لدى الفرد تتأثر بالصور الموجودة لدى الجماعة وبطريقة تكوينها لها.

ووفقاً لهذا التوجه فإن هناك أربع قواعد حاكمة لعملية تكوين الصورة:-

١. تعتبر الصور نتيجة لميلنا نحو المبالغة فى تقييم درجة الارتباط بين العضوية فى جماعة ما وبعض الخصائص النفسية. وعلى الرغم من أنه قد يوجد ارتباط فعلى بين الجماعة والخصائص النفسية فإنه ارتباط أقل بكثير مما نفترض.

٢. الصور تؤثر على طريقة تمثيلنا للمعلومات. فالدراسات تشير إلى أننا نميل إلى تذكر الجوانب الإيجابية لجماعتنا الداخلية والجوانب السلبية للجماعات الخارجية.

٣. الصور تخلق توقعات تتعلق بكيفية تصرف أفراد الجماعة الخارجية، ونحن نفترض أن توقعاتنا صحيحة ونتصرف وفقاً لها. ونحن نحاول تأكيد توقعاتنا عندما نتعامل مع أفراد الجماعة الخارجية.

٤. إن هذه الصور تحدد الأنماط الاتصالية للغير، إذ نميل إلى رؤية السلوك الذى يؤكد توقعاتنا حتى ولو كان غير موجود[٣٨].

* نظرية تطابق (انسجام) المعتقدات BELIEF CONGRUENCE THEORY

وفقـــاً لهـــذه النظرية التى صاغها روكيتش Rokeach (١٩٦٠-١٩٦٨-١٩٨٠) فـــإن التعصـــب عادةً ما يكون مبنياً على الافتراض بأن أفراد الجماعة الخارجية لديهم معتقدات (اتجاهات وقيم) تختلف عن معتقدات الجماعة الداخلية للفـــرد واتجاهاتهـــا وقيمها، وتتحدد شدة التعصب أو شدة الاتجاه الرافض لدى أفراد الجماعة الداخلية لأعضاء أى جماعة خارجية فى ضوء مدى الانسجام أو التعارض المدرك بين اتجاهات الجماعة الداخلية ومعتقداتها[٣٩].

معنى هذا أن الصور المتكونة عن الغير لا تتوقف فقط على الفرد صانع الصـــورة (التوجه النفسى) ولكنها نتاج إدراك الفرد للسياق الاجتماعى Social Context الذى يعيش بداخله وتفاعله معها. فالصورة ليست إبداعاً فردياً خالصاً ولكنها نتاج للتفاعل بين الفرد وجماعته الداخلية.

خامساً: التوجه المعرفى فى دراسة الصورة:

يُعتبر تاجفيل Tajfel (١٩٦٩) أول من لفت الانتباه إلى الجوانب المعرفية فـــى الصورة وذلك من خلال دراسته الرائدة ognitive Aspects of Prejudice (الأبعـــاد المعرفـــية للتعصب) [٤٠] وكانت هذه الدراسة نقطة تحول فى دراسات الصـــورة، إذ تحـــول الاهـــتمام من المجالين النفسى والاجتماعى للصورة إلى المجـــال المعـــرفى الذى سيطر على مجال الصورة لمدة تزيد عن ٢٥ عاماً . وعلى الرغم من تركيز تاجفيل على أهمية البعد الاجتماعى والدوافع فى دراسة الصـــورة، فإن كثيراً من الباحثين الذين أعجبوا بدراسته قد ركزوا على التحليل المعـــرفى المحـــض للصـــورة Purely Cognitive Analysis of Stereotype [٤١].وأصـــبحت هـــذه الدراســـات من الكثرة بحيث ظهر -كحركة مقابلة- منْ يُسَمَّون بنقاد النظرية المعرفية Anti-Cognitivism[٤٢].

وقـــد أكد هؤلاء الباحثون- أصحاب التوجه المعرفى- على أهمية كلٍّ من التمثـــيلات العقلـــية Mental Representations والمخططـــات العقلية Mental

Schemes فـــى تشـــكيل إدراك الأشخاص للموضوعات والأحداث الاجتماعية، حيث يترتب على عملية التصنيف معالجة للمعلومات المتاحة لدى الفرد فيتكون لديــه معلومـــات جديـــدة عن الفئة موضوع التصنيف، كما قد ينشأ عن عملية التصـــنيف أشكال خاطئة من الإدراك يمكن أن يؤدى إلى اتجاهات سلبية تصل إلى درجة العدوان والتعصب(٤٣).

ووفـــق هذا التوجه، فإن عملية تكوين الصور هى فى أساسها أخطاء فى عملـــية تمثـــيل (تشـــغيل) المعلومات Information Processing بيد أنها أخطاء ضـــرورية.. وذلك بسبب محدودية قدرتنا على التركيز والانتباه Economizing Attention وهذه الحاجة يتم إشباعها- جزئياً- بواسطة عمليات التصنيف، التى هى من وجهة النظر هذه، تعمل كآلية لتقليل المعلومات Information Reduction Mechanism بحيث تسمح لنا بالبعد عن المعلومات غير المهضومة (الملخصة) Predigested إلى صور مهضومة وملخصة لا نحتاج معها إلى التعامل مع كل مثير باعتباره مثيراً جديداً فى حاجة إلى تمثيل(٤٤).

وجوهر هذا التوجه- على حدِّ تعبير فيسكى ونيوبيرج Fiske & Neuberg - يـــتلخص فى كوننا "لا نمتلك السعة المعرفية Cognitive Capacity ولا الوقت للـــتعامل مـــع كـــل المعلومـــات الشخصية المتاحة لنا.. وبالنظر إلى مصادرنا المعرفـــية المحدودة، فإنه من السهل (يحتاج إلى جهد أقل) ومن المهارة (يحتاج إلـــى وقت أقل) بالنسبة للفرد أن يستخدم الصور الموجودة لديه لعمل استنتاجات عـــن انـــتماء الأفـــراد لجماعـــة ما أكثر من قيامه بتحليل كلّ فرد على أساس فردى"(٤٥).

ومـــن الفرضـــيات الرئيســـة فى هذا التوجه "فرضية الانشغال المعرفى Cognitive Busyness Hypothesis والـــتى تـــنص علـــى أنه "كلما زادت المهام المعرفـــية والعملـــيات العقلية التى تتطلب قيامنا بها، زاد اعتمادنا على الصور الموجـــودة لدينا كمسارات مختصرة Shortcuts للتوصل إلى الأحكام والتقييمات الاجتماعية"(٤٦).

ووفــق هــذا الــتوجه- وعلى حدّ تعبير هيوستون ويراون Hewston & Brown- فإن هناك ثلاث مراحل معرفية لتكوين الصورة:-

١. تصــنيف الأفــراد علــى أسس يمكن التعرف عليها بسهولة مثل النوع أو العرق.

٢. إلصــاق مجموعــة سمات لكل أو لمعظم أفراد هذه الجماعة. ويُفترض في الأفــراد الذيــن ينــتمون إلى الجماعة موضوع الصورة التجانس والتشابه مقارنةً بالجماعة الداخلية.

٣. قصر هذه السمات على هذه الجماعة الخارجية(٤٧).

وتندرج تحت هذا التوجه عدد كبير من النظريات والمقاربات منها نظرية تمثــيل المعلومــات ونظــرية البــناءات المعرفية ونموذج الارتباط الزائف(٤٨) وغيرها.

نموذج تأثيرات الارتباط الزائف Illusory Correlation Effects

يعتــبر تشــابمان Chapman هــو أول مــن أشــار إلــى هذا النموذج (١٩٦٧) (٤٩) ثــم تــبعه بعــد ذلــك هاميلتون وجيفورد Hamilton & Gifford (١٩٧٦) (٥٠) اللــذان أضــافا إلــيه كثــيراً مــن حــدوده وأوضحا كثيراً من فروضــه. ووفقــاً لهــذا الــنموذج فــإن الأفــراد يــبالغون في تقدير درجة الارتــباط بيــن صــفات معيــنة وجماعــات معيــنة بحيث تظهر الجماعات والصــفات باعتــبارهما مترابطيــن أشــد الارتباط. فعلى سبيل المثال، لو كنا فــى مجــتمع أغلبــية ســكانه مــن البــيض، فإن هؤلاء البيض سوف يكون لديهــم اســتعداد مــرتفع نســبياً لــتذكر الســلوكيات غير الاجتماعية القليلة (الاغتــيال مــثلاً) الــتى يقــوم بها السود (كجماعة أقلية) أكثر من استعدادهم لــتذكر هــذه الســلوكيات نفســها الــتى يقوم بها البيض. وبهذه الطريقة فإن هــناك إدراكــاً خاطــئاً فى شكل صورة للعلاقة بين العنف ولون الجلد سوف يظهر(٥١).

ووفقاً لهذا النموذج فإن تكوين هذه العلاقة الزائفة يشترط شروطاً أربعة هى:

١. الحدوث المشترك Co-Occurrence لحدثين مرتبطين- نسبياً- يمكن ملاحظته أو تمييزه.

٢. أن يثير هذا الحدوث المشترك اهتمام الملاحظ.

٣. أن يتم إدخال هذا الحدث إلى عقل الملاحظ فى شكل ترميزى يسهل فهمه واستيعابه Better Encoded.

٤. أن يكون هذا الحدث سهلاً استرجاعه من الذاكرة Accessible to Retrieval(٥٢).

وترجع جاذبية هذا النموذج فى التوجه المعرفى فى دراسة الصورة إلى قدرته على توضيح وتفسير طرق تكوين صورة الأقليات فى كثير من المجتمعات. وإلى تفسيره لكثير من الظواهر الاجتماعية مثل التعصب والتفرقة العنصرية وغيرهما(٥٣).

وهذا النموذج هو نموذج معرفى محض، ورغم أن أصحابه لا ينكرون أهمية العوامل الاجتماعية فإنهم يذهبون إلى أن "العوامل المعرفية وحدها يمكن أن تكون كافية وأكثر كفاءة لإنتاج المدركات المتحيزة لدى الأفراد"(٥٤).

سادساً: التوجه الاجتماعىّ- المعرفىّ:

إذا كان تاجفيل Tajfel هو أول من لفت أنظار الباحثين إلى الجوانب المعرفية للصورة، فهو أيضا – بعد أن رأى مدى استغراق الباحثين فى دراسة الجوانب المعرفية وإغفالهم للجوانب الأخرى للصورة- أول من وجه الباحثين (١٩٨٥) نحو دراسة الأبعاد الاجتماعية- المعرفية للصورة(٥٥). ومن ثمَّ فقد ظهرت فى السنوات الأخيرة دراسات تعترف بأن التوجه المعرفى فى دراسة الصورة ليس كافياً.. وأن الصور يتم تكوينها من خلال متغيرات عاطفية ودافعية واجتماعية وثقافية أخرى(٥٦). وسعت هذه الدراسات إلى اختبار الطريقة التى من

خلالهـــا يتم دمج هذه المتغيرات والمكونات المعرفية مع المتغيرات والمكونات غـــير المعرفـــية فى السياقات الحياتية المختلفة. كما اتجهت دراسات عديدة إلى دراسة الطريقة التى تتأثر فيها العوامل المعرفية بالحالة المزاجية للفرد(٥٧).

ومـــثل المذنب التائب Reformed Sinner، فإن كثيراً من الدراسات عرفت طريقها نحو دراسة الجوانب الاجتماعية- المعرفية فى الصورة، وتم إغفال كثير مـــن السمات المعرفية الفردية للصورة، ونظر باحثو علم الاجتماع المعرفى إلى الصـــور باعتبارها تقدم فرصة مثيرة Exciting Opportunity لبحث كيفية تخزين المعلومات الاجتماعية وتمثيلها والعمل وفقاً لها(٥٨).

ووفقاً لهذا التوجه فإن الصور هى تمثيلات عقلية وبناءات معرفية، ومهمة علـــم اجتماع المعرفة هو دراسة كيف تؤثر هذه التمثيلات والبناءات على تمثيل الأفـــراد للمعلومـــات الاجتماعية وعلى الإدراك الاجتماعى لهم وعلى سلوكهم داخل الجماعة وخارجها(٥٩).

ويرى باحثو هذا التوجه أن هناك فروقاً جوهرية بين عملية تكوين الصور لأشياء مادية فيزيقية وتكوين صور عن سياقات اجتماعية،إذ توجد مسافة مادية بيـــن الفـــرد والأشياء المادية تسمح بتكوين صور عنها، أما فى حالة السياقات الاجتماعـــية فالفـــرد جزء منها، فالسياق الاجتماعى الذى نعيش فيه هو مكون لفكرنا ومحدد لطريقة إدراكنا. أحد النتائج المترتبة على هذه التفرقة هو ضرورة وجـــود منظور نظرى غير فردى Non-individualistic Theoretical Approach لدراسة الصور الاجتماعية ، وهو التوجه الاجتماعى- المعرفى(٦٠).

ويذهـــب هـــؤلاء الباحثون إلى أن التوجه الاجتماعى المعرفى قد "حوّل وغـــيَّر مفاهيمـــنا عـــن الصـــورة من كونها معتقدات غير منطقية وغير دائمة الحدوث Irrational and Unusual Beliefs إلى معتقدات عن أشياء عادية Normal

ومعتقدات اجتماعية يومية Everyday Social Beliefs[٦١]. أى جعلها داخل نسيج حياة الجماعة وفى سياق المجتمع بعد أن كانت معزولة عنه وخارجة عن نطاقه.

وتــندرج تحت هذا التوجه نظريات ومقاربات متعددة مثل نظرية الهوية الاجتماعــية[٦٢] ونظــرية التصــنيف القــائم علــى قواعــد Essentialistic Categorization[٦٣] وغيرها.

نظرية الهوية الاجتماعية Social Identity Theory

وفقــاً لهذه النظرية التى صاغها تاجفيل Tajfel والتى ترتكز على عملية التصــنيف الاجــتماعى Social Categorization، فــإن الأفراد مدفوعون دائماً لاشتقاق هوية اجتماعية إيجابية لهم من عضويتهم. وهم يفعلون ذلك عن طريق إدراكهم لجماعتهم ككيان مميز له خصائص إيجابية Positively distinctive بشكل يفــوق خصائص الجماعات الخارجية. كما تشير النظرية إلى أن الحاجة لتحقيق وضع متميز للجماعة لكى تحمى أو تقوى هويتها الاجتماعية قد يتسبب فى تمييز أفــراد الجماعة الداخلية لأنفسهم عن الآخرين. وأن يكونوا متحيزين لجماعتهم، حــتى فــى حالة عدم وجود صراع بين الجماعات[٦٤]. وتشير النظرية إلى أن الــناس يخلقون هوياتهم الاجتماعية بتعريفهم وتحديدهم للجماعات التى ينتمون إلــيها والجماعات التى لا ينتمون إليها. وهناك عدة مراحل معرفية تمر بها هذه العملية منها عملية اختيار الجماعة وتقييمها، وتقييم الجماعات الأخرى ومحاولة وضــع معايــير أو محكــات معرفية يمكن فى ضوئها تعريف شخصية الفرد والجماعة وتمييزها عن الشخصيات والجماعات الأخرى[٦٥].

سابعاً: التوجه النفسى- المعرفى فى دراسة الصورة:

يتشابه التوجه النفسى- المعرفى مع التوجه الاجتماعى- المعرفى فى كون كلــيهما رد فعل على سيادة التيار المعرفى المحض فى دراسات الصورة. وإذا كــان الــتوجه الاجتماعى- المعرفى قد ركز على السياقات الاجتماعية وأبرز

أهميتها فى مجال دراسات الصورة، فإن التوجه النفسى- المعرفى- مع تسليمه بأهمـــية الأبعاد المعرفية للصورة- قد اتجه إلى دراسة الطريقة التى تتأثر فيها العوامل المعرفية بالحالة المزاجية Mood للفرد فى عملية تكوين الصور(٦٦).

وإذا كانـــت الدراسات الاجتماعية- المعرفية قد ركزت على مفاهيم مثل التصـــنيف الاجتماعى Social Categorization فإن الدراسات النفسية- المعرفية تركـــز على مفهوم تصنيف الذات Self-Categorization وتعتبره مفهوماً أساساً للبحث وعملية يجب البدء بها عند تفسير كيفية تكون الصور لدى الأفراد(٦٧).

وجوهـــر عملية تصنيف الذات يمكن تحديده فى أن الأشكال المختلفة من الســـلوك الذى يقوم به الإنسان تنبع من تعريفه لذاته وتصنيفه لها وللآخرين فى مستويات مختلفة من التجريد. والصورة- وفق هذه النظرية- هى عملية إدراك الـــناس (بمـــا فـــيهم الـــذات المدركة) كأفراد فى التصنيف الاجتماعى لكلٍّ من الجماعات الداخلية والخارجية(٦٨).

وقـــد أُجْريـــت دراسات كثيرة حول مفهوم تصنيف الذات كمفهوم نفسى- معرفى، وخلصت هذه الدراسات إلى وجود ارتباط قوىّ بينه وبين إدراك التميز Distinctiveness واستقطاب الأحكام Judgmental Polarization وإدراك تجانس الجماعة Perceived Group Homogeneity(٦٩) وغيرها.

• هوامش الفصل الثالث

(1) Bar- Tal, D. et al (1989) :" Preface" In Bar-Tal, D. et al (Eds) Stereotyping and prejudice: Changing Conceptions. New York, Springer – verlag inc., p.v.

(2) Lippmann, W. (1922) : Public Opinion. New York, Free press

• وفقا لـ Rudmin (١٩٨٩) فإن James Morier كان أول من ناقش مفهوم الصورة وذلك في كتابه "مغامرات حاجى بابا الأصفهانى Adventures of Hajji Baba of Ispahan الذى نشر عام ١٨٢٤م أى قبل صدور كتاب ليبمان بمائة عام تقريبا ويذهب Rudmin إلى أن ليبمان كان على علم ودراية بهذا الكتاب. مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة :

• Rudmin, W. (1989):The Pleasure of Serendipity in Historical Research: on Finding, Stereotype in Morier's (1824) Hajji Baba. Cross Cultural Psychology Bulletin , vol. 23 , pp. 8-11.

(3) Lippmann, W. (1991): Public Opinion: With New Introduction by Michael Curtis. London, Transaction publishers, P. 91.

(4) Lippmann, W .(1922) :Op. Cit., p. 4.

(5) Ibid., pp. 15-16.

(6) Lippmann, W. (1991):Op. Cit., p. 90.

(7) Lippmann , W. (1922) :Op. Cit., p. 25.

(8) Ibid., p. 16.

(9) Ibid., p. 30.

(10) Lippmann, W. (1991): Op. Cit., p. 81.

(11) Lippmann, W. (1991): Op. Cit, p. 88.

(12) Ibid., p. 95.

(13) Ibid., p. 114.

(14) Ibid., p. 96.

(15) Ibid., pp. 95-96.

(16) Lippmann, W. (1991): Op. Cit., pp. 111-112.

(17) Ibid., p. 156.

(18) Bar-Tal, D. Et al (1989): Op. Cit., p. v

(19) Miller, A. (1982):" Historical and Contemporary Perspectives on Stereotyping" In: Miller, A. (Ed) Op. Cit., p. 7.

(20) Albig, W. (1939): Public opinion. New York, Mc Grow- Hill Book Company inc., p. 59.

(21) Worchel, S. & Rothgerber, H. (1997): "Changing The Stereotype of Stereotype" In : Spears, R. et al (Eds) Op. Cit., p. 73.

(22) Campbell, D. (1967): Stereotypes and The Perception of Group Differences. American psychologist, vol. 22, p. 823.

(23) Yzerbyt, v. et al (1997):" Stereotypes As Explanations: A Subjective Essentialistic View of Group perception" in : Spears, R. et al (Eds.) Op. Cit., pp. 20-21.
(24) Miller, A. (1982): Op. Cit., p. 16.
(25) Adorno, W. et al (1950): The Authoritarian personality. New York, Harper & Row.
(26) Young, K. (1957): Handbook of social Psychology. London , Routledge & kegan poul LTD., P. 509.
(27) Stroebe, W. & insko, C. (1989):" Stereotype, Prejudice, and Discrimination: Changing Conceptions in Theory and Research" In : Bar-Tal, D. et al (Eds.) Op. Cit., p. 18.
(28) Ibid.
(29) Young, K. (1957): Op. Cit., pp. 509-510.
(30) Young, K. (1957): Op. Cit., pp. 509-510.
(31) Miller, A. (1982) :Op. Cit., p. 27.
(32) Brown, R. (1995): Op. Cit., p. 83.
(33) Brown, R. (1995): Op. Cit., p. 83.
(34) Stroebe, W. & insko, C. (1989): Op. Cit., p. 13.
(35) Worchel, S. & Rothgerber, H. (1997):Op. Cit., p. 74.
(36) Spears, R. et al (1997) :"Introduction: The Social Psychology of Stereotyping and Group Life" In : Spears. R. et al (Eds): Op. Cit., p. 8.
(37) Reicher, S. et al (1997) :Op. Cit., p. 97.
(38) Gudykunst, W. & kim, y. (1992): Op. Cit., p. 93.
(39) Schwartz, S. & Struch, N. (1989): " Values, Stereotypes and Intergroup Antagonism" In: Bar-Tal, D. et al (Eds) Op. Cit., p. 156.
(40) Tajfel, H. (1969): Op. Cit., pp. 79-97.
(41) Haslam, A. (1997):" Stereotyping and Social Influence: Foundations of Stereotype Consensus" In: Spears, R. et al (Eds) Op. Cit., p. 124.
(42) Worchel, S., & Rothgerber, H. (1997): 0p. Cit., p. 99.
(٤٣) عبد اللطيف خليفة ، شعبان رضوان (١٩٩٨): مرجع سابق، ص ص١١٢-١١٣.
(44) Oakes, p. & Reynolds, K. (1997):"Asking the Accuracy Question: is Measurement The Answer ?" in: Spears, R., et al (Eds) :Op. Cit.., p. 58.
(45) Ibid.
(46) Brown, R. (1995) : Op. Cit., p. 103.
(47) Hewstone, M. & Brown, R. (1986): "Contact is Not Enough" in : Hewstone, M. & Brown, R. (Eds) Contact and Conflict in Intergroup Encounters. Oxford, Blackwell, P. 29.
(48) Stephan, W. (1989):" A Cognitive Approach to Stereotyping" in : Bar-Tal, D. et al (Eds) Op.Cit.. pp. 37-58.
(49) Chapman, L. (1967) :Illusory Correlation in Observational Report. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, vol. 6, pp. 151-155.
(50) Hamilton, D. & Gifford, R. (1976): Illusory Correlation in Interpersonal Perception: A Cognitive Basis of Stereotypic Judgments. Journal of Experimental social psychology, vol.. 12, pp. 392-407.

(51) Brown, R. (1995): Op. Cit., p. 87.
(52) Mc Garty, C. & De La Haye, A. (1997):" Stereotype Formation: Beyond Illusory Correlation" In : Spears, R. et al (Eds): Op. Cit., p. 147
(53) Ellemers, N., & knippenberg, A. (1997):" Stereotyping in Social Context." In: Spears, R. et al (Eds): Op. Cit., p. 219.
(54) Mc Garty, C. & De La Haye, A. (1997): Op. Cit., p. 145.
(55) Tajfel, H., & Turner, J. (1985): Op. Cit., pp. 7-24.
(56) Hamilton, D. & Trolier, T. (1986): "Stereotypes and Stereotyping: An Overview of The Cognitive Approach" in : Dovidio, J. & Gaertner, S. (Eds) Prejudice, Discrimination and Ricism. Ortando, Fl. Academic press, P. 153.
(57) Haslam, A. (1997): Op. Cit., p. 124.
(58) Worchel, S. & Rothgerber, H. (1997): Op. Cit., p. 74.
(59) Hamilton, D. & Sherman, S. (1989):"Illusory Correlation: Implications For Stereotype Theory and Research" In : Bar-Tal, D. et al (Eds): Op. Cit., p. 59
(60) Spears, R. et al (1997): Op. Cit., p. 5.
(61) Ellemers, N. & knippenberg, A. (1997): Op. Cit., pp. 209-210.
(62) Tajfel, M., & Turner, J. (1985): Op. Cit., pp. 33-47.
(63) Yzerbyt, V. et al (1997): Op. Cit., p. 41.
(64) Tajfel, H. & Turner, J. (1985): Op. Cit., pp. 33-47.
(65) Worchel, S., & Rothgerber, H. (1997): Op. Cit., p. 75.
(66) Haslam, A. (1997): Op. Cit., p. 125.
(67) Ibid., p. 130.
(68) Ibid.
(69) Ibid., pp. 131-132.

الفصل الرابع

الصورة : الوظائف والمهام

تمهيد :

يقــوم التحلــيل الوظــيفىّ لأى ظاهــرة مــن الظواهــر علــى حصر الوظــائف والمهــام، الظاهــرة والباطــنة، المــرغوبة وغير المرغوبة وذلك بالنســبة لمجــتمع مــا[١]. والتحلــيل الوظــيفى بــناءً على هذا لا يبحث فى تكويــن الظاهــرة، وإن كانــت الوظــائف تعتمد على التكوين، كما لا يبحث فــى علاقــة الظاهــرة بغيرها من الظواهر، وإن كان الفصل بين أى ظاهرة وأخــرى هــو فصــل تعســفى بحــث لأغــراض الدراسة، كما لا يبحث فى أســباب الظاهــرة وعوامــل وجودهــا، وإن كانــت الأســباب هــى أمهات الوظــائف ومــرادفاتها، كمــا أنــه لا يبحــث - أخيراً - فيما ينبغى للظاهرة أن تقــوم بــه، وإنمــا بمــا تقــوم بــه فعلاً، وإن كان ذلك لا يمنع "أن يعمد المحلــل إلــى التصــور (أى إلــى) الــتجربة الذهنــية أو العقلية التى يتخيل بمقتضاها ما قد يحدث إذا لم تكن هناك ظاهرة معينة"[٢].

والتحلــيل الوظــيفى للصــورة لا يخــتلف - فى أسسه وإجمالا - عن التحلــيل الوظــيفى لأى ظاهــرة أخــرى. بيد أنه يختلف فى أساليب التطبيق ومجالاتــه وفــى معايــير التقيــيم ومنطلقاته. فالصورة - وفق ما أشرنا إليه ســابقاً - [٣]لهــا أبعــاد معرفــية، ونفسية، واجتماعية ، كما أنها تعمل على نطــاق الفــرد فقــط ، أو علــى نطــاق الجماعــات الفرعية فى المجتمع، أو علــى نطــاق المجــتمع ككــل، كما أن لها وظائف مرغوبة تدعونا إلى العمل بهــا، ووظــائف أخــرى غــير مــرغوبة تدعونا إلى التخلص منها، ولذا فإن أى تحلــيل وظــيفى لهــا لابــد أن يشــتمل علــى هــذه العناصــر مجتمعة ومنفصلة فى الوقت ذاته.

وإذا كــان لكــلٍّ تحلــيل وظــيفىّ ســؤال يــنطلق منه ويحاول الإجابة عــنه، فإنــه يمكــن صــياغة السؤال فى مجال التحليل الوظيفى للصورة على

النحو التالى:

"مـا الوظـائف المعرفـية والنفسـية والاجتماعـية، المرغوبة وغير المـرغوبة، الـتى تقـوم بهـا الصـورة، بمسـتوياتها المخـتلفة وأنواعها المتعددة، وذلك بالنسبة للفرد والجماعات الفرعية والنظام الاجتماعى"؟

ويمكن تقسيم السؤال السابق إلى ثمانية عشر سؤالاً فرعياً:

١. مـا الوظـائف المعرفـية المـرغوبة الـتى تقوم بها الصورة على المستوى الفردى ؟

٢. مـا الوظائف المعرفية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى الجماعات الفرعية؟

٣. مـا الوظـائف المعرفـية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى النظام الاجتماعى ؟

٤. مـا الوظـائف المعرفـية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على المستوى الفردى ؟

٥. مـا الوظـائف المعرفـية غـير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى الجماعات الفرعية ؟

٦. ما الوظائف المعرفية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى النظام الاجتماعى ؟

٧. ما الوظائف الاجتماعية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على المستوى الفردى ؟

٨. ما الوظائف الاجتماعية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى الجماعات الفرعية؟

٩.مـــا الوظـــائف الاجتماعية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى النظام الاجتماعى؟

١٠. مـــا الوظائف الاجتماعية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على المستوى الفردى ؟

١١. مـــا الوظـــائف الاجتماعية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى الجماعات الفرعية؟

١٢. مـــا الوظـــائف الاجتماعية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى النظام الاجتماعى؟

١٣. ما الوظائف النفسية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على المستوى الفردى؟

١٤. مـــا الوظائف النفسية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى الجماعات الفرعية؟

١٥. مـــا الوظـــائف النفســـية المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى النظام الاجتماعى؟

١٦. مـــا الوظـــائف النفســـية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على المستوى الفردى ؟

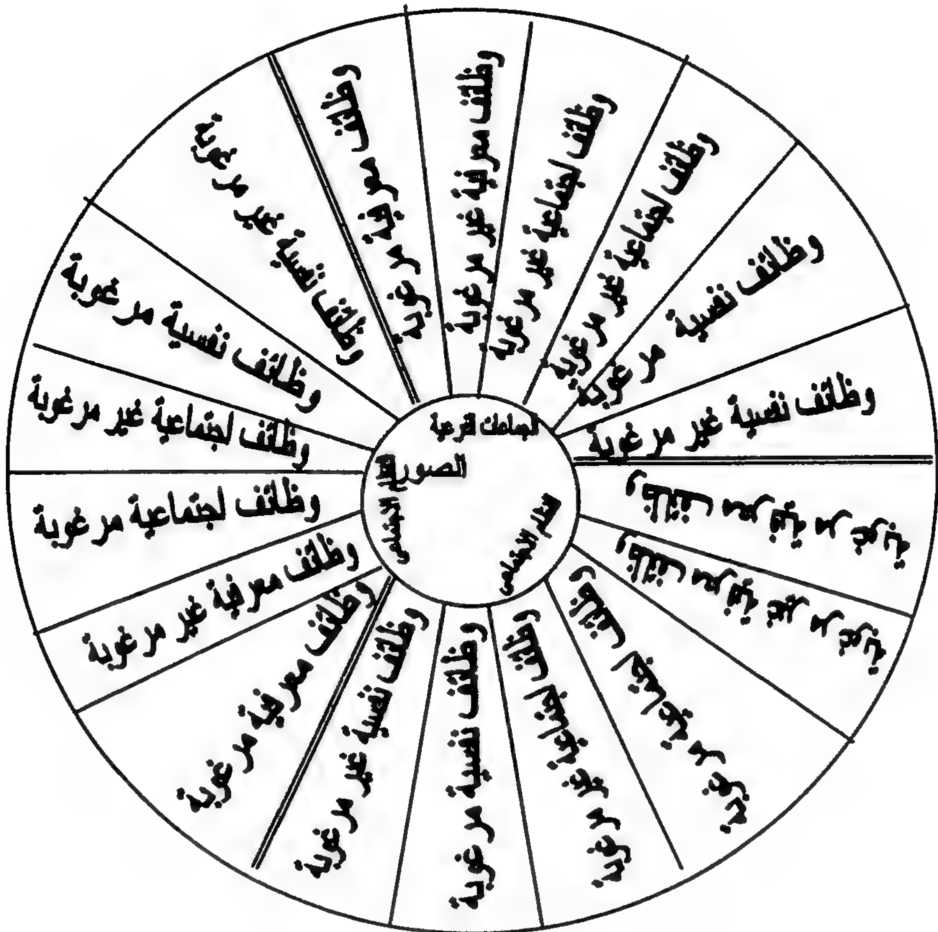
١٧. مـــا الوظـــائف النفســـية غـــير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى الجماعات الفرعية؟

١٨. ما الوظائف النفسية غير المرغوبة التى تقوم بها الصورة على مستوى النظام الاجتماعى؟

ويمكن بصفة عامة إجمال "منطلقات التحليل الوظيفى للصورة" فى الشكل التالى:

شكل رقم (٣)

التحليل الوظيفى للصورة



ويمكن تفصيل جوانب هذا التحليل الوظيفى على النحو التالى:

أولاً: وظائف الصورة على المستوى الفردى:

(١) الوظائف المعرفية المرغوبة:

- الاقتصاد فى المجهود: بمعنى توفير الوقت والجهد اللازمين لفهم وتفسير حدث ما أو شئ ما يعتبره الإنسان جديداً. فالصورة تساعد الأفراد على تفسير الأحداث الجديدة فى ضوء خبراتهم القديمة وصورهم المعهودة.
- تقليل عدد المنبهات المحيطة بالفرد: ويحدث ذلك عند دمج الأشياء الجديدة فى الفئات القديمة Categories وإعطائها المعنى ذاته الذى تأخذه هذه الفئات.
- تسهيل عملية الإدراك: وهى نتيجة مترتبة على الوظيفة السابقة، إذ يؤدى تقليل عدد المنبهات المحيطة بالفرد إلى تسهيل إدراكه لهذه المنبهات وإلى زيادة قدرته (الظاهرة) على فهمها واستيعابها.
- توفير أحكام تقييمية جاهزة للفرد: إذ تقلل الصور من حاجة الفرد إلى معايشة الآخر وتمثيل المعلومات المتعلقة به فى كل لحظة وتمنحه فى المقابل أو توفر له إطاراً يستطيع من خلاله الفهم (الظاهرى) لتصرفات الآخرين وأفعالهم.
- إعطاء الفرد معنى موضوعياً للعالم: إذ توفر الصور للفرد تصوراً للعالم The Universe يعتقد فى صحته وفى موضوعيته. فهو لا يجد – عن طريق الصور الموجودة لديه – أى تعارض بين عالمه الذى يعتقد فى موضوعيته، والعالم الخارجى.

(٢) الوظائف المعرفية غير المرغوبة:

- التبسيط الزائد للأحداث: فالصور عادة ما تركز على جانب أو جزء أو خصيصة للحدث وتغفل بقية الجوانب والأجزاء والخصائص، وفى هذا التركيز من ناحية والإغفال من ناحية أخرى يتم تبسيط الحدث بصورة قد تكون فى غالبية الأحيان مخلة بطبيعته.

- المـــبالغة فـــى التعمـــيم: إذ قـــد تؤدى الصور بصاحبها إلى إطلاق حكم عام علـــى جماعـــة واحـــدة أو علـــى كـــل الجماعات الخارجية نتيجة تعامله مع فـــرد واحـــد مـــنها، وقـــد يطبق حكماً استمده من صورة لديه عن جماعة ما على كلّ أفراد هذه الجماعة دون إدراك الفروق الفردية بينهم.
- تشـــويه الواقـــع: إن الصـــورة بخصائصـــها التى يشير إليها بعض الباحثين مـــثل المـــبالغة فـــى التبســـيط والمبالغة فى التعميم وعدم الدقة وعدم الصحة والجزئـــية – قـــد تـــؤدى إلـــى تشويه إدراك الفرد للواقع وإلى سوء فهمه له وإلى فساد أحكامه عنه.

(٣) الوظائف الاجتماعية المرغوبة:

- تحديـــد الهويـــة الاجتماعـــية للفـــرد: يشير كثير من الباحثين إلى أن الصور تســـاعد علـــى تحديـــد هويـــة الفرد الاجتماعية Social Identity كما تساعد على إدراكه لذاته وتصنيفه لها Self-Categorization.
- تحديـــد الـــدور الاجـــتماعى للأفـــراد: تحـــدد الصـــور التى يحملها الأفراد الأدوار الـــتى يقومـــون بهـــا فـــى العلاقـــات الاجتماعية، كما تحدد طريقة تفاعلهم فى المجتمع.
- توفـــير أســـس الـــتعامل مـــع الآخرين: توفر الصور الطرق التى يتعامل بها الفـــرد مـــع الآخريـــن من خلال توفيرها لتوقعات عن سلوك الآخرين وعن دوافعهم وطرق تفكيرهم.
- تـــزيد الصـــور مـــن تقديـــر الـــذات نتيجة العضوية فى الجماعة: فالصور الإيجابـــية عـــن الجماعـــة الـــتى ينـــتمى إليها الفرد قد تزيد من تقديره لذاته Self-Esteem ومن شعوره بالرضا عن نفسه.
- تســـاعد الصـــور علـــى الاتصـــال بين الأفراد عندما تكون إيجابية و تؤدى إلى التفاعل الإيجابى بينهم.

(٤) الوظائف الاجتماعية غير المرغوبة:

قد تؤدى الصور أحيانا إلى بعض النتائج غير المرغوبة ومنها:

- الصور قد تعوق الاتصال بين الأفراد عندما تكون سلبية: فالصور السلبية عن الآخرين تجعل من الاتصال معهم مهمة صعبة، وتجعل الفرد غير راغب في، وعاجز عن ، الاتصال معهم.
- قد تزيد الصور أحياناً من معدل العنف الاجتماعى: فالصور السلبية عن الآخرين لاسيما عن أفراد جماعات الأقلية قد تستثير النزعة العدوانية لدى الأفراد حاملى هذه الصور، وقد تدفعهم للعدوان على الأفراد موضوع الصور السلبية.
- قد تؤدى الصور أحياناً إلى اغتراب الفرد اجتماعياً: وذلك عندما تكون هذه الصور غير متوافقة مع واقع الجماعة التى ينتمى إليها الفرد وذلك بانتمائها إلى واقع جماعة أخرى يعجب بها الفرد أو تكون من وحى خياله.
- قد تؤدى الصور أحياناً إلى الانعزالية والتجنب: وذلك عندما تكون الصور سلبية عن الأفراد الآخرين أو غير متوافقة معهم.

(٥) الوظائف النفسية المرغوبة:

- الشعور بالأمن والاستقرار: تؤدى الصور الإيجابية ذات الطابع الثابت والتى تميل إلى تبسيط الأحداث إلى شعور الفرد بالأمان إزاء الأخطار المحتملة وبالاستقرار فى مواجهة تقلبات الحياة.
- تخفيف حدة الخوف من المجهول والتكيف مع جوانب الغموض التى يمكن أن تواجه الفرد.

- تخفـيف حـدة الشـعور بـالقلق وعـدم التيقن Anxiety- Reduction Function وذلـك عـندما توفـر توقعـات إيجابـية يعـتقد الفرد فى صحتها وفى إمكانية حدوثها.
- الصـور قـد تُسـتخدم كآلـية للدفـاع عـن الـذات: إذ تشير بعض الدراسـات إلـى أن الصـور تمـثل نوعـاً من آليات الدفاع Sort of Defense Mechanism تتـيح للفـرد أن يمـنطق (يـبرر) كثـيراً من أفعاله Ego-Justification.
- الصـور الإيجابـية توفـر رجـع صدى إيجابى عن الذات Positive Feedback وتمنحها شعوراً بالرضا والاطمئنان.

(٦) الوظائف النفسية غير المرغوبة:

- قـد تـؤدى الصـور أحـياناً إلـى التحـيز والتعصـب، ولذا تحتل دراسة الصـورة مكـان القلـب فـى دراسات التحيز ، وذلك بسبب الارتباط الكبير بينهما. فالصـور السـلبية عـن الآخريـن قـد تخلق تحيزات لدى الأفراد ضدهم تنعكس فى تصرفاتهم معهم.
- قـد تـؤدى الصـور أحـيانا إلـى الـتمركز حـول الذات Ego- Centrism والتقوقع داخلها وإحاطتها بسياج يعزلها عن الآخرين.
- قـد تـؤدى الصـور أحـيانا إلـى شـعور الفرد بالوحدة Loneliness وذلك عندما تكون هذه الصور سلبية ومتعلقة بالذات.
- قـد تحمـل الصـور أحـيانا بعـض الإسـقاطات Projections الفردية وما يترتب عليها من سلوك عدوانى إزاء الآخرين فى كثير من الحالات.

ثانياً: وظائف الصورة على مستوى الجماعات الفرعية:

لا تخـتلف ، تقريـباً ، معظـم وظـائف الصور على المستوى الفردى عـن وظـائف الصـور علـى مسـتوى الجماعات الفرعية، وإن كان هناك اخـتلاف فهـو اخـتلاف فـى درجة الوظيفة لا فى نوعها، فالفرد هو المكون الرئـيس للجماعـة كمـا أن الجماعـة هـى المكون الرئيس للمجتمع وللنظام المجـتمعى. ويمكـن بصـفة عامـة بـيان وظـائف الصـورة على مستوى الجماعات الفرعية على النحو التالى:

(١) الوظائف المعرفية المرغوبة:

- وضـع نظـام للبيـئة الاجتماعـية: تعتـبر أحـد الوظـائف المهمة للصـورة أنهـا تمـد الجماعـات بمعـنى ذاتـى للواقع Subjective Meaning، وهـى تمـد الجماعـة بمعلومـات هائلـة كمـا تمدهـا بتفسـيرات ضـمنية للعلاقـات المفـترض وجودهـا بيـن الأشـياء المخـتلفة، ولـذا فهـى تسـاعدهم علـى وضع نظام للعلاقات وللبيئة التى يعيشون فيها.
- تقلـيل عـدد المثـيرات أو الأخطـار المحـيطة بالجماعـة، إذ أن الصـور بتبسـيطها للأحـداث وتقلـيلها للمنبهات ودمجها فى صور قديمـة قـد تـؤدى إلـى تقليل عدد المثيرات أو الأخطار التى تتوقع الجماعة أن تقابلها أو تحيط بها، مما يساعدها على الاستقرار.
- تسـهل الصـور عملـية التفكـير الجمعـى داخل الجماعة: فالصور الجماعـية المشـتركة لـدى أفـراد الجماعـة تقـرب من تصوراتهم وتجعلهم مشتركين فى كثير من الرؤى والأهداف.

(٢) الوظائف المعرفية غير المرغوبة:

- تشـويه الواقـع الاجـتماعى الفعلـى: فكمـا يمكن للصور أن تشوه إدراك الأفـراد للواقـع الاجـتماعى، فإنهـا يمكن أيضاً أن تشوه إدراك الجماعات المخـتلفة لحقـيقة واقعهـم الـذى يعيشـون فيه ، وما يترتب عليه ذلك من مخاطر.

- قـد تـؤدى الصـور إلـى إحـداث الصـدمات المعرفية للجماعة: فالصور ثابـتة تقريـبا، والواقـع مـتحرك دائماً ، وقد يؤدى احتفاظ الجماعة ببعض الصـور القديمـة عـن الجماعات الأخرى وعدم محاولة تحديثها أو تعديلها إلـى حـدوث صـدمات معرفـية للجماعة وذلك عندما تفاجأ بالواقع المتغير أو بصور مغايرة له مما يسبب لها الارتباك.

- قـد تـؤدى الصـور إلـى تقلـيل قـدرة الجماعة على الاستجابة للأحداث الطارئـة أو المتغـيرات الجديـدة: ويحـدث ذلـك – كما سبقت الإشارة – عـندما لا تجـدد الجماعـة صـورها ولا تـراعى التغـيرات المجتمعـية الدوريـة وتصـبح المعلومـات الـتى لديهـا غـير مناسـبة لمواجهة هذه الأحداث الطارئة أو المتغيرات الجديدة.

(٣) الوظائف الاجتماعية المرغوبة:

- حفـظ أيديولوجـية الجماعـة والدفـاع عـنها: إذ تقـوم الصـور بإضفاء الشـرعية والمعقولـية علـى أيديولوجـية الجماعـة، كمـا تقـوم بتـبرير توجهاتها وممارساتها والدفاع عنها فى حالة الهجوم عليها.

- تحديـد الهويـة الاجتماعـية للجماعـة: وقـد لا تكتفى بعض الصور بهذا الـتحديد فقـط بـل تـتجاوزه إلى مرحلة التأكيد على هذه الهوية وتبريرها والدفاع عنها.

- تأكـيد الشـعور بالـتفوق لـدى الجماعـة: فالصور الإيجابية عن الجماعة تـزيد مـن إحساسـها بالـتفوق Superiority والـتعالى علـى الجماعـات الأخرى خاصة جماعات الأقليات.

- تـبرير ممارسـات الواقـع الاجـتماعى: فكمـا تـبرر الصـور بعـض التصـرفات الفـردية فهـى تـبرر أيضـاً ممارسات الجماعة وتصرفاتها، مـثل سياسـة التميـيز العنصـرى أو كراهـية الأجانـب وغـيرها مـن الممارسـات الـتى قـد لا يـبررها المنطق ولكن تبررها الصور التى تؤمن بها الجماعة.

- وضـع نظـام لـلأدوار وللعلاقـات داخـل الجماعـة: فالصور تحدد مهام الأفراد كما تحدد علاقات الأفراد ببعضهم البعض.

(٤) الوظائف الاجتماعية غير المرغوبة:

- قـد تعـوق الصــور فـى بعض الأحيان عملية الحراك الاجتماعى Social Mobility وتسجن الجماعة فى قالب واحد لا يتغير.
- تـبرر الصــور فـى كثــير من الأحيان الممارسات العدائية ضد الجماعات الأخرى وتضفى عليها المشروعية ، وتشجع الأفراد على ممارستها.
- قـد تكـوّن الصــور اتجاهــات عرقـية لـدى الجماعــة ضــد الجماعات الأخــرى، كمــا قــد تـؤدى الصــور ، لاسيما السلبية منها ، إلى الحروب الأهلــية وذلــك عــندما تتصارع الجماعات المختلفة داخل النظام المجتمعى الواحــد ، وتوجـد كثـير مــن الأدلــة البحثـية – على ما سيأتى ذكره فى الفصــل الـتالى – الـتى تشـير إلـى أن كثيراً من الحروب كان مصدرها الصور السيئة غير الحقيقية.

(٥) الوظائف النفسية المرغوبة:

- تقديم إطار تبريري للاتجاهات والسلوكيات الجمعية القائمة: Rationalization Function خاصــة عــندما تكون هذه الاتجاهات والسلوكيات غير قائمة على المنطق أو لا يبررها العقل.
- تقلــيل الشــعور بــالقلق وعــدم اليقيــن لــدى الجماعة: وذلك عندما توفر توقعات إيجابية تعتقد الجماعة فى صحتها، وفى إمكانية حدوثها.
- توفــير رجــع صــدى إيجــابى عــن الجماعــة: ومــنحها الشعور بالرضا والاطمئنان.

(٦) الوظائف النفسية غير المرغوبة:

- قــد تـؤدى الصــور إلــى تجـريد الجماعات الخارجية من شرعيتها Delegitimization ومــن إنســانيتها Dehumanization والحط من قدر أفرادها وأعضائها ، وما يترتب على ذلك من نتائج مثل محاولة الإبادة الجماعية Genocide للجماعات الأخرى أو إلصاق الألقاب السيئة بها، وتجنبها، أو إنكار آدميتها.

- قـد تولـد الصـور مشـاعر الكراهية للجماعات الأخرى وتجعل منها كـبش فـداء Scapegoat لكثـير من مشاكل الجماعة الداخلية، بحيث تكـون هـذه الجماعـات الخارجـية هى مصدر كل شر، ومبعث كل قلق للجماعة الداخلية.

- قـد تـؤدى الصـور الـى عمليات الإسـقاط الجمعـى Collective projection بحيـث تُسـقِط الجماعـة الداخلـية جمـيع خصائصـها السلبية والمكروهة على الجماعات الخارجية وتتبرأ هى منها.

ثالثاً: وظائف الصورة على مستوى النظام ككل :

(١) الوظائف المعرفية المرغوبة :

- خلـق توقعـات عـن سـلوك الأنظمـة الدولية الأخرى وممارساتها International Behavior وإيجـاد تفسـيرات وتقيـيمات جاهـزة لهذه السلوكيات والتفسيرات.
- خلـق مخططـات فكـرية للـتعامل مع الأنظمة الأخرى: وتُبنى هذه المخططـات والسـيناريوهات بـناءً علـى الـتوقعات المعتمدة على الصـور والاسـتنتاجات المبنـية علـى الملاحظـة العينية والمباشرة للأحداث.

(٢) الوظائف المعرفية غير المرغوبة:

- قـد تـؤدى الصـور إلـى تجمـيد سياسـات الـنظام وعـدم تطويرها: فالسياسـات المبنـية علـى الصور (كما سيتم توضيحها فى الباب الثانى) قـد تكـون جـامدةً ، للجمـود النسـبى للصورة ، وثابتةً ، للثبات النسبى لها.

- قـد تـؤدى الصـور إلـى انهـيار النظام المعرفى للنظام نتيجة الهزات المعرفـية غـير المـتوقعة، فقـد يـؤدى احـتفاظ النظام ببعض الصور

القديمة عن الأنظمة الأخرى وعدم محاولة تحديثها أو تعديلها إلى حدوث صدمات معرفية وهزات قد لا يستطيع النظام أن يعالجها أو يقلل من آثارها السلبية.

- قد تُضعف الصور قدرة النظام على سرعة الاستجابة للمتغيرات الدولية.

(٣) الوظائف الاجتماعية المرغوبة:

- إكساب الشرعية للنظام: قد تؤدى الصور الإيجابية عن نظام ما إلى إكسابه الشرعية الدولية والداخلية، فصورة نظام ما بأنه ديمقراطى أو رأسمالى أو بأنه نظام مفتوح... قد تكسبه الشرعية وتضفى عليه مكانة خاصة.
- تبرير علاقات القوة والسيطرة داخل النظام، وتبرير استخدام القوة ضد الأنظمة الأخرى.
- تحديد هوية النظام وشخصيته القومية، وتمييزها وإحاطتها بقدسية أو بأهمية خاصة.

(٤) الوظائف الاجتماعية غير المرغوبة:

- قد تعوق الصور لا سيما السلبية منها عملية الاتصال والتفاهم بين الشعوب المختلفة أو بين النظام والأنظمة الأخرى المماثلة له.
- قد تزيد بعض الصور من الشعور بالشوفينية القومية لدى أفراد النظام وما يترتب عليها من استعلاء على الأنظمة الأخرى وسوء تفاهم بينها.
- قد تؤدى بعض الصور إلى إشعال الحروب مع الأنظمة الأخرى.

(٥) الوظائف النفسية المرغوبة:

- توفير رجع صدى إيجابى عن النظام، وما يؤدى إليه ذلك من شعور بالرضا والاطمئنان، وارتفاع مستوى تقييم الذات.
- تقديم إطار تبريرى لاتجاهات النظام وممارساته ضد الأنظمة الأخرى.

(٦) الوظائف النفسية غير المرغوبة:

- الشعور الزائف بالأمن.
- تكوين مشاعر العداء نحو الأنظمة الأخرى المعارضة.

- **ملاحظات عامة على التحليل الوظيفىّ للصورة:**

١. إن هذا التحليل الوظيفى للصورة هو "توصيف تقريبى" لوظائف الظاهرة، وليس قانوناً عاماً أو حكماً جبرياً يحكم الظاهرة، إذ ليست هناك قوانين عامة أو أحكام جبرية تحكم الظاهرة الإنسانية أو تحدد مسارها.

٢. إن هذه الوظائف متداخلة مع بعضها وذلك من نواح ثلاثة:

- صعوبة الفصل بين الوظائف على المستوى الفردى وعلى مستوى الجماعة وعلى مستوى النظام.
- صعوبة الفصل بين الوظائف المعرفية والنفسية والاجتماعية.
- صعوبة الفصل أو التمييز بين الوظائف المرغوبة والوظائف غير المرغوبة.

وبصــفة عامــة يمكــن القــول: إنه لا يوجد حدٌّ فاصل يمكن الارتكان إليه أو محكــات موضــوعية يمكــن الاحــتكام إلــيها والاعــتماد عليها. لذا فإن التحليل الوظيفى السابق يقدم رؤية شبه موضوعية لوظائف الظاهرة.

٣. إن هــذا التحلــيل لا يتضــمن "حصــراً " لكلّ الوظائف، وإنما هو "تمثيل" لــبعض الوظــائف الظاهــرة لــنا نتــيجة إطلاعــنا على أدبيات الصورة أو ملاحظاتــنا المباشــرة. وقــد تكــون هناك وظائف أخرى (باطنة أو ظاهرة) أكــثر أهمــية للصــورة لــم نطلع عليها فى أدبيات الصورة أو لم ننتبه إليها فى الواقع، أو هما معاً.

٤. إن هــذه الوظــائف الســابقة للصورة هى وظائف احتمالية Probabilistic Functions وليســت وظــائف جــبرية Inevitable Functions ، ولــذا فقد أكــثرنا مــن اســتخدامنا للفظــة "قــد" الــتى تعــنى عند دخولها على الفعل المضارع "الاحتمالية" وعند استخدامها مع الفعل الماضى "التحقيق".

٥. إن بعــض الوظــائف الســابقة قــد تكــون متعددة الأسباب أو المصادر ، وتشــكل الصــورة جــزءاً مــنها (وإن اختلفت أهمية هذا الجزء) إذ لا توجد ظاهرة إنسانية أحادية السبب، وإنما هى دائماً نتاج لعوامل متعددة.

٦. إن هــذا التحلــيل الســابق للصــورة هــو "تحليل تصورى" أى أنه يخضع لتصــورنا ولرؤيتــنا، وهــو قــابل للإضــافة إليه من بعض الباحثين، وقابل للحــذف مــنه مــن الــبعض الآخــر. غير أنه فى جميع حالاته يمثل محاولة جديدة فى التراثين العربى والغربى للإلمام بوظائف الصورة ومهامها.

• هوامش الفصل الرابع

(1) Wright , Charles (1960): Functional Analysis of Mass Communication. Public Opinion Quarterly, Vol.24 , pp. 605-620

(٢) جيهان رشتى (١٩٩٣): الأسس العلمية لنظريات الإعلام . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ص ٢٠١

(٣) الفصل السابق : الصورة : التوجهات النظرية

الباب الثاني



وسائل الإعلام والصورة
والقرار السياسي
التكوين
والعلاقات المتبادلة

تمهيد:

تمـــثل العلاقة بين النظامين الاتصالى والسياسى موضوعاً لعدد كبير من الدراســات والــبحوث التى حاولت وضع نماذج عامة يمكن فى ضوئها تحديد طبيعة العلاقة بينهما (علاقة اعتماد متبادل- علاقة خضوع وهيمنة) واتجاه هذه العلاقة (من وسائل الإعلام والاتصال إلى النظام السياسى- من النظام السياسى إلــى وســائل الإعلام والاتصال) وذلك فى ضوء أطر نظرية عامة ومقاربات فكرية متشابهة فى بعض الجوانب ومختلفة فى كثير منها.

وقــد ركزت هذه الدراسات جميعها على العلاقة المباشرة بين النظامين، وعلى وضعهما وجهاً لوجه، ومحاولة إجراء الحوار النقدى بينهما، وصولاً إلى رؤيــة موضــوعية لطبيعة هذه العلاقة، بيْد أن العلاقات بين النظم ليست بهذه الدرجة من المباشرة دائماً، كما أنها ليست بهذا الوضوح فى غالبية الأحيان ، إذ كثــيراً ما تكون العلاقة بين نظامين (كالنظام السياسى والنظام الاتصالى) علاقة غــير مباشرة، ومستترة، ولذا تتطلب دراستها الاستقراء لما هو واضح ومباشر من ناحية، والاستنباط لما هو مستتر وغير مباشر من ناحية أخرى.

وتقــوم فكرتــنا فى هذا الجزء على طرح نظرى مفاده أن علاقة وسائل الإعــلام بالــنظام السياسى ومتخذى القرارات السياسية (فى الأنظمة الليبرالية فقط *) لا تتم إلا من خلال الانعكاسات المتبادلة بينهما. بمعنى آخر، فإن النظام الإعلامـــى لا يؤثر مباشرة فى اتخاذ القرار السياسى بإمداده بمعلومات مباشرة يمكــن لصانعى السياسات ومتخذى القرارات أن يتخذوها أساساً للبناء عليه، أو قــاعدة معرفــية للانطــلاق مــنها، وإنما يؤثر من خلال بثه ونقله للصور أو التصــورات التى من شأنها التأثير فى العقل الجمعى وفى مدركات الرأى العام وهــو مــا ينــتقل صداه من خلال وسائل الإعلام نفسها إلى صانعى السياسات ومتخذى القرارات.

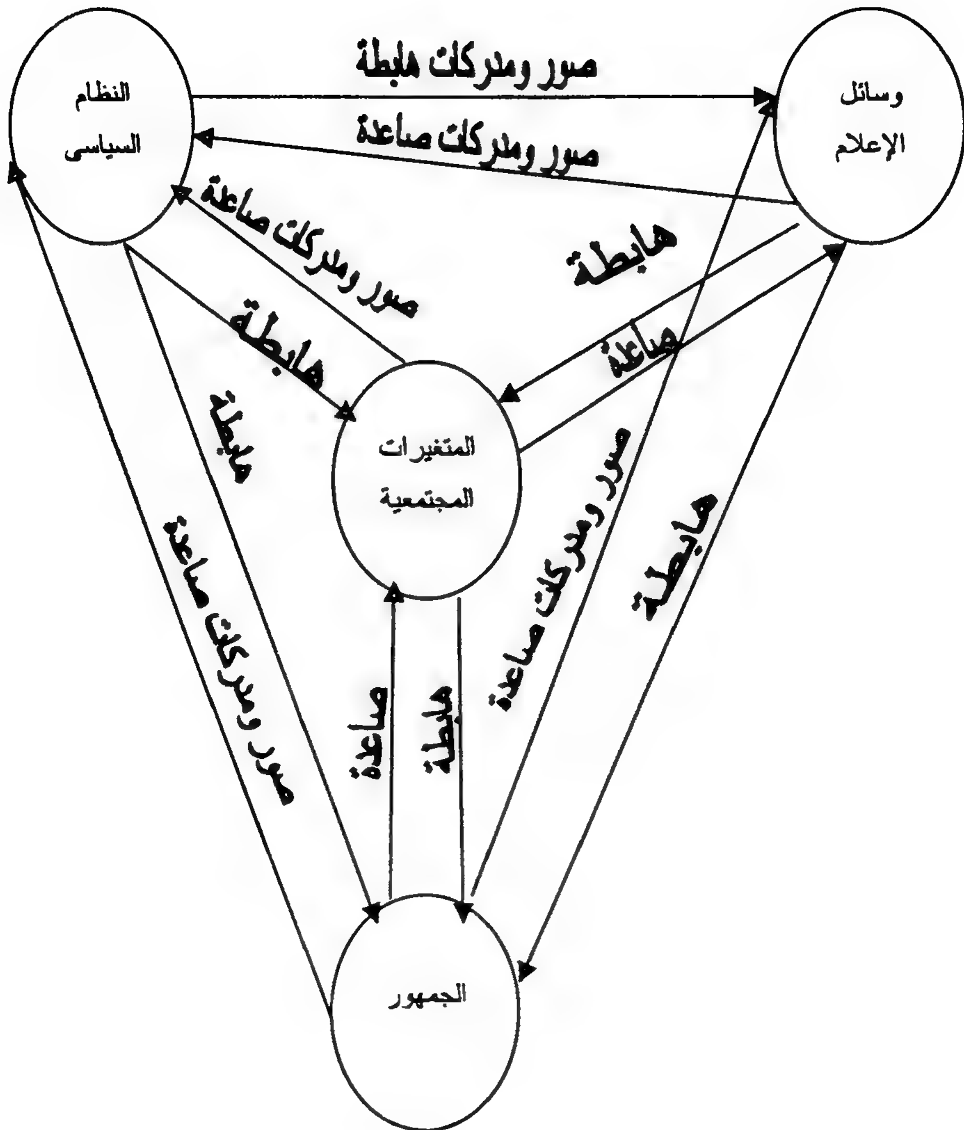
(*) تم الاقتصار فى هذه النقطة على النظم الليبرالية . أما النظم غير الليبرالية فإن اتجاه العلاقة فــيها محــدد ، إذ يسيطر النظام السياسى على النظام الإعلامى ويخضعه لتوجهاته وأهدافه ، ولــيس لوسائل الإعلام أو للإعلاميين فى هذه النظم دور خارج نطاق تنفيذهم لهذه التوجهات والأهداف

كذلك فإن تأثير النظام السياسى على وسائل الإعلام يأتى من قيام متخذى القــرارات وصـــانعى السياسات ببث صور ومدركات يمكن لوسائل الإعلام أن تنقلها أو تبلّور الآراء حولها أو تعجّل بتنفيذها، وتصبح هذه المدركات والصور هاديةً للرأى العام أو قائدةً له للمطالبة بتحقيق هذه التصورات.

معنى هذا أن العلاقة بين وسائل الإعلام والقرارات السياسية لا توجد إلا مــن خــلال المدركات والتصورات والصور المتبادلة بين النظامين والتى تتم بطــريقة غــير مباشــرة فـــى معظم الأحيان ومستترة فى غالبيتها وتبادلية فى جميعها. والشكل التالى يوضح تصورنا للعلاقة بين النظامين :

شكل رقم (٤)

العلاقة بين النظامين الإعلامى والسياسى



ويمكن إلقاء مزيد من الضوء على هذه العلاقة من خلال الفصول الثلاثة التالية:-

الفصل الخامس: وسائل الإعلام وصناعة الصور ونقلها.

الفصـــل الســـادس: وسائل الإعلام وعلاقتها بمتخذى القرارات وصانعى السياسات.

الفصل السابع: الصور ودورها فى اتخاذ القرارات السياسية.

الفصل الخامس

وسائل الإعلام وصنع الصور ونقلها

تمهيد:

تكـاد تجمع الدراسات الإعلامية على كون وسائل الإعلام إحدى الوسائل الفعالـــة التى يتم من خلال ما تقدمه من معلومات وأخبار تشكيل الصور الذهنية لــدى الجمهــور فـــى شــتى المجـــالات، فالطريقة التى تُعرض بها المرأة فى التلـــيفزيون والأدوار الـــتى تقـــوم بها تكوّن صورة نمطية لها لدى الجمهور[١] والطـــريقة الـــتى يعـــرض بها السود تحدد اتجاهات الجمهور نحوهم[٢] كما أن الطريقة التى تعرض بها الجماعات الخارجية تحدد انطباعات الجماعة الداخلية نحوها وسلوكياتها تجاهها[٣]. وعلى حدّ تعبير أحد الباحثين تبرز وسائل الإعلام "كعـــامل هام فى تشكيل الصور الذهنية عن الأفراد والشعوب من خلال ما تبثه من أحداث إخبارية ومضامين مختلفة"[٤].

وتوجـــد كثـــير من العوامل التى تهيئ لوسائل الإعلام القيام بهذا الدور، منها:-

١. الانتشـــار الواســـع لوسائل الإعلام وامتدادها الأفقى والرأسى وقدرتها الـــبالغة علـــى الاستقطاب والإبهار: حيث أسهمت تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى مد واتساع نطاق تغطية وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، كما أسهمت فى تغيير شكل وأسلوب عمل وسائل الإعلام عموماً والتليفزيون خصوصـــاً، مـــن خـــلال قدرتها على نقل الأحداث بسرعة مصحوبة بالصـــورة الفيلمية والتغطية الفورية لأماكن الأحداث أياً كانت، وتقديم الخلفية التفسيرية للأحداث بالاعتماد على تكنولوجيا الاتصال المعاصرة.
٢. استيلاؤها على أوقات الأفراد ومنافستها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى فى مجال التأثير الجماهيرى[٥].

٣. إيقـــاع العصر الحالى الذى يتسم بالسرعة من ناحية وبعزلة الأفراد عن بعضهم البعض "حيث الزحام الذى كلٌ فرد فيه وحيد "[٦] مما يجعل من وسائل الإعلام مصدراً للشعور بالمشاركة وعدم العزلة.

المواد الإخبارية كإحدى أهم المضامين الإعلامية المشكلة للصورة والناقلة لها:

تعـدُ الوظيفة الإخبارية إحدى أهم الوظائف التى تقوم بها وسائل الإعلام فى مختلف المجتمعات ، ذلك أنها تلبى حاجة بشرية أساسية وجدت مع الإنسان منذ بدء الخليقة وهى: البحث عن الأخبار[٧] فالإنسان - بوصفه كائناً اتصالياً - تـــواقٌ للـــتعرف علـــى البيئة المحيطة به، ويحدوه شغف شديد لتلمس الأخبار، ومعـــرفة حقـــائق الأحـــداث الـــتى تدور من حوله[٨] وهو ما تحققه له المواد الإخـــبارية، كما أنها تشبع الفضول لدى الأفراد فى معرفة ما يحيط بهم.. وهذا يساعدهم على تكوين وجهات نظر تجاه الأحداث، واتخاذ مواقف تجاهها[٩].

وإذا كـــان البحـــث عن الأخبار حاجة إنسانية قديمة، فإن ظروف العصر الحديـــث قـــد زادت من شدة هذه الحاجة وزادت دوافعه لتلمسها.. فالمُشاهد أن الأفراد فى المجتمعات الحديثة يعيشون فى عزلة شديدة الوقع، خاصة فى ضوء تفكـــك العلاقـــات الأسرية فى المراكز الحضرية، ولذلك تؤدى وسائل الإعلام وظـــيفة حـــيوية للأفراد بمراقبة البيئة المحيطة، وللمجتمعات عن طريق تزويد الـــنظام الاجـــتماعى بالمعلومـــات اللازمة، وإذا كان الأفراد يتصفون بالسلبية الشـــديدة فـــى مجتمعاتنا المعاصرة بسبب هذه العزلة، فإن إطلاعهم على أحدث تطـــورات الأنـــباء أى معرفـــتهم بمـــا يدور فى العالم، من شأنه إعطاؤهم هذا الإحســـاس الكـــاذب بالمشاركة، بمعنى أنهم ليسوا فقط جزءاً من هذه الأحداث ولكنهم يشاركون فى صنعها، هذه الحاجة النفسية هى التى تفسر، جزئياً ، كيف

أن وسائل الإعلام بصفة عامة- والمضامين الإخبارية بصفة خاصة- أصبحت جزءاً مهماً من حياة الأفراد(١٠).

وإذا كانت المواد الإخبارية بهذه الأهمية، سواء لدى وسائل الإعلام(١١) أو لدى الجمهور(١٢) فإن معرفة الأساليب والطرق التى تسهم بها فى تكوين الصور الذهنية أو فى نقلها تعتبر ضرورة لفهم تأثيراتها ومعرفة نتائجها.

الأساليب الإخبارية المستخدمة فى تشكيل الصور الذهنية:

توجد عدة أساليب إخبارية أساسية تتكامل معاً وتسهم فى تكوين الصور الذهنية لدى الأفراد الأكثر اعتماداً على وسائل الإعلام فى استقاء المعلومات(١٣) وهذه الأساليب هى:

١- شخصنة المواقف والأحداث Personalization:

يمكن تعريف شخصنة المواقف والأحداث بأنه اتجاه الإعلاميين نحو جعل المواقف والأحداث نتاج لأفراد أكثر منها نتاج مجتمعات ومؤسسات، ونقل الحدث بدون تقديم السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى نتج من خلالها وفى سياقها.

وتوجد عوامل عديدة تدفع وسائل الإعلام إلى الاتجاه نحو شخصنة الأحداث منها:

- خوف رجال الإعلام من هروب الجمهور من وسائل الإعلام فى حالة التركيز على التحليلات المتعمقة.

- سهولة سرد الجانب الإنسانى فى أى قضية من سرد التفاصيل الجوهرية أو المتعمقة لها.
- ســهولة مــتابعة الجمهــور للأخبار المشخصنة وسهولة الفهم (الظاهرى) لها[١٤].

٢- إضفاء الطابع الدرامى على المواقف والأحداث Dramatization:

لعــلّ اســتخدامنا لمصطلح "قصة إخبارية " دون غيره من المصطلحات يوضـــح لنا مفهوم الطابع الدرامى، إذ عادة ما تقدم وسائل الإعلام الأخبار فى شــكل قصــص، لكــل قصة منها شخصياتها (الفاعلون) وحبكتها (المأزق أو المشــكلة)، وعــادة مــا يتم تقديم هذه القصة مختصرة فى شكل كبسولة يمتزج بداخلها الحاضر بالماضى أو المستقبل. وهذه القصص الإخبارية أشبه ما تكون بالمــيلودراما .. وهــى ترضــى الاهــتمامات العاطفية التى تثار من خلال الشخصيات والحبكات، كما أن غالبيتها تدور حول عدد من المسئولين المألوفين الذين أصبحوا نجوماً إخبارية.

(٣) تجزىء المواقف والأحداث Fragmentation

ويعــنى تجــزئ الأخــبار عــزل القصــص الإخــبارية عــن بعضها الــبعض وعــدم ربطهــا أو محاولة إيجاد الروابط بينها، ولذا فإن المعلومات فــى الأخــبار تــبدو منفصــلة ومــن الصــعب جمعها فى إطار واحد. ويبدأ تجــزئ المعلومــات بالتأكــيد علــى الفاعليــن كأشــخاص أكــثر من إبراز الســياقات الــتى يعملــون فــى إطارهــا، كما يساعد تقديم الأخبار فى شكل درامــى علــى تقديــم المعلومــات بشــكل مجــزئ ، وتتم المبالغة فى عملية

تجـزئ الأحـداث والمواقـف نتـيجة حجز مساحات زمنية أو مكانية محدودة للقصـة الإخـبارية فـى الوسـيلة الإعلامـية وذلك لخوف رجال الإعلام من أن يـؤدى الـتطويل إلـى إصـابة المشـاهدين بالملل ومن ثمّ ينصرفون عن الوسيلة.

والنتـيجة النهائـية لعملـية الـتجزىء هـو تقديـم الأخـبار فى شكل هلامى Chaotic بحيث تظهر وتختفى دون رابط بينها.

(٤) تنميط المواقف والأحداث Normalization

ويحـدث تنمـيط المواقـف والأحـداث من خلال تقديم وسائل الإعلام لتفسـيرات نمطـية للمواقـف والأحـداث. فالمسـئولون ورجـال الإعـلام يسـتجيبون للأزمـات الطارئـة وللمشـكلات المجتمعـية بقولهـم إن هـذه الأشـياء سـوف تعـود إلى حالتها النمطية (العادية) Will Return to Normal مـرة ثانـية. وأحـد أسـباب التنميط هو اعتماد وسائل الإعلام على الأسلوب الدرامـى فـى تقديـم الأخبار، وهذا الأسلوب الدرامى لابدّ له من حبكة plot تجعـل الخـبر مثـيراً، بيد أن هذه الحبكات قليلة من ناحية وكثيرة الاستخدام مـن ناحـية أخـرى ممـا يـؤدى إلـى تنميط المواقف والأحداث وحصرها داخل هذه الحبكات(١٥).

***

إن هـذه الخصـائص البنـيوية والسـمات الأسـلوبية الأربعة للقصص الإخـبارية فـى التلـيفزيون تتشـابه كثيراً مع الخصائص البنيوية والوظيفية للصـور النمطـية السـابق ذكـرها، وذلـك مـن حيث كونها جزئية وثابتة وقاصـرة عـن الاحـتواء الكلى للموقف أو التفسير الشامل للقضية والحدث، ومـن ثـمّ ، ووفـق كثـير من النظريات الإعلامية – نظرية الغرس الثقافى، نظـرية الأطـر الإخـبارية– فـإن هـذه القصـص الإخبارية التى تعرضها

وسائل الإعلام تؤثر على إدراكات المستقبلين ومدركاتهم وتكوّن لديهم صوراً نمطية عن المواقف والأحداث المختلفة فى أشكالها، والمتفردة فى أسبابها.

إن السعى نحو أخبار جيدة المضمون وذات جودة عالية لا يتم إلا من خلال استبدال النظام الحالى الذى يعتمد على الشخصنة وإضفاء الطابع الدرامى والتجزئ والنمطية فى تقديم المواقف والأحداث، بمنظورات تركز على التوجهات المؤسسية والتحليلية والتاريخية والنقدية، وفى إطار هذه التوجهات وتلك المعلومات المنبثقة عنها، فإن الأفراد قد يستطيعون التوصل إلى فهم أعمق للمشكلات المجتمعية ويصبحون أكثر دافعية نحو المشاركة فى حلها. وبالتالى يتعاملون مع الواقع أكثر من تعاملهم مع صورته، أو يتعاملون مع صورة مشابهة أو متوافقة للواقع أكثر من تعاملهم مع صورة مشوهة له أو مختلفة عنه(١٦).

وسائل الإعلام وتكوين الصور:

دراسة حالة لأساليب تكوين صورة العدو:

فى إطار قيام وسائل الإعلام بشخصنة الأحداث والمواقف، وعرضها فى قالب درامى، وتجزئيها، وتنميط أحداثها ومواقفها، تقوم هذه الوسائل بوضع بعض الحدود الثقافية بين الـ "نحن" و الـ "هم"، بين "الخير كما نمثله" و "الشر كما يمثله الآخرون" بين من يمكن تصورهم على أنهم "ملائكة" ومن يمكن تصورهم على أنهم "شياطين"(١٧).

وطبيعى أن من يخالفنا يتم عرضه فى صورة "الغريب، الشيطان، الشرير"، أى أن الآخر فى وسائل الإعلام يتم تجريده من شرعيته وما يتضمنه ذلك من تجريده من إنسانيته ونبذه واستخدام الألقاب السياسية

المخزية ضده وإلصاق بعض الصفات المكروهة به وغيرها من الأساليب الإعلامية التى يمكن توضيح بعض عناصرها فيما يلى:

أولاً: تجريد العدو من شرعيته: المفهوم والخصائص:

يمكن تعريف التجريد من الشرعية بأنه عملية تصنيف الجماعات إلى فئات اجتماعية شديدة التطرف فى السلبية، ويتم نبذ هذه الجماعات واستبعادها من الجماعات الإنسانية لأنها تخرج على أعرافها، ولا تلتزم بمعاييرها، ولا تتمتع بقيمها، ولا تتفق مع توجهاتها، بمعنى آخر، فإن التجريد يعنى إنكاراً لآدمية الجماعة موضوع التصنيف[١٨].

ولهذه العملية عدة خصائص تميزها وتوضح أبعادها، منها:

١. إن هذه العملية تستخدم مضامين شديدة السلبية والبروز كأساس لها.
٢. إن هذه العملية تضع الجماعة موضوع التجريد (الأعداء) فى فئات وقوالب مرفوضة كلية من أعضاء الجماعة الداخلية.
٣. إن هذه العملية عادة ما تكون مصحوبة بتكوين بعض المشاعر شديدة السلبية.
٤. إن هذه العملية قد تتضمن اتجاهات سلوكية سلبية نحو الجماعة موضوع التجريد.
٥. إن هذه العملية تركز إجمالاً على كون الجماعة الخارجية (الأعداء) لا تستحق المعاملة الإنسانية[١٩].

ثانياً: طرق التجريد من الشرعية وأشكاله:

(١) التجريد من الإنسانية Dehumanization

ويتم ذلك بطريقتين:

- وصف الجماعة الخارجية (الأعداء) بصفات لمخلوقات أدنى من مرتبة الإنسان العادى (الجنس الوضيع – الحيوانات....)
- وصف الجماعة الخارجية بصفات لمخلوقات أقوى من الإنسان ولكنها مخلوقات خبيثة وشريرة (الشيطان – ..)[٢٠].

ويمكن أن نرى نماذج عديدة لذلك فى وصف إيران (الخومينى) للولايات المتحدة بأنها "الشيطان الأعظم "، أو وصف الألمان (هتلر) لليهود بأنهم "جنس وضيع"، أو وصف البيض للسود بأنهم "أقل مرتبة منهم" و "حيوانات"[٢١].

(٢) النبذ والإبعاد Outcasting

ويعنى ذلك وصف الجماعة الخارجية بأنها معتدية على الأعراف الاجتماعية المحورية Pivotal Social Norms، مثل وصف الجماعات الخارجية بأنهم "قتلة" و "لصوص"، "فاسدون أخلاقيا" و "شهوانيون"، و "شواذ" ... وهؤلاء المحطمون للأعراف والخارجون عليها لابدً من إبعادهم، ونبذهم، والحط من أقدارهم[٢٢].

ويمكن أن نرى نماذج لذلك فى العلاقة بين يهود إسرائيل والفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة، فاليهود يصفون الفلسطينيين بأنهم "قتلة" و "إرهابيون".. و "متخلفون"... بينما يصف الفلسطينيون الإسرائيليين بأنهم "صهاينة" و "عنصريون" و إرهابيون" و "محتلون غاصبون"[٢٣].

(٣) استخدام الألقاب السياسية Use of political labels

أى أن التصنيف فى هذه الحالة يكون على أسس سياسية أيديولوجية، وبديهىّ أن هذه الألقاب المستخدمة فى وسائل الإعلام تكون مبنية على أهداف وأيديولوجيات وقيم سياسية (نازيون – فاشيست – استعماريون – إمبرياليون).

ويمكن أن نرى نماذج لذلك فى وصف الأمريكان للروس سابقاً بأنهم "شيوعيون" فى حين يصف الروس الأمريكيين بأنهم "رأسماليون، إمبرياليون"، وكل نوع يمثل الشر الذى لابدَّ من القضاء عليه لدى الطرف الآخر.

(٤) إلصاق الصفات Trait characterization

ويعنى هذا الأسلوب نسب صفات شخصية لأفراد الجماعات الخارجية وإلصاقها بهم، بحيث تصبح فى النهاية مرتبطة بهم أشد الارتباط.

مثال على ذلك وصف وسائل الإعلام الألمانية (فى عهد هتلر) للغجر بأنهم "غير متوازنين، عديمو الشخصية، خاملون، لا يعتمد عليهم".

(٥) المقارنة مع الجماعة الداخلية Group Comparison

وفى هذا الأسلوب يتم مقارنة الجماعة الخارجية بالجماعة الداخلية، وإبراز الجماعة الخارجية باعتبارها مثالاً للشر والزيف والخداع . وكلّ مجتمع لديه فى ثقافته أمثلة للجماعات التى تستحق – من وجهة نظر هذه الثقافة – أن توصف بكل الصفات الرديئة. مثال على ذلك وصف وسائل الإعلام الأمريكية الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية بأنهم Huns أى برابرة، مدمرون[٢٤].

ثالثاً: الوظائف التى تحققها وسائل الإعلام للمجتمع من عملية تجريد الآخرين من شرعيتهم:

توجد وظائف عدة سياسية وأيديولوجية وثقافية تحققها وسائل الإعلام للمجتمع أو الجماعة الداخلية نتيجة لتجريد أعضاء الجماعة الخارجية من شرعيتهم، منها:

- تبرير التصرفات السلبية جداً للجماعة الداخلية Justification For Extreme Negative Behavior، إذ تبرر وسائل الإعلام من خلال قيامها بهذا الدور التصرفات العدوانية وأعمال العنف التى تقوم بها الجماعة الداخلية ضد الجماعة الخارجية.
- إبراز الاختلافات والفروق بين الجماعات ، فعن طريق عملية التجريد يتم وضع حدود فاصلة ومعروفة بين الجماعة الداخلية الـ "نحن" و الجماعة الخارجية الـ "هم".
- إظهار الشعور بالتفوق Superiority إذ تحاول وسائل الإعلام إظهار تفوق الجماعة الداخلية من خلال تجريدها لشرعية الجماعة الخارجية.
- التأكيد على تآلف الجماعة Group Uniformity إذ تحاول كل جماعة إبراز تآلفها وتماسكها فى مقابل تنافر الجماعات الخارجية وتفككها[٢٥].

ملاحظات عامة على دور وسائل الإعلام فى تكوين الصور:

١. الملاحظ على معظم الدراسات الإعلامية فى مجال الصورة أنها ذات رؤية أحادية الجانب للموضوع، ولم تناقش معظمها الجانب الآخر من القضية، فمع اتفاقنا على أهمية وسائل الإعلام فى تشكيل

بعــض الصـــور، فــإن دورهــا الأكـــبر – من وجهة نظرنا – يكمن فى نقــل الصـــور، فهـــى وســـيلة لـــنقل صور موجودة أصلا فى المجتمع أو هـــى مـــرآة عاكســـة لهـــذه الصـــور، فالمجـــتمع ينتج الصور، ووسائل الإعـــلام تعكســـها. وإذا كـــان الـــبعض يـــزعم أن المسألة أشبه بجدلية أيهمـــا الأســـبق البيضـــة أم الدجاجـــة ؟ فإننا نرى أن وجود الصور قبل ظهـــور وســـائل الإعـــلام واستمرارها معها يرجّح الوجهة الأولى، وهى أن مهمـــة وســـائل الإعـــلام الأساســـية هـــى عكـــس الصور لا إنتاجها، ونقلها لا صناعتها.

٢. إنـــه مـــع اقتناعـــنا بكـــون وســـائل الإعلام أداة لنقل الصور، فإن ذلـــك لا يمـــنع أن تكـــون وســـائل الإعـــلام صـــانعة لبعضها، ولكن فى حالات محددة ومحدودة، وهى:

- أن يكـــون الشـــىء موضـــوع الصـــورة جديداً لا علم للمجتمع به مـــن قـــبل، ولا عهـــد لـــه بـــه، فوســـائل الإعلام وهى تنقل هذا الشىء تصنع له صورة لدى الجمهور.
- أن يكـــون الشـــىء موضـــوع الصـــورة غير متعارض فى أسسه أو متـــناقض فـــى تكويـــنه مـــع الصـــور القديمـــة الموجودة لدى المجـــتمع، أمـــا إذا كـــان الشـــىء موضوع الصورة متعارضاً أو متناقضـــاً ففـــى هـــذه الحالـــة يشـــترط أن يكـــون لدى المجتمع الاســـتعداد والقابلـــية لتغيـــير توجهاتهم السابقة وصورهم القديمة ، ولا يـــتم ذلـــك إلا فـــى حالـــة وقـــوع حـــدث مثـــير وحيوى Spectacular Events يضـــعف الأســـس الـــتى تقـــوم علـــيها الصـــور القديمـــة ويهـــيىء المجـــال لتقـــبل الصـــور الجديدة أو المعدلـــة أو مـــن خـــلال الأحـــداث التراكمـــية Cumulative

Events . نـــرى أمـــثلة لذلـــك فـــى صورة الصينيين لدى الهنود قـــبل الصـــراع الحـــدودى بيـــنهما (ديسمبر ١٩٥٩) وبعده ؛ فقبل الصـــراع كانـــت صـــورة الصـــينيين أنهـــم متقدمون ، شرفاء ، وطنـــيون ، شـــجعان ، مـــتقفون . أمـــا بعـــد هـــذا الصراع فقد أصـــبحوا مـــن وجهـــة نظـــر الهنود عدوانيين ويتسمون بالوقاحة ويعشـــقون الحـــرب وطماعيـــن وأغبـــياء . كذلك نرى تغيراً فى صـــورة اليابانيـــين لـــدى الأمريكان قبل موقعة " بيرل هاربور " وبعدها .

- أن تكـــون خصـــائص الشـــىء موضـــوع الصـــورة من الوضوح والـــبروز بحيـــث يمكـــن نقلها بسهولة إلى الجمهور وغرسها فى تفكيره.

٣. إن قصر التركيز على دور المواد الإخبارية فى تكوين الصور ونقلها لا يعـــنى التقلـــيل من أهمية المواد والمضامين الإعلامية الأخرى، فالدراما بكافة أشكالها (مسلسلات، أفلام، مسرحيات...) تعتبر مصدراً فعالا للتكوين والنقل، ولعلَّ صورة الولايات المتحدة المتكونة لدى كثير من شعوب الدول الأخـــرى ترجع إلى الدراما الأمريكية التى يتم إذاعتها وبثها فى هذه الدول، أكثر من المواد الإخبارية وهو ما تشير إليه كثير من الدراسات[٢٦].

٤. إن إيـــراد أربعـــة أســـاليب إخبارية فقط تستخدم فى تشكيل الصور الذهنية ونقلها، لا يعنى عدم وجود أساليب إخبارية أخرى، ولكن معناه أنها أهـــم الأســـاليب وأبـــرزها، فمن الأساليب الأخرى التى قد تسهم فى رسم الصورة بطريقة غير مباشرة أسلوب التجاهل وعدم الاهتمام والدفن: فتجاهل أخـــبار دولة معينة، وعدم الاهتمام بقضاياها وعدم إيراد أية إشارة لها هو نـــوع من أنواع "نفى الآخر" و "تجريده من شرعيته" و "سحقه" وما فى ذلك

من إشارة إلى عدم أهميته أو دونيته، وما يؤدى إليه ذلك من تكوين صورة سلبية لهذه الدولة بطريقة غير مباشرة.

٥- إن نجاح وسائل الإعلام (المضامين الإخبارية) فى نقل الصور السياسية بصفة خاصة وفى تكوينها يتطلب بناء خاصاً للرسالة الإعلامية الإخبارية، وتوفر بعض العناصر الأسلوبية التى بدونها يصعب نقل الصور أو تكوينها، وهذه العناصر يمكن إجمالها فيما يلى:

- بناء الرسالة وتأليفها: فمضمون الرسالة السياسية لابدّ أن يكون بسيطاً ، مألوفاً ، مثالياً. فالصور السياسية تبدأ عادة بجملة رئيسية Key phrase أو فكرة ترسم طريقاً ملائماً للناس حتى يفكروا فى موضوع الصورة. على سبيل المثال استخدم روزفلت فى دعايته الانتخابية شعار العهد الجديد New Deal وذلك للإشارة إلى برنامج اقتصادى معقد، كما استخدم كيندى شعار الحدّ الجديد New Frontier واستخدم جونسون شعار المجتمع العظيم Great Society، واستخدم ريجان شعار الفيدرالية الجديدة New Federalism واستخدم بوش (الأب) شعار "النظام العالمى الجديد New World Order وفى مصر استخدم جمال عبد الناصر شعار "القومية العربية" واستخدم أنور السادات شعار "دولة العلم والإيمان" و "دولة المؤسسات"، ويستخدم حسنى مبارك شعار " الشفافية وطهارة اليد " وهكذا .

- إبراز الرسالة السياسية: لو أصبحت الرسالة أكثر بروزاً وظهوراً، وتم إغراق وسائل الإعلام بها أكثر من الرسائل المنافسة لها، فمن المحتمل أن يكون لها نصيب كبير فى

تكوين فكر الأفراد وتصوراتهم.

- إحاطـــة الرســـالة بســـياج مـــن المصـــداقية، وذلـــك عن طريق اســـتخدام الحجـــج المنطقـــية أو الاســـتمالات العاطفـــية أو همـــا معا(٢٧).

خلاصة القول: إن وسائل الإعلام فى ظلّ خصائصها الراهنة، وخصائص المجـتمعات الحالية تلعب دوراً كبيراً فى تكوين الصور لدى الأفراد وفى نقلها إلـيهم. وهى تتبع فى ذلك أساليب مختلفة وطرقا متعددة، وتشير نتائج كثير من الدراسات الإمبيريقية إلى نجاح وسائل الإعلام فى تحقيق كثير من أهدافها، وفى الوصول إلى كثير من غاياتها.

• هوامش الفصل الخامس

(١) منى سعيد الحديدى (١٩٧٧): دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية فى الفيلم المصرى والآثار الاجتماعية والإعلامية المترتبة على ذلك . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

2) Pieterse, N. (1992): White on Black: Images of Africa and Blacks in Western popular Culture. New Haven and London, Yale University press, Pp. 30-51.

(٣) ثريا البدوى (١٩٩٥): مرجع سابق .

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٨

(٥) عبد القادر طاش (١٩٨٩): الصورة النمطية للإسلام والعرب فى مرآة الإعلام الغربى. الرياض، شركة الدائرة للإعلام، ص١٩.

(6) Reisman , S. (1950): Lonely Crowd: Study of The Changing of American Character. New York.

(٧) سامى الشريف (١٩٨٩) النشرات الإخبارية فى الإذاعات العربية (المحتوى والشكل) . القاهرة ، دار الوزان للطباعة والنشر، ص١١.

(٨) المرجع السابق نفسه، ص٣٩.

(٩) سوزان القلينى ، هبه السمرى (١٩٩٣) : إنتاج البرامج للراديو والتليفزيون: القاهرة، مكتبة الشباب، ص٩٧.

(١٠) سعيد محمد السيد (١٩٨٨) : إنتاج الأخبار فى الراديو والتليفزيون. القاهرة عالم الكتب، ص ص ١٥-١٦.

(١١) حسن عماد مكاوى (١٩٨٩): إنتاج البرامج للراديو: النظرية والتطبيق. القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢٩٥.

(١٢) حنان محمد إسماعيل يوسف (١٩٩٦): دور المادة الإخبارية التليفزيونية فى تدعيم مفهوم المشاركة السياسية لدى شباب القاهرة الكبرى. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص١٤٨.

(13) Bennett, L. (1996): News: The Politics Of Illusion. New York, Longman Puslishers, PP 37-75
- Hartley, A. (1992): The Politics Of Pictures: The Creation Of the Public in The Age Of popular Media. London, Routledge.

(١٤) يذكــر بعض الباحثين أن نجاح الرئيس ريجان فى شخصنة كلّ السياسات والمواقف الــتى اتخذهــا خلال سنوات حكمه للولايات المتحدة كانت من أهم عوامل نجاحه فى تنفيذها وفى كسب تأييد الشعب الأمريكى لها.

(١٥) لمزيد من التفاصيل :

- Fishman, M., (1980): Manufacturing The News. Sustin, University of Texas press.
- Parenti, M., (1986): Inventing Reality: The Politics Of The Mass Media . New York, Martin's press.

(17) Bennett, l. (1996) :Op. Cit., p. 72-73

(١٧) إدوارد سعيد (١٩٨٣): تغطية الإسلام. ترجمة سمير نعيم خورى، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ص ٣٦-٣٧.

(18) Miller, A. (1982):" Stereotyping: Further perspectives and Conclusions" In : Miller , A . (Ed) In The Eye Of The Beholder : A Contemporary Issues In Stereotyping . New york, Prager Publishers Inc ., p. 478

(19) Daniel Bar-Tal (1989): " Delegitimization: The Extreme Case of Stereotyping and prejudice " In :Daniel Bar-tal et al (eds) Stereotyping and prejudice. Changing Conceptions . london- paris- SSSP. PP. 170-171.

(20) Ibid.

(21) Pieterse, N. (1992): Op. Cit., pp. 30-51.

(22) Danial, Bar-Tal (1989): Op. Cit., p. 172.

(23) Danial, Bar-Tal (1988): " Delegitimizing Relations Between Israeli Jews and Palestinians: A Social Psychological Analysis" In : Hoffman, J. & Mari, S. (Eds) Arab- Jewish relations. Bristol, wadswall Hall. pp. 217-248.

(24) Danial Bar-Tal (1989): Op. Cit., pp. 172-173.

(25) Danial Bar-Tal (1989): Op. Cit., p. 175.

(٢٦) من هذه الدراسات على سبيل المثال:

- Kang, J. & Morgan, M. (1988): Culture Clash: Impact of U.S. Television in Korea. Journalism Quarterly. Vol. 65, No.2 , pp. 431-438.
- Tan, A., Tan, G. & Tan, A. (1987): American TV. in The Philippines: A Test of Cultural Impact. Journalism Quarterly. vol. 64 No.1 , pp. 65-72- 144.
- Weimann, G. (1984): Image of live in America: The Impact of American TV. in Israel. International Journal of Intercultural Relations. Vol. 8, pp. 185-197.

(27) Bennett, L. (1996): Op. Cit. , pp. 82-85.

الفصل السادس

وسائل الإعلام
وعلاقاتها بمتخذى
القرارات السياسية

أ- مشاهد أولية

تزخر كتب الإعلام ودراساته بالعديد من المشاهد واللقطات ذات الدلالة فى توضيح العلاقة بين وسائل الإعلام ومتخذى القرارات وصانعى السياسات، نقتطف منها هذه المشاهد:

١. كان البيت الأبيض خلال سنوات رونالد ريجان يصل إلى حالة توقف صارخ فى السابعة مساء، حتى يستطيع كل مسئول أن يشهد برامج الأخبار المسائية، ليرى، فى المقام الأول، ما إذا كانت إدارتهم لمسرح الرئاسة قد تُرجمت بنجاح إلى لغة التليفزيون(١).

٢. فى نهاية برنامج مدته نصف ساعة على شبكة CBS خصص لتقييم الوضع الأمريكى فى فيتنام (مارس ١٩٦٨) استنتج Walter Cronkite المذيع التليفزيونى الشهير "أن هذه الحرب لا يمكن لأمريكا الانتصار فيها، وأن على الحكومة الأمريكية أن تتفاوض لتخرج من فيتنام". وبمجرد بث البرنامج استدار الرئيس جونسون إلى مساعديه، وأعلن أنه إذا كان كرونكيت Cronkite يعتقد أن الحرب قد انتهت، فإن بقية الشعب لابدَّ أنهم يعتقدون ذلك أيضاً"(٢).

If Walter Cronkite Thought the war was over, so would the rest of the country.

٣. فى حرب الخليج الثانية، وتحديداً ليلة ١٦ يناير ١٩٩١، اجتمع الرئيس جورج بوش (الأب) ووزير الدفاع- حينذاك- ريتشارد تشينى Cheney والجنرال كولن باول Colin Powell قائد العمليات المشتركة، فى البيت الأبيض انتظاراً لسماع آخر التطورات فى عملية "عاصفة الصحراء" من قيادة القوات فى المنطقة، ولكنهم، وبدلاً من ذلك، استمعوا إلى هذه التطورات من خلال CNN التى غطت على الهواء من خلال ثلاثة

مراسلين لها فى بغداد وقائع المعركة خاصة فى ساعاتها الأولى[٣].

٤. كان الرئيس كارتر (أثناء أزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران) يقضى فى مشاهدة شبكات التليفزيون الثلاثة التى كانت تبث إرسالها فى وقت واحد عن آخر الأنباء، وذلك فى المكتب البيضاوى ، وقتاً أطول مما كان يقضيه فى قراءة برقيات وتقارير وكالة المخابرات المركزية CIA والتى تحوى آخر التقييمات بشأن كيفية معالجتها[٤].

٥. كان سكرتير أحد المرشحين فى انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٨٨ يدعى أن هذا المرشح يقضى أكثر من ثلث وقته مع وسائل الإعلام مشتركاً فى برامجها أو مشاهداً لها[٥].

٦. عندما سؤلت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة عن زيارة السادات التاريخية إلى القدس، ومنحه (بالاشتراك مع بيجن) جائزة نوبل للسلام أجابت "أنا لا أعرف شيئاً عن جائزة نوبل... ولكنى أعتقد أنهما (السادات – بيجن) يستحقان جائزة أوسكار"[٦].

ب – استنتاجات مبدئية:

- إن هناك **علاقة ما** بين وسائل الإعلام ومتخذى القرارات السياسية، فهذا الاهتمام الذى تلقاه وسائل الإعلام من متخذى القرارات السياسية لابدّ أن يكون نتيجة **علاقة ما** بينهما ولابد أن هذه الوسائل تمثل **شيئا ما** لدى متخذى القرارات.
- إن هذه العلاقة غير محددة الاتجاه فى تأثيرها : من يؤثر فى من؟ من يسيطر على من؟ من يحدد تصورات من ؟ هل يهيمن متخذو القرارات السياسية على وسائل الإعلام ؟ أم تقود وسائل الإعلام متخذى القرارات وتدفعهم نحو غايات وأهداف تريدها وسائل الإعلام ؟ [٧]

- إن شدة هذه العلاقة وقوتها غير محددة، وتترلوح بين الضعف الشديد فى بعض الأحيان والقوة فى بعضها الآخر. كما تميل هذه العلاقة إلى الانقسام والتباعد والغياب فى بعض الحالات و إلى الالتحام والتقارب والحضور فى حالات أخرى.
- إن هذه العلاقة يكتنفها نوع مما يمكن أن نطلق عليه "الذاتية الضبابية Blurred Subjectivity فالعلاقة غامضة وغير واضحة، وأدوات الملاحظة ذاتية فى أغلبها وغير موضوعية، والنتاج دائما معلومات نصف كاملة، أو نماذج استثناءاتها أكثر من مجالات تطبيقها.

وبصفة عامة يمكن القول إن طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام ومتخذى القرارات السياسية يمكن تصور بعض أبعادها من خلال الإجابة عن الأسئلة الثلاثة الآتية:

أولاً: ما هو تصور متخذى القرارات وصانعى السياسات لدور وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية ؟

ثانياً: ما هو تصور الإعلاميين لدورهم فى المجتمع ولطبيعة علاقتهم بمتخذى القرارات السياسية ؟

ثالثاً: ما هو "التصور العام" لما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام فى السياسة الخارجية ؟

أولاً: تصور متخذى القرارات السياسية لدور وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية:

لاعتبارات منهجية وتطبيقية متعددة، لا توجد دراسات إمبيريقية تم إجراؤها على متخذى القرارات وصانعى السياسات لمعرفة دور وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية، لذا فإن معظم التصورات المطروحة هى تصورات نتاج الملاحظة الشخصية، والاستنباط،

والاعتماد على ملاحظات المقربين من متخذى القرارات وصانعى السياسات أو مذكراتهم وأحاديثهم.

ويمكننا من خلال استقراء نتائج عدد من الدراسات والملاحظات الشخصية توضيح تصور متخذى القرارات لدور وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية فى النقاط التالية:

(١) وسائل الإعلام كوسيلة اتصال مع الدول الأجنبية وأداة تفاوض معها:

توجد حالات كثيرة تم استخدام وسائل الإعلام فيها من قبل بعض الزعماء كأداة رئيسة للاتصال مع نظرائهم فى الدول الأخرى لاسيما فى أوقات الأزمات وذلك لتوصيل رسائل سريعة لهم فى حالة تعطل القنوات الدبلوماسية المعهودة أو بطئها فى تنفيذ ما يوكل إليها. وفى هذه الحالات تتخذ وسائل الإعلام أشكالاً مختلفة فى التوصيل، فقد تعمل كمكبر صوت وترفع نغمة التخاطب أحياناً ، أو تميل إلى أسلوب "الهمس الدبلوماسى" Whispers of Diplomacy فى أحيان أخرى[٨] وهذه أمثلة لتلك الحالات:-

(أ) بعد قيام الثورة الإيرانية، وحصار الطلبة الإيرانيين للسفارة الأمريكية فى طهران واحتجاز من فيها من الأمريكيين كرهائن، استخدم الخومينى وسائل الإعلام وكرّسها لما يمكن تسميته بالدبلوماسية الفورية Instant Diplomacy، وشهد الجمهور الأمريكى واحدة من أطول المسلسلات الدبلوماسية the Longest Diplomatic Soap Operas فى تاريخ الشبكات التليفزيونية الأمريكية. وفى الولايات المتحدة، كان الرئيس كارتر ووزير خارجيته فانس Vance يتحدثان إلى أى شخص يمكن أن يستمع إليهما فى طهران، ليس من خلال المسئولين أو عن طريق

الأساليب الدبلوماسية التقليدية، ولكن من خلال وسائل الإعلام[٩].

(ب)فـــى أثـــناء أزمـــة الرهائـــن الأمريكيين فـــى طهران واستيلاء الطلبة الإيرانيين علـــى السـفارة الأمريكـــية هناك، وجد الطلبة – ضمن ما وجـدوه – وثـيقة هامـــة أعدتهـــا وكالـــة المخابـــرات المركزية CIA الأمريكـــية وعـنوانها "إســرائيل: المخابـــرات الأجنبية وخدمات الأمن Israel: Foreign Intelligence and Security Service وتشـــير الوثـيقة إلـــى أن إســرائيل لا تقـوم بأعمـــال تجسسية على الولايات المـتحدة فقـط ولكـنها تسـتغل أو ترشـو كثـيراً مـــن المسـئولين الأمريكيين. وقـد قامـت طهران بطبع هذه الوثيقة وتوزيعها ونشرها فـــى وســـائل الإعـــلام، وتـم اسـتخدام وسائل الإعلام من قِبل طهران فـــى إيصـــال رســـائل سياسـية معينة متعلقة بهذه القضية إلى الولايات المـتحدة، وهـــو مـــا كـــان له تأثـيره علـــى العلاقـــات الأمريكية – الإسرائيلية فى حينها[١٠].

(ج) أثـناء الغـزو الإسـرائيلى للبـنان (١٩٨٢) وقيامها بمذابح وحشية ضد اللبنانيين والفلسـطينيين، ومحاولـتها القـبض علـى ياسـر عرفات، اسـتخدم الرئيسـان عـرفات وريجـان وسائل الإعلام لتبادل الرسائل بينهما فى محاولة للتوصل إلى حل[١١].

(د) فـــى أثـناء حـرب الخلـيج الثانـــية، وانقطاع العلاقات الدبلوماسية بين الولايـــات المـتحدة والعـــراق، اسـتخدم الرئيسان العراقى والأمريكى وســـائل الإعـــلام لاسـيما شبكة CNN فى إيصال رسائل إلى الشعبين الأمـــريكى والعـــراقى. كذلـك استخدم الرئيس المصرى حسنى مبارك وســـائل الإعـــلام فـــى توجيه رسائل تحذيرية إلى الرئيس العراقى بلغ عددهـــا حوالـــى سـبع عشرة رسالة وذلك بعد سحب السفير المصرى

مـــن العـــراق، وإحســـاس القـــيادة المصـــرية – بعـــد خديعتها من قِبل الرئيس العراقى – بعدم إمكانية التعامل المباشر معه.

(ه) فـــى أغســـطس ١٩٩٤ اســـتخدمت الإدارة الأمريكـــية وسائل الإعلام فى إيصـــال رســـالة تحذيـــرية إلـــى القيادة الكوبية (فيدل كاسترو) تحذرها مـــن الســـماح للكوبييـــن بالهجـــرة المتدفقة إلى الولايات المتحدة ، وأن ذلك سوف يواجه بأعمال صارمة[١٢].

٢- وسائل الإعلام كوسيلة تنفيذ سياسات أو كوسيلة تمهيدية لذلك:

(أ) العـــدوان الأمـــريكى علـــى الجماهـــيرية الليبية: فى عام ١٩٨٦ روجت الإدارة الأمريكـــية فـــى وســـائل الإعلام لقصة تزعم أن الرئيس الليبى معمـــر القذافـــى سيرســـل إلى الولايات المتحدة بعض الفرق الإرهابية (سُـــميت بالفـــرق الضـــاربة) وذلـــك لقـــتل الرئـــيس الأمريكى ريجان وبعـــض المســـئولين الكـــبار فـــى أمريكا، وأن الرئيس الســـابق لـCIA هـــو الـــذى ســـيمد هـــؤلاء الإرهابييـــن بالمفـــرقعات والمتفجرات كما ســـيتولى تدريـــبهم. وأن هـــؤلاء الإرهابييـــن علـــى أهبة الاستعداد فى كـــندا أو المكســـيك لتنفـــيذ المهمـــة. وكان هدف الإدارة الأمريكية من هـــذا الـــترويج هـــو تهيئة الرأى العام المحلى والعالمى لاتخاذ قرارات ضـــد ليبـــيا بـــل وللقـــيام بضـــربة عسكرية ضدها، وقد تم اختيار ليبيا لأنهـــا عـــدو ســـهل – بالمقارنـــة مع الاتحاد السوفيتي – يمكن إظهار تفـــوق الولايـــات المـــتحدة عليه، كما أن الولايات المتحدة كانت تهدف مـــن ذلـــك إلـــى تحويـــل الأنظار عن فشلها فى التعامل بصورة فعالة مع مشكلات أكثر خطورة فى أماكن أخرى[١٣].

(ب) العـــدوان الأمـــريكى علـــى العـــراق (١٩٩٣): وهـــى قصـــة شبيهة بالقصـــة الســـابقة، ممـــا يؤكـــد أنهـــا استراتيجية مفضلة لدى الحكومة

الأمريكية، فقد روجت الحكومتان الكويتية والأمريكية لقصة تزعم قيام الرئيس العراقي صدام حسين بإرسال فرقة إرهابية إلى الكويت وذلك لاغتيال الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في أثناء زيارته للكويت لتكريمه على ما فعله من أجل تحرير الكويت !!. وقد تم تسريب هذه القصة إلى وسائل الإعلام بعد مغادرة جورج بوش للكويت ووصوله إلى الولايات المتحدة، وذلك تمهيداً لقيام الإدارة الأمريكية الجديدة – آنذاك – برئاسة كلينتون بضرب العراق واستعراض قدرتها على الردع وعلى استخدام القوة.

(ج) حرق السفارة الأمريكية في إسلام أباد (١٩٧٩)، خلال الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق والمناورات المتبادلة بينهما، سربت الحكومة السوفيتية إلى وسائل الإعلام الروسية خبراً مفاده أن الولايات المتحدة تعتزم السيطرة على المسجد الحرام في مكة المكرمة، وكان الهدف من ذلك هو إثارة غضب المسلمين وحفيظتهم على الولايات المتحدة. وهو ما ترتب عليه قيام بعض الباكستانيين بحرق السفارة الأمريكية في إسلام أباد[١٤].

(د) حرب يونيو ١٩٦٧: استخدمت إسرائيل وسائل الإعلام العالمية ببراعة في الترويج لقصة مفادها أن الدول العربية تعتزم تدميرها وإلقاءها في البحر، وأنها معرضة للهجوم عليها من الدول العربية، وأنها دولة مسالمة لا تريد حرباً وإنما تريد العيش في سلام. وكان هذا الترويج بهدف التستر وشغل الرأى العام العالمي عن قيامها بالاستعداد لشن حرب جوية على الدول العربية المجاورة، وهو ما تم في ٥ يونيو. ولقد ظلَّ الرأى العام العالميُّ

لفــترة طويلــة بعــد الحــرب مــتعاطفاً مع إسرائيل باعتبار أن الدول العربــية هــى الــتى بــدأت بالحرب وأن إسرائيل إنما كانت تدافع عن نفسها.

(هـ) فضــيحة الأبســكام Abascam (١٩٧٨): إذ روجــت المباحــث الفيدرالية الأمريكــية FBI من خلال وسائل الإعلام لقصة مفادها أن بعض المشايخ العرب قد قاموا برشوة بعض الموظفين والمسئولين فى الإدارة الأمريكية، واستغلوا صِلاتهم ببعض الشيوخ الأمريكيين فى الحصول على امتيازات وتراخــيص غــير مشــروعة، وأنهم (أى المشايخ العرب) فى طريقهم للســيطرة علــى الاقتصــاد الأمــريكى. وقد كان الهدف من هذه القصة (المختلقة بطريقة رديئة وساذجة) هو تشويه صورة العرب وحكامهم حتى يتوافق ذلك مع السياسات الأمريكية الخارجية نحو عدد من الدول العربية آنذاك[١٥].

(و) حــرب الخلــيج الثانــية: تمــثل حرب الخليج نموذجاً مهماً للطريقة التى يمكــن أن توضــح لــنا كيفــية اســتخدام صــانعى السياسات ومتخذى القــرارات لوســائل الإعــلام فــى تنفيذ السياسات المرسومة أو التمهيد لهــا، الأمــر الــذى دفــع بعــض الباحثين إلى القول بأن الحرب كانت فــى المقــام الأول "حــرباً تليفزيونــية"[١٦]. الضــحية الأولى فيها هو الصــدق[١٧]. وأنهــا كانــت أقــرب إلــى الفــيلم السينمائى[١٨]. وعلى عكــس الحــروب والصــراعات الســابقة لــم تبدأ المواجهة فى ميدان القــتال إلا بعــد أن نجحــت اســتراتيجيات الاتصال وتكتيكات الدعاية فــى التمهــيد لذلــك، ســواء علــى المســتوى المحلــى أو المستوى الدولــى[١٩]. وعلــى حــدّ تعبــير شيللر فقد قدمت حرب الخليج فرصة ذهبــية لتضــليل الــرأى العــام عــن طــريق المعلومات الخاطئة، فما

شاهده الناس فى الواقع كان تخيلاً إعلامياً Media Imagery ت
عزفه وبثه لكى ينقل الإحساس أو الشعور بالنصر Sense of
Triumph ولكى يتم إدراك نتائج لم تحدث فى الواقع ولا يسانده المنطق[٢٠].

٣- وسائل الإعلام كوسيلة لتبرير القرارات والسياسات:

يذهب شيللر (١٩٩٩) إلى أن مديرى أجهزة الإعلام (غالباً ما)... يقومون بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، تلك الصور والمعلومات هى التى تحدد معتقداتنا ومواقفنا، بل وتحدد سلوكنا فى النهاية. وعندما يعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعى فإنهم يتحولون إلى "سائسى عقول".. وعندما يؤدى التضليل الإعلامى للجماهير دوره بنجاح تنتفى الحاجة إلى اتخاذ تدابير اجتماعية بديلة[٢١]. معنى هذا أن متخذى القرارات وصانعى السياسات قد يستخدمون وسائل الإعلام فى إضفاء طابع خلاب على الموقف واستحداث معنى زائف له وذلك للحصول على التأييد الجماهيرى.

ونستطيع القول إن معظم القرارات والسياسات التى تحكم حياتنا ونصر عليها ونؤمن بها هى نتيجة وجود مبررات وتفسيرات نجح متخذو القرارات وصانعو السياسات فى إقناعنا بها، وهى من الكثرة بحيث يصبح حصرها أو محاولة ذكرها مهمة عسيرة ، بيد أن ذكر بعض النماذج التى كان عدم نجاح متخذى القرارات فى استخدام وسائل الإعلام فى تبريرها سبباً فى انهيار السياسات المترتبة عليها، قد تعطينا إشارة واضحة إلى أهمية وسائل الإعلام بالنسبة لمتخذى القرار فى هذا الخصوص، ومن الأمثلة التى توضح ذلك مايلى:

(أ) كان عدم نجاح إدارة الرئيس الأمريكى جونسون فى تبرير اجتياح القوات الأمريكية لفيتنام ومحاولتها السيطرة عليها وإخضاعها سبباً فى المظاهرات المتعددة التى حدثت فى الولايات المتحدة (كان الرئيس الحالى كلينتون أحد المتظاهرين فيها) وكانت سبباً فى خروج الولايات المتحدة منها مهزومة جريحة.

(ب) أدى فشل إدارة الرئيس الأمريكى ريجان فى تقديم مبررات واضحة وقوية لإرسال القوات البحرية الأمريكية إلى لبنان (١٩٨٢) وعدم تقديم تفسيرات واضحة للجمهور ولوسائل الإعلام إلى إزدياد الضغط الشعبى المعارض لهذا القرار وإلى إضطرار الرئيس ريجان إلى سحب هذه القوات من لبنان[٢٢].

(ج) أدى عدم إيمان كثير من الصحفيين ورجال الإعلام فى مصر لسياسات الرئيس السادات الاقتصادية ولسياسة الانفتاح الاقتصادى، وعدم وجود تبريرات قوية لدى الحكومة حينذاك لتبرير القرارات الاقتصادية إلى عدم قدرة الحكومة على تنفيذ هذه القرارات نتيجة "الانتفاضة الشعبية" التى عمت أنحاء الجمهورية، والتى أطلق عليها السادات اسم "انتفاضة الحرامية".

(د) كانت عدم قدرة الرئيس السادات على تسويق فكرة السلام مع إسرائيل وتبرير فكرة التطبيع معها سواء على المستوى الإعلامى (المحلى) أو على المستوى الشعبى سبباً رئيساً فى المظاهرات والحركات المناهضة له فى السنوات الأخيرة من حكمه، ومحاولات الاغتيال الفاشلة المتعددة التى تعرض لها والتى انتهت بحادث المنصة فى أكتوبر ١٩٨١م.

ثانياً: تصور الإعلاميين لطبيعة علاقتهم بمتخذى القرارات السياسية فيما يتعلق بالسياسة الخارجية:

توجد نماذج إعلامية متعددة وضعها بعض الباحثين لتوضيح تصور الإعلاميين لطبيعة علاقتهم بمتخذى القرارات السياسية، نختار منها النماذج الثلاثة التالية:

(أ) نموذج برنارد كوهين Bernard Cohen

يرى كوهين أن هناك سبعة تصورات للإعلاميين لطبيعة علاقتهم بمتخذى القرارات السياسية، وهذه التصورات هى:

- تصور المحرر المحايد The Neutral Reporter الذى يرى أن مهمة وسائل الإعلام فى الشئون الخارجية تقتصر فقط على الإخبار. The Press as Informer.
- تصور المحرر المحايد الذى يرى أن مهمة وسائل الإعلام لا تقتصر فقط على الإخبار ولكنها تمتد إلى تفسيرها ومحاولة توضيحها سواء للجمهور أو لمتخذى القرار.
- تصور المحرر المحايد الذى يرى أن وسائل الإعلام هى أداة فى يد الحكومة تسيطر عليها وتتحكم فيها.
- تصور المحرر المشارك The Reporter as Participant والذى يرى أن وسائل الإعلام هى السلطة الرابعة فى المجتمع، ومن ثمَّ يرى أن دور وسائل الإعلام إنما يكمن فى كونها ممثلة عن الشعب.
- تصور المحرر المشارك الذى يرى أن دور وسائل الإعلام هو نقد الحكومة ومراقبة قراراتها وسياساتها.
- تصور المحرر المشارك الذى يرى أن دور وسائل الإعلام هو الدفاع عن سياسة الحكومة وتبرير قراراتها.

- تصـــور المحـــرر المشـــارك الـــذى يـــرى أن وسائل الإعلام هى صانعة السياسات ومتخذة القرارات (٢٣).

(ب) نموذج بلومر وجيرفيتش Blumer & Gurevitch

يـــرى الباحـــثان أن هـــناك ثلاثـــة تصـــورات لطبـــيعة العلاقـــة بين الإعلاميين ومتخذى القرارات السياسية:

- **التصور الأول: الخصومة أو العداء:**

ووجهـــة الـــنظر الأساســـية فـــى هذا التصور ذات طبيعة أيديولوجية، إذ يقـــوم علـــى افـــتراض خصـــومة مســـتمرة وصراع دائم بين الإعلاميين والسياسيين.

- **التصور الثانى: التبادل الاجتماعى:**

ويقـــوم هـــذا التصـــور علـــى فكـــرة الـــتفاعل المستمر بين الطرفين، ويـــرجع ذلـــك إلـــى أن طبـــيعة العلاقـــة بينهما تفرض وتحتم هذا التفاعل ، فهـــناك مصـــالح واهـــتمامات مشـــتركة يصـــعب إنجازهـــا فـــى غياب هذا التفاعل.

(٣) التصور الثالث: الاعتماد والتكيف:

يقـــوم هـــذا التصـــور علـــى افتراض تداخل الأهداف بين الطرفين، بل إن بعـــض الأهـــداف تكـــاد تكـــون واحدة بينهما، مثل تحقيق درجة عالية من المصـــداقية لـــدى الجمهـــور، فكـــلٌ مـــن الإعلاميين والسياسيين يسعى لبناء الـــثقة بيـــنه وبيـــن الجمهـــور، وهذا لن يتحقق فى غياب توافق بين الطرفين، وأيـــاً كانـــت الأهـــداف فكـــل طرف فى حاجة إلى الآخر؛ السياسى فى حاجة إلـــى وســـائل الإعـــلام الـــتى تقدمـــه للجمهـــور، والإعلامـــى فى حاجة إلى السياسى ليحصل منه على الجديد(٢٤).

(ج) نموذج بسيونى حمادة

قـدم بسـيونى حمـادة (١٩٩٤) اثـنى عشـر تصوراً للإعلاميين ف علاقـتهم بالسـلطة الحاكمـة فـى الوطـن العـربى بصفة عامة، وذلك دو تحديد لموضوع معين أو لسياسة بعينها. وهذه التصورات هى:

- **الإعلامى المتملق أو المداهن**
- **الإعلامى رجل البريد المنضبط**
- **الإعلامى الأنانى، النفعى، الغانى**
- **الإعلامى المتفرنج المتهور**
- **الإعلامى المعارض صاحب البرنامج**
- **الإعلامى صاحب الرسالة**
- **الإعلامى الخادم الأمين المطيع**
- **الإعلامى البيروقراطى – الموظف**
- **الإعلامى المتمرد فاقد الهدف والبرنامج**
- **الإعلامى المثقف، الهادئ، الدبلوماسى**
- **الإعلامى الناقد الموضوعى**
- **الإعلامى الإسلامى المستنير[٢٥].**

ثالـثاً: التصـور العام لما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام فى مجال السياس الخارجية:

توجـد مجموعـة تصـورات عامـة صـاغها الباحـثون فـى مج الإعـلام السياسـى لمـا يمكـن أن تقوم به وسائل الإعلام فى مجال السيا الخارجـية، فقـد ذهـب حمـيد مولانا (١٩٩٤) إلى أن وسائل الإعلام يمك أن تقوم بالوظائف التالية:

- كمسـاند كبـير لسياسـات الحكومـة ومدافعة عن الوضع القائم. Status Que.
- كـأداة دعائـية Propagandist ومطلـب سـابق(شـرط prerequisite للوصول إلى أية غاية.
- كمراقب (Watch Dogs) لما تريده الحكومة[٢٦].

علـى أن هـذا التصـور يمكـن اعتـباره "تصوراً انفعالياً" أو "تصوراً

موقفياً " نتيجة ظروف نشأته المرتبطة بحرب الخليج ، وما ارتبطت به من استخدام الولايات المتحدة بمهارة وإتقان لوسائل الإعلام فى تحقيق أهدافها، وفى الوصول إلى غاياتها ومراميها. ولذا فإن هذا "التصور" غير قابل للتطبيق أو التعميم إلا فى "أوقات الأزمات".

كما ذهب ريتشارد ديفيز Davis (١٩٩٦) إلى أن دور وسائل الإعلام يمكن تصوره فى "الوساطة" فهى وسيطة Mediator فى كثير مما يتخذ من سياسات خارجية، ويذهب إلى أن متخذى القرارات السياسية (فى أمريكا) يتأثرون بصورة مبالغ فيها بالصور التى تعرضها وسائل الإعلام للأحداث الخارجية، فالصور التى نُقلت من البوسنة والصومال ورواندا دفعت الحكومة الأمريكية إلى الاهتمام بحلّ هذه المشاكل من أجل نزع الصور السيئة من عقول الرأى العام الأمريكى الذى تأثر بها وتفاعل معها(٢٧).

معنى هذا أن دور وسائل الإعلام هو التوصيل والنقل Conduit Role من وإلى صانعى القرار ، بيد أنها ليست واسطة أو ناقلة عادية بل لها تأثير نسبى على صانعى السياسات، إذ يشير لارسون Larson (١٩٨٦) إلى أن تغطية التليفزيون للأحداث الخارجية تؤثر على السياسة الخارجية عن طريق حملها للعواطف والمشاعر والأحاسيس، فعلى سبيل المثال، يقال إن الرئيس الأمريكى ريجان كان متأثراً بتغطية وسائل الإعلام لأزمة الرهائن الأمريكيين فى لبنان عندما تورط فى فضيحة "إيران – كونترا"، وأيضاً ضغط ريجان على إسرائيل لوقف ضرباتها على لبنان (١٩٨٢) بعد أن تأثر برؤية الجرحى والقتلى من المدنيين(٢٨).

على أنه لا يمكن تعميم هذا "التصور" أيضاً، فوسائل الإعلام لا

تقوم بالنقل فقط فى كلّ الحالات، بل يمكن أن تصنع أحداثاً وأن تصبح مشاركاً فعالاً فى عملية صنع السياسات الخارجية وتوجيهها.

وبصفة عامة يمكن لنا تصور وظيفة وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية بالاتفاق مع كوهين Cohen[٢٩] ولارسون Larson[٣٠] فى قيامها بثلاثة أدوار رئيسة:

(١) دور المراقب أو الملاحظ للسياسة الخارجية The press as Observer

منذ بداية السبعينيات ووسائل الإعلام تلعب دور المراقب أو الملاحظ لأداء الحكومة فى مجال السياسة الخارجية، وتمارس نوعاً من الرقابة على الحكومة فى هذا المجال، ساعدها على ذلك التطور التكنولوجى الهائل فى مجال الاتصالات، والمكانة التى احتلتها الوسائل الإعلامية الإخبارية فى حياة كثير من الناس.

ولعلّ إحدى النقاط المهمة فى هذا المجال هو ما أحدثه قيام وسائل الإعلام بهذا الدور من تحول وتحور فى الأنظمة الدبلوماسية الحديثة Modern Diplomatic System إذ أحدثت انقلاباً على أسلوب التحفظ Reticence والخصوصية Privacy التى اتسمت بها الدبلوماسية طوال عصورها الماضية. فالمفاوضون فى عصر التليفزيون ووسائل الإعلام يجب أن يتعاملوا فى اللحظة نفسها مع المفاوضين المناظرين لهم من ناحية ومع الرأى العام ووسائل الإعلام من ناحية أخرى. لقد جعل التليفزيون ووسائل الإعلام من المفاوضات السرية والخاصة أو مسألة اتخاذ قرارات سرية مسألة صعبة للغاية[٣١].

وتوجد نماذج عديدة لأحداث لعبت فيها وسائل الإعلام دور المراقب أو الملاحظ نذكر منها على سبيل المثال ما اُصطلح على تسميتها بـ "فضيحة إيران – كونترا" والتى تسبب فيها خبر صغير نشر

بـــإحدى الصــــحف اللبنانـــية عـــن قيام الولايات المتحدة بتزويد إيران بأسلحة ومعـــدات حربـــية مقـــابل إطـــلاق سراح الرهائن الأمريكيين فى يد حزب الله فـــى لبـــنان. إذ تناقلـــت وســـائل الإعـــلام الأمريكية هذا الخبر وتوسعت فى تفاصـــيله ممـــا كانـــت له آثاره السلبية على الرئيس ريجان وعلى شعبيته فى الولايات المتحدة(٣٢).

كذلـــك مـــا أحدثـــه نشر تفاصيل صفقة طائرات الأواكس للسعودية فى أواخـــر الســـبعينيات مـــن اتجاهـــات ســـلبية ضد الإدارة الأمريكية والضغط عليها لإلغاء تلك الصفقة أو تزويد إسرائيل بطائرات أحدث منها(٣٣).

ومـــن الأحـــداث الداخلـــية الـــتى قامـــت فـــيها وســـائل الإعلام بدور المراقـــب علـــى ســـبيل المـــثال فضـــيحتا ووتـــر جيـــت ومونيكا جيت فى الولايات المتحدة، وقضية لوسى أرتين فى مصر.

بالإضـــافة إلـــى هـــذه الـــنماذج، توجـــد مجموعـــة مـــن المواقف التى حاولـــت فـــيها الحكومـــات أن تعطـــل قيام وسائل الإعلام بهذا الدور، وحققت مـــن وراء هـــذا التعطـــيل نجاحـــاً فـــى تحقـــيق أهدافهـــا، نذكر منها حرب الفوكلانـــد بيـــن بريطانـــيا والأرجنتيـــن والغـــزو الأمـــريكى لجرينادا وبنما والغـــزو الســـوفيتى لأفغانســـتان، إذ منعـــت حكومـــات الدول الغازية وسائل الإعـــلام مـــن القـــيام بوظيفـــتها لاسيما فى مراحل الحرب الأولى، مما حقق لهـــذه الـــدول بعـــض المكاســـب الـــتى ما كان لها أن تتحقق لو قامت وسائل الإعلام بوظيفتها كمراقب(٣٤).

(٢) دور المشارك أو المعاون The Press As Participant

والطـــريقة الوحـــيدة الـــتى تشـــترك فـــيها وسائل الإعلام فى السياسة الخارجـــية إنمـــا تكـــون مـــن خـــلال اســـتخدام مـــتخذى القرارات وصانعى السياســـات للمعلومـــات الـــتى تـــرد بهذه الوسائل، إذ – وفق بعض الدراسات

- أصبح صانعو السياسات أكثر اعتماداً على وسائل الإعلام من ذى قبل (أنظر بعض الأمثلة فى مشاهد أولية) وذلك لسببين على الأقل:

-إن وسائل الإعلام فى كثير من الأحداث تمد متخذى القرارات بالمعلومات بسرعة تفوق غيرها من الوسائل التقليدية التى يعتمدون عليها، وتشكل الانطباعات الأولى عن تلك الأحداث، فعلى سبيل المثال، فى أثناء الـ ٤٨ ساعة الأولى من اختطاف الطائرة الأمريكية TWA رقم ٨٤٧ (يونيو ١٩٨٥) كانت أخبار شبكة CBS هى مصدر المعلومات الأول لكثير من المسئولين فى الولايات المتحدة[٣٥]. الموقف نفسه تكرر فى الساعات الأولى من حرب الخليج[٣٦]. وفى حادث تحطم الطائرة المصرية البوينج وعلى متنها ٢١٧ راكباً قرب الشواطئ الشرقية للولايات المتحدة فى أكتوبر ١٩٩٩.

-إن وسائل الإعلام قد تكون أحياناً همزة الوصل بين صانعى السياسات فى الدول المختلفة وتصبح قناة اتصال مباشر Direct Channel Of Communication بينهم، مثال على ذلك، يقال إن ولتر كرونكيت Walter Cronkite الإعلامى الأمريكى البارز كان قناة للاتصال بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجن قبل زيارة السادات للقدس، وأن السادات قد استمع لفكرة زيارة القدس من كرونكيت . بالإضافة إلى هذا فقد يتخذ القادة بعض الإعلاميين أصدقاء أو مستشارين لهم (فى مصر نذكر سعد زغلول والعقاد – جمال عبد الناصر وهيكل – السادات وأنيس منصور وموسى صبرى وأحمد بهاء الدين...) يمدونهم بتوقعات حول اتجاهات الرأى العام تجاه السياسات المختلفة، أو يساعدونهم على تنفيذ سياسات معينة.

(٣) دور المنشط The press as Catalyst

الدور الثالث للإعلام في مجال السياسة الخارجية هو عملية التنشيط أو التعجيل، وتشير إلى الطريقة التي يكون فيها الاستخدام العام للتليفزيون ولوسائل الإعلام للحصول على معلومات عن الشئون الخارجية مؤثرا على كل من التغطية الإعلامية من جهة والسياسة الخارجية من جهة أخرى(٣٧).

على سبيل المثال، لاحظ آدامز وهيل Adams & Heyl التغير الجذرى فى الرأى العام الأمريكى تجاه مصر ورئيسها السادات فى نهاية السبعينيات (كان الرئيس كارتر يقول للرئيس السادات، إشارة إلى فرط إعجاب الأمريكيين بالسادات، لو رشحت نفسك فى الانتخابات الأمريكية فمن المتوقع أن تفوز فوزاً كاسحاً !!) فاتجاه الرأى العام وكثافته تجاه مصر قد تغيرا، وأدت إيجابية الرأى العام الأمريكى تجاه السادات إلى زيادة التركيز عليه من قبل وسائل الإعلام وإبرازه لدى متخذى القرار وصانعى السياسات وهو ما عجّل أو نشّط الدور الأمريكى تجاه عملية السلام فى الشرق الأوسط حينذاك(٣٨).

ملاحظات عامة على تصور العلاقة بين وسائل الإعلام والسلطة السياسية فى مجال السياسة الخارجية.

(١) إننا لا يمكننا "التهويل" من شأن قوة وسائل الإعلام ونعتبرها متخذة القرارات أو صانعة السياسات، ونجعل صانعى السياسات مجرد منفذين لأوامر وسائل الإعلام أو مستقبلين سلبيين لتصوراتها ، كما لا يمكننا فى الوقت ذاته "التقليل" من شأنها وجعلها مجرد ناقل سلبى للأخبار و "دمية" فى يد متخذى القرارات، وإنما يمكن القول إن العلاقة بينهما (خاصة فى المجتمعات الليبرالية) هى علاقة "خصمين حميمين" أو "صديقين لدودين" ، إن صحَّ هذان التركيبان اللغويان، فكلٌ منهما (وسائل الإعلام – متخذو

القرارات) يحاول فرض السيطرة والهيمنة وتحجيم دور الآخر، فى الوقت ذاته يحرص كلٌّ منهما على اتصال علاقته بالآخر وعلى تعميقها. فهما إذن فى شد وجذب فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، والعلاقة بينهما فى مد وجزر. ووسائل الإعلام – على هذا – قد تقوم أحيانا بمجرد النقل السلبى للأحداث، وقد تكون هى صانعة الحدث أو المعجلة به، بيد أن دورها غير ثابت دائماً، وإنما يتغير بتغير الظروف والأحداث.

(٢) إن هذه النماذج المقدمة غير صالحة للتطبيق فى كلّ الدول، فاختلاف أنظمة الحكم وتوجهاتها نحو وسائل الإعلام واتساع قاعدة المشاركة فى اتخاذ القرارات أو انحسارها ومستوى الديمقراطية فى الدول، بالإضافة إلى اختلاف القوانين المحددة لدور وسائل الإعلام والحاكمة لطريقة عملها، كل هذه عوامل تؤثر على دور وسائل الإعلام فى مجال السياسة الخارجية.

(٣) إن هذه النماذج لا تنطبق على الدول العربية بصفة خاصة ودول العالم الثالث ـ باستثناءات قليلة ـ بصفة عامة. حيث تكون وسائل الإعلام خاضعة للسلطة، ومنفذة لتوجهاتها وملبية لأوامرها، وساعية دائما لخدمة أهدافها. مثل هذه العلاقة أحادية الجانب لا يمكن فيها لوسائل الإعلام أن تقوم بأى دور أو تسهم فى أى حدث، وهو ما ينعكس سلباً على اتجاهات الجمهور نحوها وتصوره لأدوارها.

(٤) إن هذه النماذج والأدوار السابقة ذات طبيعة "مؤقتة" و "لحظية" وغير صالحة لتفسير علاقة وسائل الإعلام بالسلطة السياسية فى فترات تاريخية سابقة أو فترات مستقبلية لاحقة ، فالتطور المستمر فى تكنولوجيا الاتصال، وما يتبعه من تطور فى التشريعات الحاكمة له والمحددة لأدواره، تجعل من هذه الأدوار أدواراً "متحركة" و "متغيرة"، وإن كانت المؤشرات تتجه نحو قوة وسائل الإعلام ككلٍّ مركَّب وضعفها كوسائل منفردة.

• هوامش الفصل السادس

(١) مارفــن كالب (١٩٩٥) : "تصدير" في : سيمون سيرفاتى (محرر) وسائل الإعلام والسياســة الخارجيــة . ترجمة محمد مصطفى غنيم ، القاهرة ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، ص ١٨

(2) Davis ,R. (1996): The press and American politics: The New Mediator. New Jersey, prestiee Hall, P. 317.

(3) Ibid. p. 324.

(٤) جــون ب. والاتــش (١٩٩٥): "مســربو الأخبار ، الإرهابيون ، صانعو السياسة والصحافة" في : سيمون سيرفاتى (محرر) مرجع سابق ، ص ١٣٣-١٣٤

(5) Davis ,R. (1996): Op. Cit., P. xviii.

(6) Patricia, Karl (1983):" In The Middle In The Middle East, The Media and U.S. Foreign policy " In : Edmund Ghareeb (Ed) Split Vision. Washington. D.C. , The American- Arab Affairs Council, P. 285.

(٧) تمت الإشارة في الفصل السابق إلى أن هذا الفصل يدرس العلاقة في النظم الليبرالية أما النظم غير الليبرالية (مثل غالبية الدول العربية) فإن العلاقة بينهما أحادية الاتجاه في غالبية الأحوال باستثناءات قليلة .

(8) Patricia, Karl (1983): Op. Cit., p. 289.

(9) Patricia, Karl (1983): Op. Cit. p. 285.

(10) Ibid p. 288.

(11) Ibid.

(12) Davis, R. (1996): Op. Cit., p. 314.

(١٣) جــريجورى نوكــس (١٩٩٥): "ليبيا : قصة حكومة" في : سيمون سيرفاتى (محرر) مرجع سابق ، ص ص ٦٧-٨١

(14) Patricia, Karl (1983): Op. Cit., p. 292.

(15) Suleiman ,Michael (1983) :" The Effect Of American Perceptions of Arabs On Middle East Issues" in : Edmund Ghareeb (ed) OpCit., pp340-341

(16) Sabin , H. (1992): "The War Close To Home : The Turkish Media" In : Hamid Mowlana et al (eds.) The Triumph Of The Image : The Media's War In The Persian Gulf , A Global Perspective . San Francisco , Oxford , west view Press, p.96

(17) Ottosen ,R. (1992): " Truth: The First Victim of War" in : Hamid Mowlana et al (eds.) Op. Cit. ,P137

(18) Gerbner ,G. (1992): " Persian Gulf War : The Movie" in Hamid Mowlana et al (eds.) Op .Cit. ,P243

(19) Chomsky , N. (1992) :"The Media and The war : What War?" in : Hamid Mowlana et al (eds.) Op .Cit. ,P35

(20) Schiller , H. (1992): "Manipulating Hearts and Minds" in : Hamid Mowlana et al (eds.) Op. Cit. ,Pp.22-29

(٢١) هربرت شيللر (١٩٩٩): المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد ٢٤٣ ، الإصدار الثانى ، ص ٧

(٢٢) ديفيد ر. جيرجن (١٩٩٥): "الدبلوماسية فى عصر التليفزيون : أخطار ديمقراطية الاتصالات "فى : سيمون سيرفاتى (محرر) مرجع سابق ، ص ٩٣

(23) Cohen, B. (1967): The Press and Foreign Policy. Princston, New Jersey , Princeton Press, pp. 17-53.

(٢٤) بسيونى حمادة (١٩٩٤): العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى. الكويت، عالم الفكر، المجلد الثالث والعشرون، العددان الأول والثانى. ص ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢٥) المرجع السابق نفسه ، ص ص ٢١٠-٢١٤.

(26) Hamid Mowlana (1999):" Roots of war: The long Road of Intervention" in : Hamid Mowlana et al. (Eds) Op Cit., P. 30.

(27) Davis, R.(1996): Op. Cit., p. 318.

(28) Larson, J. (1986): Op. Cit., pp. 108-130.

(29) Cohen, B. (1967): Op. Cit.

(30) Larson, J. (1986): Op. Cit.

(31) Larson, J. (1986) Op.Cit., p. 111.

(٣٢) روبرت أوكلى (١٩٩٥): "الإرهاب ، تغطية وسائل الإعلام واستجابة الحكومة " فى : سيمون سيرفاتى (محرر) مرجع سابق ،

ص ص١٤١-١٥٦

(33) Patricia, Karl (1983): Op. Cit., p. 290.

(٣٤) ديفيد جيرجن (١٩٩٥) :مرجع سابق ، ص ص ٩٤-١٠٣

(35) Larson, J. (1986): Op. Cit. P. 113.

(36) Davis, R. (1996): Op. Cit. P. 324.

(37) Larson, J. (1986): Op. Cit.

(38) Ibid.

الفصل السابع

العلاقـــــة بين الصـــورة والقـــرار السياسي

تمهيد

حظيــت الصـــورة القومـــية باهــتمام الباحثيــن فـــى الدراسات النفسية والاجتماعــية لمعــرفة أثــرها علـــى الســلوك الإنسانى، وكذلك لفهم وتفسير العلاقـــات بيـــن الـــدول المخـــتلفة، فلقـــد اتضـــح أن عـــدداً كبيراً من صناع القـــرار لا يســتجيبون للحقـــائق الموضـــوعية للمواقـــف بقـــدر ما يخضعون لتأثـــير مـــا لديهـــم مـــن صـــور عن أنفسهم وعن العالم الذى يتعاملون معه. وهـــذا يفســـر العلاقـــة الوثـــيقة بين الصورة والقرار، فالصورة هى الإطار النفســـى العـــام لاتخـــاذ القـــرارات، أو هى البيئة النفسية التى تتم فيها عملية صنع القرار[١].

وإذا كانـــت الصـــورة الذهنـــية للفـــرد أو المنظمة تلعب دوراً مهماً فى معـــرفة الســـلوك المـــتوقع تجـــاه كـــلٍ مـــنهما من جانب أفراد المجتمع، فإن صـــورة الدولـــة أو مجموعـــة الـــدول الـــتى تجمعها مجموعة من الخصائص تؤثـــر هـــى الأخـــرى علـــى سلوك المجتمع نحو هذه الدولة أو تلك الدول[٢]. بحيـــث يمكـــن القـــول "إن الصراع الدولى" لا يكون بين الدول بقدر ما يكون بين الصور المنحرفة التى قد تكونها الدول عن بعضها البعض"[٣].

وقـــد ازداد وضـــوح أهمـــية الـــدور الـــذى يمكن للصورة أن تلعبه فى مجـــالات السياســـة والعلاقـــات الدولـــية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ ظهـــرت لهـــذا الـــدور أبعـــاد جديـــدة أكبر وأوسع بكثير عما قبل، وتأكد أن التأثـــير القـــوى للاتصـــال يتضـــمن مـــن العناصـــر النفســـية ما يفوق كثيراً العناصـــر الطبيعـــية والماديـــة، وأصـــبح يقـــاس مـــدى نجـــاح الاتصال فى إحـــداث تأثـــيره القـــوى بمـــدى نجاحـــه فـــى تشـــكيل الصور المرجوة لدى الأطراف الأخرى[٤].

ولقد أصبح من المسلم به لدى الدول الكبرى أن نجاحها فى عرض صورتها المرجوة وإقناع الآخرين بصحة هذه الصورة، سواء أكانت حقيقية أو زائفة ، يشكل قدرة أكبر على تحقيق أهدافها، وجهداً أقل فى تنفيذ سياساتها، وأن الفشل فى ذلك يعنى خسائر فادحة لا تستطيع الدولة تعويضها أو التغلب عليها، الأمر الذى جعل الكثيرين يؤكدون أن للصورة المرجوة من الأهمية ما يتساوى مع القوة العسكرية أو الاقتصادية للدولة وقد يفوقهما أهمية(٥). على أن دراسة القرار السياسى فى علاقته بالصور الذهنية وتأثره بها يدفعنا إلى دراسة بعض الجوانب الإضافية التى توضح هذه العلاقة وتحدد أبعادها، وذلك فى النقاط التالية.

***

توجد عدة حقائق يكاد يتفق عليها الباحثون فى مجال صنع واتخاذ القرارات السياسية منها:

- أن هناك اختلافاً كبيراً وتبايناً شديداً بين الشيء كما هو فى الواقع، وتصورنا لهذا الشيء.
- أن كثيراً من القرارات السياسية لا تُتخذ وفق معطيات موضوعية تماما للحدث، وإنما وفق تصورنا لهذا الحدث.
- أن كثيراً من السياسات الراهنة تقوم على مجموعة من الأساطير المؤسسة لها والداعمة لاتجاهاتها.
- إن كثيراً من الصراعات الدولية هى نتاج صور مشوهة للواقع ومحرفة له، وليست نتاجاً مباشرا له .

ويمكن إيضاح هذه الحقائق على النحو التالى:

(١) الشيء وصورته فى عالم السياسة Image and Reality in World Politics

تعتبر الفجوة القائمة بين مظهر الشيء (صورته) Appearance وجوهره أو واقعه الحقيقى Reality ، والكيفية التى تجعل الصور التى لدينا عن العالم تبدو واقعية وصحيحة، من القضايا الفكرية التى استرعت انتباه الفلاسفة والمفكرين منذ بدايات الفكر الإنسانى "ورمزية الكهف" عند أفلاطون Plato وحتى أعمال بيرانديلو pirandello وغيره من المفكرين والمنظرين للعلاقات الدولية فى العصر الحديث[٦].

ولذلك نجد كثيراً من الدراسات فى مجال العلاقات الدولية تحمل كلمات مثل: الإدراك perception[٧]أو سوء الإدراك Misperception[٨]أو الصور Images[٩]، كما أن كثيراً من هذه الدراسات قد استعارت من المداخل النفسية والاجتماعية بعض نظرياتها وحاولت تطبيقها على مجال صانع القرار السياسى[١٠].

وخلاصة ما تذهب إليه هذه الدراسات هو أننا لا نتعامل مع الواقع المباشر، وإنما مع صورة له، وهذه الصورة قد تكون مشوهة للواقع وغير معبرة عنه، وقد تكون قريبة منه، غير أنه لا توجد صورة متطابقة تماماً مع الشيء الذى تمثله، وهكذا تظل الفجوة قائمة بين الجوهر والمظهر، بين الواقع وصورته[١١]. وما يزيد من اتساع هذه الفجوة – على ما يذهب إليه الفيلسوف الإنجليزى ديفيد هيوم Hume – هو أن "هذه التصورات والمظاهر يتم مقارنتها بتصورات ومظاهر أخرى ولا تتم مقارنتها مع الجوهر الحقيقى أو الواقع"[١٢] وهو ما يجعلنا ندور فى حلقة مفرغة.

(٢) القرارات السياسية ومصادر تكوينها (التصورات الشخصية):

إذا كانت عملية صنع القرار السياسى عملية معقدة تتداخل فيها الكثير من العوامل والمدخلات التى تحدد إطاره وتبلور اتجاهه، فإن المدخل النفسى الاجتماعى فى دراسة العلاقات الدولية[١٣] يركز على متخذ القرار كإنسان وعلى القرار كسلوك سياسى. حيث يشير هولستى Holsti إلى أن القرار السياسى هو فى حقيقته سلوك سياسى، والسلوك السياسى كأى نمط من أنماط السلوك الاجتماعى يتحدد ليس فقط وفقا للحقيقة أو الموقف كما هو فى الواقع، لكنه يتحدد أيضاً وفقا لما يعتقد صاحب السلوك أنه يمثل الحقيقة، أى أن تأثير التصور الذاتى للقيادة عن الموقف أكبر من تأثير الموقف ذاته فى تشكيل القرار السياسى. إذاً فالتصور وليس الواقع هو الذى يحدد فى الغالب القرار السياسى[١٤].

ويشير بولدنج Boulding إلى أن الحالة المرضية pathology للنظام الدولى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطريقة التى يتم بها إنتاج وتفهم المعلومات والطريقة التى تؤثر بها هذه المدخلات المعلوماتية على متخذى القرار فى العالم، فالصورة لدى النظام ولدى متخذى القرارات هى دائما صورة احتمالات Image of probabilities أكثر من كونها صورة لحقائق[١٥].

كما يشير بولدنج إلى أن صور النظام الدولى بصفة عامة فى عقول صانعى القرارات ومتخذيها هى صور مشتقة من عمليات شتى مثل السرد التاريخى، تذكر الأحداث السابقة، والمحادثات مع الغير، بالإضافة إلى كمٍّ هائل من المعلومات غير المهضومة جيداً – ill digested وغير المعتنى بها، وعندما نضيف إلى هذا الحقيقة القائلة إن النظام الدولى يخلق كرهاً شديداً أو حباً صارخاً، وولاءً أو عدم ولاء

وهكذا فإنه قد تكون "مفاجأة" و "شيئاً عجيباً" لو أن أى صورة يتم تكوينها تكون قريبة من الواقع[١٦].

على هذا، فالتصور يمثل البنيان الإدراكي والتقييمى الفعال للوحدة السياسية، سواء فى نظرتها الداخلية لذاتها أو فى نظرتها الخارجية للعالم الذى تعيش فيه، وهو (التصور) إدراك من ناحية، وتقييم من ناحية أخرى، هو إدراك من جانب القيادة للمواقف التى تحيط بها تبنى عليه تقييماً من جانبها لتلك المواقف، وبالتالى، فإن صياغة السياسة التى تضع حداً للموقف تنطلق من ذلك الإدراك والتقييم أو التصور[١٧].

نموذج هولستى للعلاقة بين التصور والقرار السياسى:

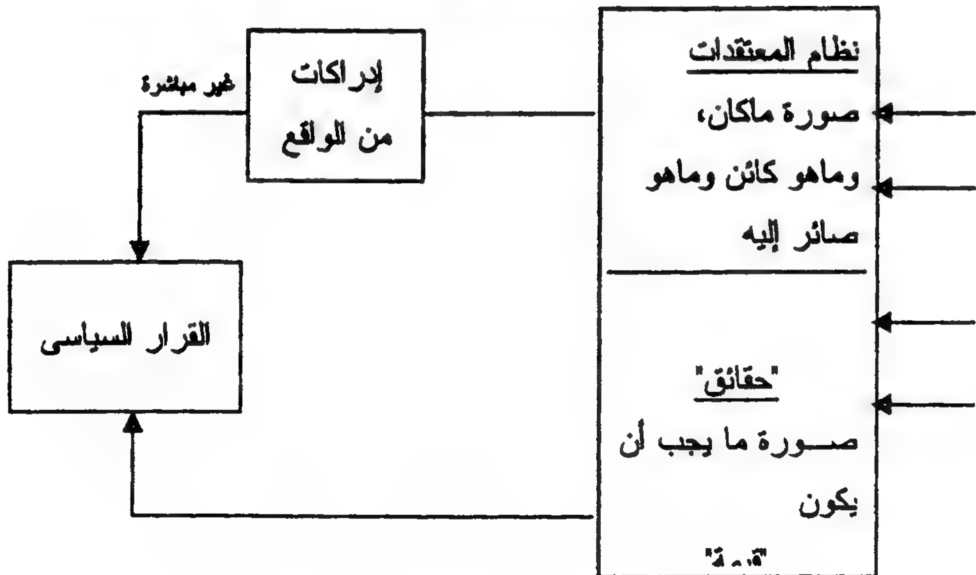
يشير هولستى إلى أن نظام المعتقدات[١٨] يتكون من مجموعة من الصور عن الماضى والحاضر والمستقبل، متضمنة كل المعلومات المتراكمة والمنظمة التى يكونها الفرد عن نفسه وعن العالم، ويمكن النظر إليها باعتبارها عدسات أو مرشحات يتم من خلالها استقبال المعلومات المتعلقة بالبيئة المادية والاجتماعية للفرد، وهى توجه الفرد نحو بيئته، تعرفها له، وتحدد له خصائصها الثابتة والبارزة[١٩].

كما يشير هولستى إلى أن لنظام المعتقدات علاقة مزدوجة مع عملية صنع القرار من خلال تأثيره على "التصور": علاقة مباشرة تتمثل فى الجانب الغائى من نظام المعتقدات، ذلك الجانب الذى يحدد ما يجب أن يكون، وبالتالى يلعب دوراً قيادياً فى تحديد الأهداف، وعلاقة غير مباشرة فى الحدود التى يضعها نظام المعتقدات على إدراك صانع القرار للمعلومات الجديدة، فصانع القرار عادةً ما يكون أكثر قبولاً للمعلومات التى يمكن أن تدعم نظام معتقداته وتتفق معه[٢٠].

علـى هـذا، فعلاقـة نظام المعتقدات بالقرار السياسى – وفقاً لهولستى – ذات فرعيـن: أحدهمـا يعـبر عـن تأثير نظام المعتقدات فى عملية التقييم (تحديـد صـور مـا يجـب أن يكـون، أى تحديد الأهداف)، أما الثانى فيعبر عـن تأثـير نظـام المعـتقدات فـى عملـية الإدراك (إدراك ما كان، وماهو كائـن، ومـا سـوف يكـون، أى إدراك الواقـع فـى مراحله المتعاقبة) ولما كانـت عمليـتا الإدراك والتقيـيم تشـكلان التصـور، فإن العلاقة بين نظام القـيم والقـرار السياسـى تمـر عـبر تصـور صانع القرار، وهو ما يمكن تصوره فى الشكل التالى:

شكل رقم (٥)

نموذج هولستى للعلاقة بين التصور واتخاذ القرار السياسى



(٣) القرارات السياسية والأساطير المؤسسة لها:

يشير رجاء جارودى (١٩٩٦) فى معرض حديثه عن الأساطير السياسية المؤسسة لدولة إسرائيل إلى أن كثيراً من القرارات السياسية قد تكون نابعة من أساطير وتصورات لا وجود لها فى الواقع[٢١] فكل أمة أو شعب يدافع عن نفسه ويبرر اهتماماته ومصالحه عن طريق الأساطير.. وتتبع هذه الأساطير نتيجة عجز المنطق عن تفسير أو تبرير كثير من القضايا. وبهذا يكون المنطق أو العقل مجرد سيد جزئى أو خادم جزئى فى مجال السياسة [22]

وللأساطير – على حدّ تعبير شيللر ١٩٩٩ – أهداف عدة يمكن استغلالها والاستفادة منها، فهى تبرر الأوضاع والممارسات الحالية، وتقدم تفسيرات (منطقية) لها، كما إنها أحياناً تضفى عليها طابعاً خلاباً يضمن النظام لنفسه من خلالها الاستقرار والثبات. إذ إن كل قومية (أو نظام) فى حاجة إلى تقديس ادعاءاتها، فبعد تفكك المسيحية ادعت كل دولة (أمة) أنها قد تلقت الإرث المقدس، وأنها حازت على الولاية من الرب: ففرنسا هى "البنت البكر للكنيسة" والتى بها تتم أفعال الرب وألمانيا هى "فوق الجميع" لأن الله معها، وأعلنت إيفا بيرون "أن رسالة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العالم[٢٣]".

وتشاطر القومية اليهودية هذه النشوة مع كل القوميات الأخرى من خلال الأساطير المؤسسة لها، وهى الأساطير الدينية (أسطورة الوعد، أسطورة الشعب المختار، أسطورة يشوع) والأساطير السياسية (أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية – أسطورة عدالة محاكمة نورمبرج – أسطورة الملايين الستة – أسطورة أرض بلا شعب – أسطورة المعجزة الإسرائيلية)[٢٤].

(٤) الصور المشوهة والصراعات الدولية الناتجة عنها:

يشير بعض الباحثين إلى أن تحليل ظاهرة الصور المشوهة أو غير الممثلة للواقع يمكن أن تمدنا بنقطة انطلاق مهمة فى تحليل معظم الأزمات الدولية الراهنة، فالصراع الدولى لا يكون عادة بين الدول بقدر ما يكون بين الصور المشوهة التى قد تكونها هذه الدول عن بعضها البعض[٢٥].

ويذهب هؤلاء الباحثون إلى أنه لما كانت عملية بناء العلاقات بين الدول تعتمد أساساً على التصورات التى تكونها شعوب هذه الدول حول تراث وفكر بعضها البعض فإن تحسين صورة الدول يمكن أن يحسن السياسات التى تتخذها الدول الأخرى تجاهها[٢٦].

كما يذهب هؤلاء الباحثون إلى أن تاريخ العلاقات الدولية حافل بنماذج عديدة تشير إلى تأثير التصور (لاسيما التصورات المشوهة منها) على القرار السياسى، وتقدم الحرب الأهلية فى الولايات المتحدة نموذجاً كلاسيكياً فى هذا الشأن... إذ يمكن القول إن هذه الحرب هى نتيجة لترسب كثير من الصور التى لا تتفق مع الواقع أو الحقيقة. ومع وجود كثير من الأسباب الموضوعية لهذه الحرب، فإن الصور الكاريكاتورية التى كان يحملها كلُ جزء عن الآخر كانت سبباً جوهرياً فى هذه الحرب[٢٧].

كذلك فإن الصراع بين الشرق والغرب، أو بين الإسلام والمسيحية فيما عرف بالحروب الصليبية، كانت الصور المشوهة وسوء الإدراك لكل جانب هى الأسباب الحقيقية لهذا الصراع، مع عدم إغفال الجوانب الموضوعية الأخرى لهذا الصراع[٢٨].

كذلــك فـــإن الصـــراع بيـــن فرنســـا والولايات المتحدة فى الستينيات، وفــى حكومـــة ديجـــول، كـــان صـــراعاً بين تصور كلّ دولة منهما لطبيعة دورهــــا، فهـــو صـــراع بيـــن الصـــور والمدركـــات قـــبل أن يكون صراعاً مادياً[٢٩].

ورغـــم الشـــكوك المحـــيطة بمحـــارق الـــيهود فى ألمانيا وعدد اليهود الذيـــن مـــاتوا بـــالفعل، فـــإن كثـــيراً مـــن المؤرخين يشيرون إلى أن صورة "اليهود" السيئة لدى هتلر كانت السبب الرئيسى فيما حدث لهم[٣٠].

شـــبيه بهـــذه الأحـــداث، مـــا يحـــدث حالياً من صراع فى الشيشان بين روســـيا ومـــا أســـمتهم بالأصـــوليين الإسلاميين، وكذلك الصراع فى البوسنة والهرسك وما حدث قبل ذلك فى فيتنام وبنما وغيرها.

ملاحظات عامة على الصور ودورها فى اتخاذ القرارات السياسية:

١. إنـــه مـــع إيمانـــنا – بالاتفـــاق مـــع الدراســـات السابقة – بأهمية التصـــورات فـــى صـــناعة القـــرارات السياسية وفى صياغتها، فإنه لابدَّ مـــن الإشـــارة إلـــى أنهـــا "مكـــون جـــزئى" مـــن هذه القرارات، وتمثل الجانـــب العـــاطفى مـــنها. صـــحيح أن هـــذا الجانب قد يتغلب أحياناً لدى الـــبعض علـــى كافـــة الجوانـــب الموضـــوعية الأخرى، غير أنه لا يمثل القـــاعدة أو الأســـاس لكثـــير مـــن القـــرارات، خاصـــة فـــى ضوء تعقد العلاقـــات الدولـــية الراهـــنة وتشـــابكها، واعتماد صانعى القرارات على مستشارين لهم فى كافة المجالات.

٢. إن هـــذه "التصـــورات" أو "الـــرؤى" الـــتى يعـــتمد علـــيها صناع القـــرارات ومـــتخذوها غـــير ثابـــتة ولا جـــامدة، وإنمـــا تتغـــير بتغـــير الظـــروف والأحـــوال والجوانـــب الموضـــوعية للحـــدث، فخلال التاريخ

الحديث، حاربت الولايات المتحدة ضد بريطانيا، وفرنسا، والمكسيك، وأسبانيا، وألمانيا، وإيطاليا، واليابان، وجميعهم حالياً حلفاء للولايات المتحدة إلى حدٍّ ما. كما حاربت الولايات المتحدة وتحالفت مع الاتحاد السوفيتى ثم أصبحتا عدوين قرابة أربعة عقود. كذلك فإن الخصومة الأبدية التى كانت قائمة بين فرنسا وألمانيا لا توجد حالياً.

خلاصة عامة:

حاولنا فى الفصول الثلاثة السابقة أن نبين طبيعة العلاقة بين الصور الإعلامية أى تلك الرؤى والتصورات التى تعرضها وسائل الإعلام والقرارات السياسية، وأن نبين كيف أن كثيراً من القرارات السياسية يتم اتخاذها فى ضوء هذه الصور. ففى الفصل الخامس: خلصنا إلى أن وسائل الإعلام فى ظل خصائصها الراهنة وخصائص المجتمعات الحالية تلعب دوراً كبيراً فى تكوين الصور لدى الأفراد وفى نقلها إليهم، وهى تتّبع فى ذلك أساليب مختلفة وطرقاً متعددة.

وفى الفصل السادس: خلصنا إلى أهمية الدور الذى تلعبه وسائل الإعلام لدى متخذى القرارات، من حيث كونها وسيلة أساسية للحصول على المعلومات، وأداة لتنفيذ بعض السياسات، ووسيلة للتفاوض مع الدول الأخرى فى بعض الحالات. وهى فى ذلك كله تلعب دوراً محورياً بحيث لا يمكن الفصل بين أداء النظام السياسى وأداء النظام الإعلامى أو معالجة كل نظام على حدة بعيداً عن الآخر.

وفى الفصل السابع: خلصنا إلى أن كثيراً من القرارات السياسية يتم اتخاذها بناء على تصورات ورؤى وأساطير وليس بالضرورة فقط

على الجوانب الموضوعية أو المادية للحدث.

خلاصــة القول: إنه إذا كانت وسائل الإعلام تصنع الصور وتنقلها، وكان متخذو القــرارات يعــتمدون علــى هذه الصور فى صنع قراراتهم وصياغة سياساتهم، فإن النتيجة المنطقية أن وسائل الإعلام تلعب دوراً غير مباشر فى مجــال القرارات السياسية وذلك من خلال الصور التى تعرضها. ومن ثمَّ يمكن القول إن تحسين الصور التى تعرضها وسائل الإعلام عن دولة ما من الممكن أن يحســن السياســات معهــا، ويطور علاقاتها مع الدول الأخرى. والعكس صحيح.

• هوامش الفصل السابع

(١) على عجوة (١٩٨٣): مرجع سابق ، ص ١٢٩.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) مصـطفى علـوى (١٩٧٩): " المتناقضـات العربـية " فى: حامد ربيع (محرر) المضمون السياسى للحوار العربى – الإسرائيلى: المتغيرات. القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ص ص ٤٣٠-٤٣٢

(٤) راجية أحمد قنديل (١٩٨١): مرجع سابق ، ص٥٦.

(٥) إيـناس محمـد أبـو يوسف (١٩٩٤): صورة العالم الثالث فى الصحافة الأمريكية والمصرية . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص١٨.

(6) Farrell, J. & Smith, A. (1967): "Foreword" in: Farrell, J. & Smith, A:, (Eds): Image and Reality in World politics , New York, Columbia University press , p. v.

(7) Robert N. (1967): " perception and Action in The 1914 Crisis" In: Farrell, J. & Smith, A. (Eds): Op. Cit., pp. 103-122.

(8) White, R. (1967): " Misperception of Aggression in Vietnam" In: Farrell, J. & Smith. A.(Eds) :Op. Cit., p. 123-140.

(9) Schwartz, Benjamin (1967):" The Maoist Image of world Order" In : Farrell, J. & Smith, A. (Eds):Op. Cit., p. 92-102.

(10) Kelman, H. (ed) (1965): International Behavior: A Socio – psychological Analysis. New York: Holt, Rinehart and Winston.

(11) Hoffmann, S. (1967):" perceptions, Reality, and the Franco American Conflict" In Farrell, J. & Smith, A. (Ed) :Op. Cit., p. 57.

(12) Boulding, K. (1967):"The learning and Reality: Testing process in The International system." In Farrell, J. & Smith, A. (eds): Op. Cit., p. 2.

(13) Kelman, H. (1965): Op. Cit.

(14) Holsti, O. (1969): "The Belief System and National Image. A Case Study." In Roseau ,J. (Ed) : International Politics and Foreign Policy . The Free Press Of Glenco. (2nd Edn)PP.543-550

(15) Boulding, K. (1967): Op. Cit., p. 9.

(16) Boulding, K. (1969):" National Images and International systems". In : Rosenau J .(ed) :Op.cit pp.422-431

(١٧) مصطفى علوى (١٩٧٩): مرجع سابق، ص ٤٢٧.

(18) Holsti, O. (1969): Op. Cit., p. 545.

(19) Ibid.

(20) Holsti, O. (1969): Op. Cit., p. 545.

(٢١) رجاء جارودى (١٩٩٦): الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. القاهرة، دار الغد العربى، ص٢٠.

(22) Niebuhr , R. (1967) : " The Social Myths in The Cold War " in : Farrell, J. & Smith, A. (eds.): Op. Cit., pp. 40-56

(٢٣) هربـرت شـيللر (١٩٩٩) المتلاعـبون بـالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٤٣ ، ص ٧.

(٢٤) رجاء جارودى (١٩٩٦) : مرجع سابق، ص ص٣١-١٥٣.

(٢٥) مصطفى علوى (١٩٧٩) : مرجع سابق ، ص٤٣٠

(٢٦) محمد على العوينى (١٩٩٨): الصور النمطية والسياسة الخارجية العربية . القاهرة ،مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٥١، ص٩٧.

(27) Farrell, J. & Smith, A. (1967): Op. Cit., p. VI.

(٢٨) إبراهيم الحيدرى (١٩٩٦) : صورة الشرق فى عيون الغرب، دراسة للأطماع الأجنبية فى العالم العربى . بيروت ، دار الساقى ، ص ١٣-٢٥

(29) Hoffmann, S. (1967): Op. Cit.

(30) Miller, A. (1982) :Op .Cit., P.478

الباب الثالث

صورة العرب
والمسلمين في
العقل الغربي
واستراتيجيات تغييرها

الفصل الثامن

صورة العرب والمسلمين فى العقل الغربى عبر التاريخ

تمهيد:

توجد خمسة اعتبارات أو ملاحظات عامة ينبغي الإشارة إليها والتوقف عندها قبل التعرض لمحتويات هذا الفصل:

١. إن هذا الفصل لا يُعَدُّ "تأريخاً" للعلاقات العربية- الغربية أو إعادة كتابة لأحداثها، فتلك غاية تخرج عن نطاقه ، ومطلب صعب المنال فى حدوده، ولكنَّ هذا الفصل يركز على أهم "الوقائع" التى "شكلت" طبيعة هذه العلاقات، و" أثرت" فى مسارها، مبتعداً عن "فحصها" أو محاولة "التثبت" منها أو إعادة "ترتيب أحداثها" فهذه كلها أمور متروكة لباحثى التاريخ ومحققيه، وإن كانت العهدة تقع دائماً على الراوى.

٢. إننا لا نستطيع فصل "الصورة التاريخية" عن "عناصرها السياسية" و "وقائعها التاريخية" فالأولى نتيجة للثانية، والثانية سبب فى الأولى، وكثيراً ما يحدث العكس. على أن تحديد "اتجاه" العلاقة بين "الصورة التاريخية" و "عناصرها السياسية" وبيان نوعيتها- ارتباطية أم سببية- يرجعنا إلى بحث القضية السرمدية "أيهما جاء أولاً: البيضة أم الدجاجة ؟ إذ إن هناك الكثير من الشواهد التى تدل على أن الصورة كان لها تأثير على القرار السياسى، دفعت إليه، وعجلت به- كما أن هناك، فى المقابل، الكثير من الشواهد التى تدل على أن القرار السياسى والحدث التاريخى قد غيرا من معالم الصورة التاريخية وبدلا بعض أجزائها، وعليه، فسيتم عرض "الصورة التاريخية" فى هذا الفصل، متوازية مع "عناصرها السياسية" و "وقائعها التاريخية" دون تحديد هذه العلاقة أو نوعيتها.

٣. إننا لا يمكننا الزعم بأن هناك حدوداً فاصلة بين كل صورة تاريخية والصورة التى تعقبها، أو الصورة التى تسبقها، فلا يمكن أن نقول: لقد انتهت هنا صورة تاريخية معينة، وهنا ابتدأت صورة أخرى. فالبدايات والنهايات متداخلة، وكثيراً ما يحدث أن يكون هناك تداخل بين الصورتين، والأمر بهذا أشبه بأسلوب المزج Dissolvingفى المونتاج التليفزيونى، أكثر من أسلوب القطع Cut، حيث تغطى صورة تليفزيونية على صورة أخرى بطريقة تدريجية حتى تتلاشى الأولى تماماً وتظهر الأخيرة كلية.

٤. قد تمتد الصورة التاريخية إلى أكثر من مرحلة (عهد) وتصبح ممتدة فى أكثر من عصر، فليس معنى وجود صورة جديدة أن الصور القديمة قد اختفت أو أزيلت ولكن معناه أن الصور القديمة قد احتلت مكاناً آخر فى الذاكرة، مكاناً قد لا تُسلّط عليه الأضواء أو تُركّز عليه فى وجود الصورة الجديدة أو فى بروزها، أى أن الصورة التاريخية لا تموت ولا تندثر وإنما تختلف الأماكن التى تشغلها والخلفيات التى تعلق عليها .

٥. إن الصورة التاريخية لا توجد فجأة كما لا تختفى فجأة، وإنما توجد إرهاصات للصورة التاريخية قبل ميلادها، وقد تستمر وتتمثل فى صورة أخرى فى مراحل تاريخية لاحقة.

ويمكن بصفة عامة القول بأن الصورة العربية فى العقل الغربى قد مرت بسبع مراحل تاريخية يمكن الإشارة إليها باختصار على النحو التالى :-

المرحلة الأولى: من العصور القديمة حتى ظهور الإسلام:

يكـاد يـتفق الباحـثون علـى أن العلاقات العربية- الغربية قديمة قدم وجـود كـلٍ مـنهما[1]، فالصـلات بيـن الشـرق والغرب لم تتقطع منذ أن قامـت الحضـارات القديمـة فـى كلا المجالين الجغرافيين[2] ويبدو أن "قابلية الشـرق العـربى للاسـتعمار" هـى خصيصـة ملازمـة له فى أغلب فتراته التاريخـية، حيـث نجـد اليونانيـن بقيادة الإسكندر المقدونى يمدون سلطان دولـتهم علـى الشـرق (الشـام- مصـر- العـراق) ويؤسسون عن طريق الحـروب المتصـلة إمبراطوريـتهم العظيمة. وإن كان ذلك لا يمنع أن يتأثر اليونانـيون ثقافـياً بالشـرق العـربى، فيلبس الإسكندر ملابس الفراعنة ويقدم القرابيـن إلـى آلهـتهم ويـزور أماكـنهم المقدسـة، وتنشأ الثقافة "الهللينية" كترجمة لهذا الاتصال.

أمـا فـى عصـر الدولـة الرومانية فقد تراوحت العلاقات ما بين عداء تـام فـى كثـير مـن الأحـيان (كمـا هـو الحال فى الحروب المسماة بـ "الحـروب البونـية" بيـن الدولـة الرومانـية وقرطاجة والتى استغرقت مائة عـام تقريـباً ٢٦٤- ١٤٦ ق.م) [3] واسـتكانة مـن جانب العرب فى أحيان أخـرى، لذلـك نجـد الـبحر الأبيض المتوسط "بحيرة رومانية خالصة" و هو "بحـر الـروم" ومصـر هى "مخزن القمح للدولة الرومانية" وإحدى الولايات التابعة لها. وهكذا .

صورة العرب فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة:

يمكـن القـول، بصـفة عامـة، بأن للصورة الغربية الحالية عن الوطن العـربى جـذوراً فـى الكـتابات القديمة وأنها تحمل، فى جوهرها، كثيراً من السمات والأبعاد التى وردت فيها.

فقد أشار هيرودوت، المؤرخ اليونانى، إلى الأراضى العربية ووصفها بأنها "أرض التوابل" و "أرض العجائب" وهى كذلك "أرض مليئة بالمخاطر والأهوال، حيث المخلوقات المجنحة Winged Creatures تقف حارسة للتوابل" . ويذهب هيرودوت إلى أن العطور الغالية والتوابل قد جعلا لهواء الجزيرة العربية رائحة زكية".

وقد ذهب المؤرخ اليونانى سترابو Strabo فى كتابه الجغرافيا المكتوب قبل ميلاد المسيح بفترة قصيرة إلى أن "الأرض العربية أرض خصبة وغنية بالتوابل والمخلوقات "عجيبة، ولكن يسكنها أناس خاملون وكسالى ينام معظمهم فوق أغصان الشجر" ويصف سترابو الصحراء العربية بأنها "أرض رملية خالية من مظاهر العيش إلا من بعض أشجار النخيل وبعض عيون الماء، وسكانها (البدو) يسكنون الخيام، ويحترفون النصب ويركبون الجمال ويعيشون على لبن الحيوانات".

أما بليني Pliny ، وهو مؤلف رومانى، عاش فى القرن الأول الميلادى، فكان من أوائل الذين تحدثوا عن البدو، وأشار إلى أن التجارة هى النشاط الرئيسى لسكان المدن، حيث تمر تجارتهم عبر "طرق الصحراوية، وقوافلهم تحمل بضائع مثل العاج وريش النعام والذهب والفضة والتوابل والأحجار الكريمة[٤].

المرحلة الثانية من ظهور الإسلام حتى الحروب الصليبية: [٥].

لم تكن العلاقة بين الدول العربية والدولة الرومانية الشرقية فى صدر الإسلام على شئ كثير من الصفاء لاتخاذ كلٌ منها صفة دينية تخالف الأخرى، ولانتزاع العرب بلاد الشام ومصر والمغرب من أيدى الروم. وفضلاً عن ذلك فإن الدولة الرومانية الشرقية كانت بحاجة إلى المنتجات الشرقية التى تأتى إليها عن طريق بلاد العرب والبحر الأحمر، فلما قامت الدولة العربية الإسلامية تأثرت تجارة الروم مع بلاد

الشــرق الأقصـــى فقــلّ نشــاطها، وصـــار الـــروم يرون أن قيام هذه الدولة حـــال دون اتصـــالهم اتصـــالاً مباشـــراً بـــتلك الـــبلاد، فـــأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الدولتين العربية والرومانية الشرقية(٦).

وكانـــت للفـــتوحات العربـــية الإســـلامية لبعض الدول الأوروبية أثرها فـــى ازديـــاد حـــدة الـــتوتر بيـــن هـــذه الدول، حيث تمَّ فى العقد الأخير من القـــرن الأول للهجـــرة فـــتح شـــبه جزيـــرة الأندلس على يد طارق بن زياد وموســـى بـــن نصـــير، ثـــم انتقل همُّ الفاتحين فى أوائل القرن الثانى للهجرة إلـــى فـــتح بـــلاد الغـــال (فرنسا) فاجتازوا بجيوشهم جبال "البيرينيه" الفاصلة بيـــن بـــلاد الأندلـــس وبيـــنها، وتقدمـــوا شـــمالاً إلـــى أن وصلوا إلى مدينة "بواتيـــيه" الـــتى جـــرت علـــى مشـــارفها واقعـــة "بلاط الشهداء" سنة ٧٣٢م بقيادة عبد الرحمن الغافقى والتى هُزم فيها المسلمون(٧).

مـــن ناحـــية أخـــرى قـــام الأغالـــبة فى تونس بفتح جزيرة كورسيكا (٨٠٩م) واســـتولوا مـــن ثـــمَّ علـــى جزيـــرة ســـردينيا (٨١٠م) ثم قام جماعة منفـــيون مـــن الأندلـــس بالاســـتيلاء على جزيرة كريت. وقام الوزير الأغلبى القاضـــى أســـد بـــن الفـــرات بقيادة أسطول عربى لفتح جزيرة صقلية، المنفذ الجـــنوبى لأوروبـــا الوســـطى (٨٢٧م) وتـــم فـــتح بالـــيرمو فـــيها (٨٣١م) واستقر العرب هناك(٨).

صورة العرب فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة

لـــم تكـــن صـــورة العالم العربى الإسلامى واضحة لدى الغرب لقرون طويلـــة، إذ غايـــة مـــا توصـــلوا إلـــيه مـــن معلومات عن العرب منذ ظهور الإســـلام وحـــتى قبـــيل الحـــروب الصـــليبية تتمثل فى أنه "قد قام شعب هائج (هـــم العـــرب أو السراســـنة) عُـــرف بالسلب والنهب، وهو علاوة على ذلك شـــعب غـــير مســـيحى – فاجـــتاح وخـــرب أراضـــى واسعة، وانتزعها من

قبضة المسيحية، ولقد وصلت الكارثة، أخيراً، إلى إسبانيا والشواطئ الإيطالية وبلاد الغال"[٩].

كذلك فقد كان الإسلام بالنسبة للغرب "تمزقاً شيطانياً فى صدر الكنيسة المسيحية التى لم يكد يمر على انتصارها على الوثنية ثلاثة قرون، وانشقاقاً مشؤوماً قام به شعب بربرى"[١٠].

إضافة إلى هذا فقد خُلقت صورة مشوهة عن الإسلام من خلال تجميع الحكايات المؤلفة والمفتراة عن الإسلام والمسلمين فقد زُعم أن "الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً ﷺ ليس إلا صنماً أو إله قبيـ أو شيطاناً وأن العرب هم عُبَّاد أصنام إذ يعبدون آلهة ثلاثة هى "تيرفاجان" و "محمد" و "أبوللو"[١١].

كذلك فقد نظر الغربيون إلى محمد ﷺ على أنه "أمير العرب"، أما العرب أنفسهم فقد نظر الأوروبيون إليهم على أنهم وثنيون وجهلاء إذ صدقوا النبىّ المزيف، إضافة إلى ذلك فهم غلاظ قساة. وقد نظر الأوروبيون إلى مكة والمدينة على أنهما "أماكن للفجر والدعارة" ونظروا إلى الإسلام على أنه فُرض على الناس بالسيف ، وهو ما يفسر سرعة انتشاره[١٢].

المرحلة الثالثة: من الحروب الصليبية حتى الدولة العثمانية:

شجعت انتصارات الأسبان على العرب والمسلمين فى الأندلس، (حين استولى ألفونس السادس على طليطلة (١٠٨٥م) وحين استولى النورمانديون على جزيرة صقلية (١٠٩١م) على متابعة الحروب والحملات على ديار المسلمين فى عقر دارهم، ومما زاد رغبة الأوروبيين فى ذلك انتصار السلاجقة (١٠٧١م) على البيزنطيين فى موقعة "منازكرت" وتهديدهم القسطنطينية، مما دفع الإمبراطور ألكسيس

الأول إلى طلب النجدة من البابا أربانيوس الثانى فلقى طلبه هذا هوىً فى نفس البابا الطموح إلى توحيد الكنيستين الغربية والشرقية بتقديم العون لبيزنطة.

وتم بالفعل، خلال الفترة من ١٠٩٥م – ١٢٩١م، تسيير تسع حملات كانت تلبى رغبتين أساسيتين:–

الأولى: رغبة رجال الكنيسة من المتعصبين فى تخليص بيت المقدس والأراضى المسيحية ذات القداسة من أيدى المسلمين وهيمنتهم.

الثانية: رغبة نبلاء أوروبا والمغامرين فيها والتجار فى البحر فى الثروة والغنى والموارد والأسواق الجديدة التى تمدهم بالأموال والسلع(١٣).

وتعتبر موقعة حطين (١١٨٧م) دون شك نقطة تحول خطيرة فى مجرى تاريخ الحروب الصليبية، لأن الصليبيين لم يفيقوا مطلقاً من تلك الضربة التى أودت بزهرة فرسانهم فى الشرق الأدنى، ولم يكن منتظراً أن تتمكن مملكة بيت المقدس الصليبية من البقاء والصمود بعد فناء جيشها وأسر ملكها، فى الوقت الذى ارتفعت معنويات جيوش المسلمين وأخذوا يتطلعون لتحقيق مكاسب ضخمة عاجلة على حساب الصليبيين(١٤). ويمكن القول إنه بقدر ما حطت موقعة حطين من قدر القوى الصليبية بالشرق بقدر ما رفعت من قدر القوى الإسلامية به(١٥).

صورة العرب فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة

ظلت صورة العربى السيئة مطبوعة فى أذهان بعض الأوروبيين زمناً طويلاً، وتظهر هذه الصورة عند "سوذرن" الذى كتب عن الإسلام متأثرا بمصادر تاريخية غير علمية وغير موضوعية. فلقد صور سوذرن النبى محمداً ﷺ ساحراً، دمّر الكنيسة فى إفريقيا والشرق بالسحر والخداع، وبإباحته الاختلاط الجنسى العام" كذلك وضع شتركر، فى القرن الثالث عشر، كتاباً عن "كارل

الكبير" عزا فيه ما في الجاهلية إلى محمد ﷺ بما في ذلك عبادة الأصنام والشعر الجاهلي، فالمسلمون في رأيه، مشركون، معبودهم الرئيس هو محمد ﷺ الذي تُصنع تماثيله من مادة غنية وضخمة، فيما تصل أسماؤه إلى سبعمائة(١٦). وفي ظلّ هذه الصورة كان من الطبيعيّ أن يسيطر على الغرب الأوروبي في فترة الحروب الصليبية الشعار القائل "قتلك العربي المسلم هو طريقك إلى حب الرب To kill The Muslim Arab was to slay for God's love. (١٧)

على أن مجيء الأوروبيين إلى الشرق واتصالهم بالمسلمين ورؤيتهم لجوانب الحياة في الشرق قد أتاح لهم فرصة "لصقل الصور السلبية التي حملوها وتغييرها حتى تبدلت إلى صور أفضل، فضلاً عن ذلك، فإن الاتصال الذي جرى من خلال الصليبيين لم يختزل فقط الاتجاهات الهجومية المسيحية ولكنه أثمر كذلك إعجاباً بعدد من السجايا العربية والإسلامية: كالفروسية والضيافة والنبل"(١٨).

أما صلاح الدين فقد أُحيطت شخصيته بأساطير أوروبية كثيرة، كرحلته الوهمية إلى أوروبا، ووقوع ملكة فرنسا، زوجة الملك فيليب، في حبه، وهي التي قالت فيه مرّة "إن فارساً في هذا الكمال، يجب أن يلتحق بالمسيحية" كذلك نسبوا إليه، أنه فتن "ألينور" سيدة "أكيتانا" بحبه، كما أنهم سموا أولادهم باسمه في فرنسا(١٩).

المرحلة الرابعة: من الدولة العثمانية حتى الحملة الفرنسية:

بعد أن تكونت نواة الدولة العثمانية في المنطقة الشرقية من آسيا الصغرى في حدود سنة ١٣٠٠م، أخذت تتوسع على حساب الدولة السلجوقية والإمبراطورية البيزنطية، وظل خلفاء عثمان، بالفعل، يتبعون سياسة التوسع هذه حتى اجتازوا البوسفور إلى البر الأوروبي، وتوسعوا في بلغاريا وصربيا، تاركين خلفهم القسطنطينية تنتظر مصيرها المحتوم

الـذى قُـدّر لهـا سـنة ١٤٥٣ على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح. وكان أسـلافه قـد أثـاروا الرعـب فـى أوروبـا فـأطلقوا علـى ما يتهددهم من العثمانيين اسم "الخطر العثمانى".

وقـد حاصـر العثمانـيون سـنة ١٦٨٣ مديـنة فيينا عاصمة النمسا، وكـان هـذا الحصـار يمـثل قمة الخطر العثمانى على أوروبا وذروة التهديد الإسـلامى لهـا، ثـم أخذت دولتهم بعده تتحسر تدريجيا إلى أن انفرط عقدها تماما إبان الحرب العالمية الأولى(٢٠).

وإبـان الحكـم العـثمانى للـدول العربية، تم فرض حصار ثقافى كامل علـى الـدول العربـية وعاشـت حوالـى ثلاثـة قرون فى عزلة تامة عما يجـرى حولهـم فـى العـالم، وفـى جهل تام بما يدور فى أوروبا. ولذلك لم يكـن غريـباً أن تمـثل الحملـة الفرنسـية علـى مصـر (١٧٩٨-١٨٠١) "صـدمة ثقافـية " للمصـريين، وأن يصـاب معظمهـم بالذهول لما رأوه من مـنجزات حققهـا العلمـاء الفرنسـيون المصـاحبون للحملة ولما شاهدوه من مبتكرات ليس لهم عهد بها.

صورة العرب فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة

اتسمت الصورة العربية فى هذه الفترة بأربع سمات هى:

- **استـمرار معـالم الصـورة القديمـة**: حيـث بقيت الصورة الغالبة هى صورة الشـرقى كغيـبى، لا عقلانـى، وعاجـز عن استكناه الواقع وإدراكه، فهـو روحـانى قـبلى، أكـثر منه واقعى تحليلى، يعيش فى حضارة غريبة، وجوٌ خرافيٌ تسكنه الجن (٢١).
- **ازديـاد عـدد القصـص المخـتلقة عـن العـرب**: فعلى الرغم من ازدياد عدد الـرحالة والـتجار الأوروبيـين الذيـن زاروا المـنطقة العربية، أو

بسبب ذلك، فقد ظهرت كثير من القصص المختلقة عن العرب، وتم تصويرهم على أنهم شعب خطر، فظ، عدائى، ولا يظهر المودة للمسافرين. وباستعارة تعبير إدوارد سعيد، فقد تمت فى هذه الفترة إلى حد كبير "شرقنة" الشرق(٢٢) أو تم خلق صورة للوطن العربى هى أقرب، فى تفاصيلها، إلى المجتمع الأوروبى منها إلى الوطن العربى(٢٣).

- **إضافة بعض الأبعاد الجديدة للصورة العربية:** ففى هذه الفترة جرى ترويج بعض الصور السلبية عن العرب مثل تلك التى تتعلق بالقرصنة والرق وكذلك البغاء، فعلى سبيل المثال يذهب جوزيف بتز PITTS إلى أنه لا يوجد مكان فى العالم، على ما أظن، يُشجع فيه البغاء كما فى مصر، والبغايا غنيات جداً، ومن عاداتهن الجلوس عند الباب أو السير فى الشوارع بلا حجاب(٢٤).

- **الخلط بين العرب والترك:** ويرجع ذلك أساساً إلى أن الدولة العثمانية عندما سيطرت على البلاد العربية أصبحت الصورة تجاه تلك الشعوب هى صورة الشعب التركى أو العثمانى، خاصة وأن الإسلام الذى يميز تلك الشعوب جعل النظرة إليها واحدة، فهى شعوب تتبع الإمبراطورية العثمانية، وهى دول إسلامية، إضافة إلى ذلك فإن فكرة الخلافة العثمانية ساعدت على تأخير فكرة القومية العربية داخل الشعوب العربية وأدت إلى صورة واحدة لشعوب الدولة العثمانية. وأدى الخلط بين العرب والأتراك إلى ظهور صورة العربى كإرهابى وبربرى وقاسٍ وذلك كنتيجة طبيعية للمذابح التى قام بها الأتراك فى الشعوب البلقانية(٢٥).

المرحلة الخامسة: من الحملة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى

شهدت هذه المرحلة عدداً من الأحداث المهمة التى أثرت على طبيعة العلاقات بين الوطن العربى والغرب منها:-

- الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١): يرى أكثر مؤرخى العصر الحديث أن النهضة العربية بدأت مع نزول الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال نابليون بونابرت (١٧٩٨) وامتدت من ثمَّ عبْر البر إلى بلاد الشام، وتحديداً إلى مدينة عكا، واستمرت فى مصر حتى سنة ١٨٠١، وكانت الثلاث سنوات التى قضتها الحملة فى مصر سبباً فى بدء مرحلة جديدة من العلاقات العربية - الأوروبية، تقوم فيها أوروبا بدور الأستاذ الحضارى وتقوم الدول العربية بدور "التلميذ".
- حملة فريزر على مصر (١٨٠٧) وكانت تمهيداً للمحاولات الأخرى التى قادتها إنجلترا للسيطرة على مصر بصورة غير مباشرة أو بطريقة مباشرة .
- احتلال فرنسا للجزائر (١٨٣٠) واتِّباعها سياسات تهدف إلى "فرنسة" الجزائر وجعلها قطعة من فرنسا.
- تعويق قيام أى دولة عربية قوية: وذلك من خلال إجهاض الدول الأوروبية لمشروع محمد على الوحدوىّ وفرضها من خلال معاهدة لندن (١٨٤٠) شروطاً قاسية على محمد على أدت إلى إجهاض مشروعه.
- الهجمة الاستعمارية الشرسة على الدول العربية: إذ قامت إنجلترا باحتلال مصر والسودان والعراق والأردن وفرضت

سيطرتها على الإمارات الخليجية، وقامت فرنسا - إضافة إلى الجزائر - باحتلال تونس والمغرب وسوريا ولبنان، أما إيطاليا فلم تجد سوى ليبيا لفرض سيطرتها عليها، كذلك لم تجد إسبانيا غير الريف المغربى. أما ألمانيا فقد حاولت أن تنفذ إلى الدول العربية من خلال مشروعاتها الاقتصادية وتحالفها مع الخلافة العثمانية فى تركيا.

صورة العرب فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة

- بالإضافة إلى الصور التقليدية عن العرب التى سادت فى الغرب الأوروبى خلال القرون الماضية، ظهرت فى القرن التاسع عشر عدة أبعاد جديدة لهذه الصور:-

- الفصل بين العرب والأتراك: فإذا كانت النظرة السابقة، لأهداف سياسية ودينية، تعتمد على الربط بينهما، وتوحيد الاتجاه إليهما، فإن القرن التاسع عشر، بمتغيراته السياسية والاقتصادية الجديدة، يفصل بينهما مرة أخرى؛ فالعرب "جماعة منفصلة عن الامبراطورية العثمانية، وهم أشخاص معتزون بشخصيتهم وتراثهم، وهم يكرهون أسيادهم الأتراك، بصفة خاصة، وكلَّ الأجانب، بصفة عامة"(٢٦).

- اكتشاف سحر الشرق من خلال ألف ليلة وليلة والليالى العربية: لم يحقق أى كتاب، باستثناء الإنجيل، ما حققه كتاب ألف ليلة وليلة من شعبية وسعة انتشار ورواج فى أوروبا القرن التاسع عشر(٢٧). ويرجع ذلك إلى أن ألف ليلة وليلة قد كشفت عن "تذوق جمالى وحس شاعرى وسحر شرقى، لم يعهده الأوروبيون قبلا" وأصبح الشرق من خلالها" أرض مغامرات محيرة، وعواطف جياشة،

وقسوة غاشمة، إنه أرض فانتازيا يسكنها السحرة والمجانين والمخلوقات المتعددة الأشكال"[٢٨].

كذلك فإن ألف ليلة وليلة قدمت للغرب الأوروبى مصدراً للمعرفة يعطى "صورة حقيقية عن الشرق، وعن الحياة فيه، وعن العادات والتقاليد السائدة فيه، ومن ثم فإن كثيراً ممن زاروا الشرق فيما بعد كانوا أكثر انسجاماً معه بالفعل بسبب تلك الحكايات"[٢٩].

- <u>الاستغراق فى تحليل الشخصية العربية من خلال الدراسات الاستشراقية:</u> لأن القرن التاسع عشر كان عصر الانقضاض الأوروبى على الدول العربية، لذا كان لابدَّ من أن يسبق ذلك، ويلازمه، تحليل لشخصية "الفريسة" ومعرفة أماكن "ضعفها" لاستغلالها، ومواطن "قوتها" للقضاء عليها، وهو ما قامت به معظم الدراسات الاستشراقية فى القرن التاسع عشر. وهذه أمثلة لتلك الدراسات:-

- يقول لويس بوركهارت "Lewis Burckhardt" إنه يمكن وصف العرب بأنهم "أمة من اللصوص، مهنتهم الرئيسية هى النصب والسلب، وهو موضوع تفكيرهم الأساسى. ولكننا (يقصد الأوروبيين) لا يجب أن ننظر إلى هذا السلوك نظرتنا نفسها إلى فكرة الجريمة التى نراها عند قطاع الطرق ومقتحمى البيوت فى أوروبا، فالعرب ينظرون إلى مهنتهم بافتخار، حتى أنهم يصفون البطل العظيم عندهم بأنه "ابن حرامية"، ويصف بوركهارت الرجال العرب بأنهم "غيورون على نسائهم، وإن كانوا يسمحون لهن بالتحدث مع الأغراب وملاطفتهم !!" ووصف النساء بأنهن "مغرمات بالحكى، وأنهن فى غياب أزواجهن قد يسلين ضيوفهم"[٣٠].

- يشـــير إدوارد ولـــيم ليـــن Edward W. Lane: فـــى كـــتابه الشـــهير "وصـــف (تقيـــيم) عـــادات وطـــرق حـــياة المصـــريين المعاصرين" An Account of The Manners and Customs of The Modern Egyptian إلـــى أن العـــرب كلهـــم "يؤمـــنون بالخـــرافة، وأكثرهم إيماناً بهـــا هـــم المصـــريون، فالخـــرافة جزء من دينهم، وأكثر هذه الخرافات اعـــتقاداً فـــيها هـــو موضـــوع "الجـــن". كما تحدث لين عن "الغول" الذى يعـــتقده المصـــريون نوعـــاً مـــن الجـــن، وأيضـــاً عـــن اعـــتقادهم فى "الدراويـــش والأولـــياء" وعـــن الســـحر. ويصـــف لين المصريين بأنهم "مـــن الســـهل دفعهـــم إلـــى الحروب والمخاصمات، ولديهم روح الدعابة، ومولعون بالرقص"[٣١].

- أمـــا ريتشـــارد بـــيرتون Richard Burton: فقـــد تعـــرض لموضوع "الكـــيف Kayf" عـــند العـــرب، وأكـــد على أنه لا توجد ترجمة أو مقابل لهـــذا المصـــطلح فـــى اللغـــة الإنجليزية. وقد عرّف بيرتون الكيف على أنـــه "الطـــريقة الـــتى يستمتع بها العرب بالحياة The Way Arabs enjoy life"[٣٢].

- أمـــا تشـــارلز دوتـــى Charles Doughty: فقـــد نظـــر إلـــى الجنس العـــربى بصـــفة عامـــة علـــى أنـــه "جـــنس شرير، صعب الطباع، يدين بديـــن لا يســـتحق العـــبادة"، ويـــرى دوتـــى أن المرأة العربية مهضوم حقهـــا، وأنهـــا "درجـــة ثانـــية" مقارنـــة بالرجال، وهى موضوع للجنس فقط، ووظيفتها الإنجاب[٣٣].

المرحلة السادسة: من الحرب العالمية الأولى حتى استقلال الجزائر

- بانتهاء المرحلة السابقة كانت كل الدول العربية، باستثناء الحجاز، واقعة تحت السيطرة الغربية الأوروبية بشكل أو بآخر.
- خلال الحرب العالمية الأولى تم عقد معاهدة بين الشريف حسين والسير هنرى مكماهون ممثل بريطانيا، يدخل بموجبها العرب الحرب إلى جانب الحلفاء ضد الإمبراطورية العثمانية وألمانيا، وتتعهد بريطانيا ، فى المقابل ، بأن تتخلى عملياً عن منطقة الهلال الخصيب للشريف حسين ليؤسس فيها وفى الحجاز وأقسام أخرى من الجزيرة العربية مملكة عربية هى نواة الوحدة العربية الشاملة. وينفذ العرب اتفاقهم ويعلنون الثورة على الخلافة العثمانية وإسقاطها، فى حين تنكس بريطانيا عن وعودها وتعقد اتفاق سايكس – بيكو مع فرنسا وتعد اليهود بوطن قومى فى فلسطين (وعد بلفور).
- فى هذه الفترة بدأ على استحياء يظهر اسم الولايات المتحدة الأمريكية كدولة تناصر الدول المغلوبة على أمرها ، وكانت للمبادىء الأربعة عشر التى أعلنها الرئيس ويلسون ومنها حق الشعوب فى تقرير مصيرها صداها فى دول العالم ومنها مصر على سبيل المثال .
- بعد الحرب العالمية الأولى تم عقد مؤتمر سان ريمو San Remo بإيطاليا، حيث تم فيه توزيع الغنائم (ومنها الدول العربية) على بريطانيا وفرنسا.

- خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، سعت الدول العربية، بالطرق الدبلوماسية أحياناً وبالكفاح المسلح أحياناً أخرى، إلى نيل استقلالها والحصول على حريتها، ونتيجة لذلك نالت هذه الدول استقلالها.

- مثل قيام دولة إسرائيل (مايو١٩٤٨) بمساعدة صريحة وواضحة من الغرب الأوروبى من ناحية والولايات المتحدة من ناحية أخرى علامة بارزة فى تاريخ العلاقات العربية الغربية(العربية الأوروبية من ناحية والعربية الأمريكية من ناحية أخرى) وأدى إلى تكوين اتجاهات سلبية متبادلة بين المنطقتين .

- كان فشل العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦) بمثابة الانهيار الحقيقى لموجة الاستعمار الغربى الأوروبى للوطن العربى.

- كان استقلال الجزائر عن فرنسا، وسحب الأخيرة لجنودها من الجزائر بعد ثورة المليون شهيد بداية مرحلة جديدة من العلاقات العربية – الغربية بصفة عامة والعربية الأوروبية بصفة خاصة[٣٤].

صورة العرب فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة

لم تتغير صورة العرب كثيراً عما كانت عليه فى القرن التاسع عشر، بيد أنها أصبحت أكثر إثارةً وأكثر جذباً للانتباه وذلك لعدة أسباب:

- ظهور كتابات ت. أى. لورنس T.E. Lawrence المشهور بـ لورنس العرب Lawrence of Arabia وانتشارها فى الغرب على نطاق واسع واكتسابها شعبية واسعة واكتساب صاحبها لسمعة أسطورية، فكانت حكاياته ومغامراته الخيالية فى الشرق العربى مثار اهتمام عدد كبير من القراء الغربيين.

- المعالجة السينمائية والإعلامية لبعض الحكايات العربية والتى ظهرت فى أفلام مثل "الشيخ" و "ابن الشيخ" و "لورانس العرب" وغيرها من الأفلام التى نالت شهرة كبيرة وأسهمت فى تحديد صورة العرب فى أذهان الغرب[٣٥].

المرحلة السابعة: من استقلال الجزائر حتى (٢٠٠١) [٣٦]:

توجد عدة سمات تميز هذه المرحلة، على أن من أبرزها:-

- انحسار المد الاستعمارى الأوروبى عن الوطن العربى كله، إذ نالت جميع الدول العربية استقلالها وأصبح لها كيان دولى معترف به وحقوق سيادية على أراضيها.
- بدء مرحلة جديدة من العلاقات العربية - الغربية القائمة على فكرة "الحوار" و "الشراكة" و "التعايش السلمى" بين الجانبين.

وسوف يتم عرض أبعاد الصورة العربية فى العقل الغربى خلال هذه المرحلة بالتفصيل فى الفصل التالى .

• هوامش الفصل الثامن

(١) ليس أدل على ذلك فى رأى البعض من الأسطورة المفسرة لسبب تسمية أوروبا بهذا الاسم، حيث تشير الأسطورة إلى أن "أوروبا" أميرة سورية والدها "اجبتور" ملك "صور" ووالدتها "ليبيا" أميرة البحار، وقد وقعت أوروبا فى حب "زيوس" رب الأرباب الذى تجلى على هيئة "ثور" وسافرت معه شمالاً، إلى جزيرة "كريت"، وحدث ما كان من أمرهما، وقد ولد "مينا فانروس" من هذا الجماع. ثم إن أخاها "قدموس" (أوكلموس) ذهب يبحث عنها ووصل إلى اليونان، بعد أن غرقت سفينته، فأخذ ينشر الأبجدية فيها ثم أطلق على هذه المنطقة اليونان) اسم شقيقته "أوروبا" ثم اتسعت التسمية تدريجياً لتشمل القارة الأوروبية برمتها. مزيد من التفاصيل حول هذه الأسطورة ودلالاتها :

-نادر محمد عزيزة (١٩٩٧): "الحوار الثقافى والحضارى العربى- الأوربى: نشأته حاضره ، مستقبله" فى: العلاقات العربية الأوروبية، حاضرها ومستقبلها، أعمال المؤتمر الدولى الخامس حول العلاقات العربية الأوروبية حاضرها ومستقبلها، بروكسل ١٩٩٧ . باريس، مركز الدراسات العربى- الأوربى، ص ٨٣.

-جورج جبور (١٩٩٧) : "الإسلام وأوروبا" فى: العلاقات العربية الأوروبية، حاضرها ومستقبلها ، مرجع سابق، ص ٣٥٥.

(٢) محمود المقداد (١٩٩٢): تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا . الكويت ، عالم المعرفة، العدد ١٦٧، ص ١٦.

(٣) محمود المقداد (١٩٩٢): مرجع سابق، ص١٦

(4) Sari Naser (1976): The Arabs and The English. London: Longman, PP. 1-3

(٥) عن هذه المرحلة : عبد العظيم رمضان (١٩٨٣) :الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام الى انتهاء الحروب الصليبية . القاهرة ، دار المعارف.

(٦) محمد جمال الدين سرور (١٩٨٨) :علاقات العرب بالروم فى صدر الإسلام. جامعة المنيا ، كلية الآداب، قسم التاريخ،مجلة التاريخ والمستقبل، المجلد (٢) ، العدد ٤ ، ص١٤٩٥.

(٧) محمود المقداد (١٩٩٢): مرجع سابق، ص ١٨.

(٨) المرجع السابق نفسه.

(٩) مكسيم رودنسون (١٩٩٨) :"الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية" فى: جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (محرران) تراث الإسلام. ج١، ترجمة محمد زهير السمهورى وآخرون ، الكويت، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٣، ط٢ ص ص ٣١-٣٢.

(١٠) فرانشيسكو جابريلى (١٩٩٨): " الإسلام فى عالم البحر المتوسط" فى: جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (محرران) مرجع سابق، ص ٩٨.

(١١) محمود حمدى زقزوق (١٩٩٨) :الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى. القاهرة ، دار المعارف، ص ص ٢١-٢٢.

(12) Sari, Naser (1976): Op. Cit., p. 7.

(١٣) محمود المقداد (١٩٩٢): مرجع سابق، ص ص ٢٠-٢١.

(١٤) سعيد عبد الفتاح عاشور (١٩٩٠) :الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام. القاهرة ، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع ، ص٦٤.

(١٥) عادل عبد الحافظ حمزة (١٩٩١) :موقف ألمانيا من هزيمة الصليبيين فى حطين . جامعة المنيا ، كلية الآداب ،مجلة التاريخ والمستقبل، ع١ ، ص٢١٥.

(١٦) إبراهيم الحيدرى (١٩٩٦): مرجع سابق، ص ٢٠.

(17) Sari, Naser (1976): Op. Cit., p. 7.

(١٨) حلمى خضر سارى (١٩٨٨) صورة العرب فى الصحافة البريطانية، دراسة إجتماعية للثبات والتغير فى مجمل الصورة. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ٢٦.

(١٩) إبراهيم الحيدرى (١٩٩٦): مرجع سابق ، ص ٢٤.

(٢٠) محمود المقداد (١٩٩٢): مرجع سابق، ص ص ٢٨-٣١.

(٢١) حلمى خضر سارى (١٩٨٨): مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢٢) إدوارد سعيد (١٩٩٥): الإستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء. ترجمة كمال أبو ديب ، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٤، ص ٤١.

(٢٣) هــذه الظاهــرة معروفة عند العرب منذ القدم ولعلَّ خير تعبير عنها هو المثل القائل "حديث زيد عن عمرو ينبئ عن زيد أكثر مما ينبئ عن عمرو".

(24) Sari, Naser (1976): Op. Cit., p. 32.

(٢٥) نادية سالم (١٩٧٨) : مرجع سابق ، ص ص ١٧٣-١٧٥.

(26) Sari, Naser (1976): Op. Cit., p. 53.

(٢٧) حلمى خضر سارى (١٩٨٨) :مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢٨) إبراهيم الحيدرى (١٩٩٦): مرجع سابق، ص ص ٣٦-٣٧.

(29) Sari, Naser (1976): Op. Cit., p. 54.

(30) Ibid , pp. 59-60.

(31) Ibid, pp. 65-66.

(32) Ibid, pp. 72.

(33) Ibid, pp. 83-92.

(34) Issam Sulieman Mousa (1984): The Arab Image in The U.S. Press. New York, Peterlang, pp. 12-25

(٣٥) سيتم تناول معالم هذه الصورة بالتفصيل فى الفصل التاسع

(٣٦) نظــراً لأهمية أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ولضخامة التأثيرات الناجمة عــنها فقد فضلنا أن نعرض لهذه المرحلة ونتائجها على مجمل الصورة فى كتاب خاص يصدر قريباً إن شاء الله .

الفصل التاسع

صورة العرب والمسلمين فى وسائل الإعلام والثقافة الغربية

تمهيد

لأن رصد الواقع وتحليله هو المقدمة الحتمية لأى محاولة لتغييره ، لذا كان استعراض واقع الصورة العربية والإسلامية فى وسائل الإعلام والثقافة الغربية المعاصرة ضرورة لأى تصور أو تخطيط مستقبلى.

وفى هذا الفصل نحاول أن نستعرض جانباً من الدراسات التى تناولت صورة العرب والمسلمين فى وسائل الإعلام الغربية بالتحليل والدراسة وقد قسمنا هذه الدراسات وفقاً للوسيلة أو للشكل الذى تقدم فيه وإن كان فرعياً.

ويمكن استعراض أهم نتائج هذه الدراسات على النحو التالى :-

أولاً: صورة العرب والمسلمين فى الكاريكاتير السياسى الغربى

يعتبر الكاريكاتير السياسى مصدراً يمكن الاعتماد عليه، والثقة به، فى معرفة المواقف العامة تجاه دولة ما، كما يمكن التنبؤ من خلاله برد الفعل أو اتجاهات الجمهور نحو هذه الدولة، خاصة عندما نعلم أن القارئ العادى يوليه ، هو والعناوين، اهتماماً أكبر مما يولى المقالات المعقدة والتحليلات المفصلة[١].

ويقوم الكاريكاتير السياسى بعدد كبير من الوظائف منها: الإقناع Persuasion، وترتيب أجندة الجمهور Agenda sitting[٢] ولكنّ الوظيفة الأساسية التى يقوم بها بالنسبة للقراء، على حدٍّ تعبير دى سوسا Desousa، هى "عمله كإطار Frame يضم ويحصر كافة الأحداث والجوانب المتعلقة بقضية معينة، وهذا الإطار يحوى بداخله تكثيفاً لعدد كبير من الأفكار والتيمات والدوافع المرتبطة ببعضها، فى صورة يمكن فهمها بسهولة، وهذه الصورة تكون استخلاصاً لجوهر القضية، ويمكن استيعابها والاحتفاظ بها لفترة طويلة"[٣].

ومن خصائص الكاريكاتير السياسى أنه يعتمد على التشويه والمبالغة، وأنه لا يحاول أن يكون إيجابياً أو متوازناً، وأنه يهتم بالعيوب Blemishes وأوجه القصور Shortcomings وعدم الاتساق Inconsistencies فى أى موقف، وهو بالرغم من كونه – لدى البعض – أحد أدوات التسلية Satirists، فإنه أحد الأساليب الدعائية الذى يستخدم كلّ المهارات لتشويه الحقائق والوقائع وللدعاية لموقف ما[٤].

والكاريكاتير السياسى لا يحاول فقط إظهار الجوانب السلبية فى الأمور بل إن بعضها يعتمد على التشهير، وهى أكثر أنواع الكاريكاتير ضرراً ، وهو أيضاً يسعى إلى إظهار صفات أو علامات تتعلق

بالأخلاق سلباً أو إيجاباً بالنسبة للضحية ،وهو قالب يُستخدم ضد الشخص (المكروه) أو الذى يخاف منه الناس ، مثلاً ، للحط من قدره وفى الإساءة إليه(٥).

ويكاد يتفق معظم الباحثين على أن رسامى الكاريكاتير الغربيين هم "أعظم المخطئين فى حق العرب The Greatest Sinners Against The Arabs"(٦) إذ بينما تضاءلت الرسوم الكاريكاتورية بالنسبة إلى معظم الجماعات العرقية فى الولايات المتحدة (وفى غيرها من دول الغرب) فإنها ازدادت ضد العرب(٧) وكثير من هذه الرسوم تحوى أفكاراً ومضامين غير مقبولة ولا ملائمة لو تم توجيهها نحو السود أو الأيرلنديين أو الإيطاليين أو اليهود أو غيرهم، ولكنها مقبولة وملائمة عندما يتم توجيهها إلى العرب(٨).

وتوجد عدة دراسات حاولت تحليل الرسوم الكاريكاتيرية المتعلقة بالعرب فى الصحافة الغربية بصفة عامة والأمريكية بصفة خاصة. ويمكن عرض النتائج الرئيسية لهذه الدراسات على النحو التالى:

(١) دراسة رولاند ستوكتون Roland Stockton (٩).

وقد حلّل الباحث فى دراسته (على حد تعبيره: مئات) الرسوم الكاريكاتيرية فى الجرائد والمجلات والكتب الفكاهية فى الولايات المتحدة الأمريكية. وتقوم الدراسة على فرض رئيسى هو أنه "على الرغم من كون بعض الأفكار المرتبطة بالعرب هى أفكار خاصة بهم وفريدة (الصحراء، البترول، الجمال...) فإن جزءاً كبيراً من الصور العدائية أو التى تحط من قدرهم هى صور مشتقة أو متوازية مع صور قديمة للسود ولليهود وتم تعديلها بحيث تتلاءم أو تتناسب مع الظروف الراهنة ".

وخلــص الباحــث مــن تحلـيله لمــادة دراســته إلى وجود عدة أبعاد لصورة العرب فى العقل الأمريكى هى:

أ- الحرمان الجنسى Sexual Depravity

فالنســاء العربـيات إمــا أنهــن لديهن خجل غير مبرر، أو لديهن قناع زائــف مــن التواضــع يخلعــنه كما يخلعن ثيابهن. والرجال العرب ينظرون إلــى نســائهم كمجــرد موضــوعات للمتعة، كقطعة أساس تنتقل من فرد إلى آخــر، أو كغنـيمة يسـتحوذ علـيها الأقــوى. والحياة مع مثل هؤلاء النسوة غـير الجمـيلات وغـير الجذابــات تجعــل الرجال العرب يطير لبهم ويسيل لعــابهم بمجــرد رؤيــتهم للنســاء الغربـيات. تفســير آخر لهذا الشبق وتلك الشــهوانية لــدى الــرجال العــرب هــو رغبــتهم المرضــية فى الامتلاك، وأحــيانا فــى الدافــع الفطــرى للاســتحواذ علــى مــا هو أعلى فى مقياس الــتطور، وأحــياناً ، ببســاطة ، بسبب جمال الشقراوات الغربيات، وقد تتخذ العلاقــة مــع النســاء الغربـيات صــيغة سياســية: فــرض القوة على نساء الغرب كنوع من المواجهة مع السلطات الغربية.

ب- مخلوقات شبيهة بالحيوانات Creature Analogies

حيــث تــم تصــوير الفلســطينيين علــى أنهــم فــئران مذعورة تدخل جحورهــا أو تقــع فــى الفــخ. كمــا أنهــم براغيــث ابتلت بهم المنطقة وتم ســحقهم. وفــى أســبوع الغــزو الإســرائيلى للبــنان صورت كثير من هذه الرســومات الفلســطينيين بهــذا الشــكل، فى أحد هذه الرسوم يسأل راسمه ما الفرق بين عرفات والفأر ؟ والجواب الفأر له أصدقاء أكثر من عرفات!!

وفــى حــرب الخلــيج تــم تصوير الجنود العراقيين على أنهم يحاربون على جمال ضد الولايات المتحدة.

ج- القادة الهمج Savage Leaders

عــادةً يظهــر الحــاكم العــربى فى شكل ديكتاتور ينادى على رعيته لــيهاجموا أو لــيطردوا الأجانــب (الوثنييــن أو الصليبيين) ويستخدم فى ذلك كلمــة الجهــاد ضــد الكفــار... ودوافــع الحكام للحرب – عادة – شخصية، وربمــا تكــون دوافــع تخيّلــية أو رغبةً فى جعْل سلطتهم غير مُتنازع عليها مــن قــبل رعايــاهم ، وذلــك بإدخالهم فى صراعات خارجية. وسلاح هؤلاء الحكــام هــو تســطيح عقــول رعايــاهم، وإشــعال نــار الكراهية للأجانب، والــتحامل علــيهم. والنتــيجة دائمــاً هــى الحماس المبالغ فيه، واللا منطقية والعنف.

د- الحرب بين الظلام والنور A war of Darkness Against Light

ارتبطــت صــورة العــرب فــى العقــل الغــربىّ بفكــرة الحرب منذ الحــروب الصــليبية، وإن كانــت شــدة الارتــباط بيــن الصورة والفكرة قد ازدادت فــى الفــترة الأخــيرة. ووفقــاً لهــذه الرسوم الكاريكاتيرية فإن رغبة العــرب فــى الانتصــار تــرجع إلى رغبة مرضية فى تحطيم الحضارة أو إلحــاق الأذى بالإنســانية ، كذلــك فــإن العــرب يقــتلون ويــتقاتلون لأنهم يستمتعون بذلك، كما تم تصويرهم بأنها أناس يحبون اللواط(شواذ) .

هــ- الخداع والمكر Deceit

الخــداع هــو أحــد الســمات الرئيســية للعــرب فــى الأعمــال الكاريكاتــيرية، فهــم يــتظاهرون بــأنهم يــريدون السلام ولكنهم يعملون من أجل الحرب.

و- القوة السرية (الخفية) Secret power

قـوة العـرب مبنـية علـى بترولهم وعلى الضعف الأخلاقى وسذاجة القـادة الغربييـن، فالعـرب يشـترون الدعـم والصداقة عن طريق ثرواتهم، كمـا تمكـنهم ممـتلكاتهم وثـرواتهم فى الغرب من إدارة البناء السياسى فيه. وهـم ، عـادة ، مضـاربون فى البورصات الغربية، وسبب إفلاس كثير من البنوك، وأصحاب عروض لشراء كل المصانع الغربية ...

ز- كراهية إسرائيل Hatred of Israel

يُـتهم العـرب برغبـتهم فـى إجـراء مذبحـة جماعـية لليهود وفى الـتخلص مـنهم، فالعـرب إرهابـيون لا يمكـن تصديق أنهم يريدون الصلح مع إسرائيل.

٢- دراسة ماهر الحاجى وجاك نيلسون[١٠] Al Hajji & Nelson

حاولـت هـذه الدراسـة الـتعرف علـى كـيف تم تصوير العرب فى الكاريكاتـير السياسـى فـى الفـترة مـن ١٩٧٣ - ١٩٩٠م والـتى كانـت مسـرحاً لعـدد مـن الأحـداث المهمـة (حـرب أكتوبر والحظر النفطى - زيـارة السـادات التاريخـية للقـدس - الغـزو الإسـرائيلى لجـنوب لبنان، الانتفاضـة الفلسـطينية، الغـزو العـراقى للكويت، وذلك بعرض هذه الرسوم الكاريكاتـيرية علـى ٣٢ طالـباً أمريكـياً فى جامعة Brigham Young لتحديد درجـة سـلبيتها وواقعيـتها، وتحديـداً تهـدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن أربعة أسئلة هى:-

- هل تصف هذه الرسومات العرب بطريقة سلبية أم إيجابية أم محايدة ؟
- هل تصور هذه الرسومات العرب بطريقة حقيقية أم غير حقيقية ؟

- هل تُعتبر هذه الرسومات قذفاً وإهانة للعرب من وجهة نظر المبحوثين؟
- هل تميل هذه الرسومات نحو الإيجابية أم السلبية خلال الأعوام الماضية ؟

وقد خلصت الدراسة إلى أن ٧٣% من الرسومات كانت – من وجهة نظر عينة الدراسة – سلبية وغير واقعية، كما يشيرون إلى أن الرسومات أصبحت أكثر واقعية وإنصافاً وأقل إهانة للعرب فى السنوات الأخيرة.

٣- دراسة لى أرتز ومارك بولوك[١١] Lee W. Artz & Mark, Pollock

تفترض هذه الدراسة أن دعم وتأييد الرأى العام الأمريكى للهجوم الأمريكى على العراق فى حرب الخليج يرجع إلى توظيف وسائل الإعلام واستخدامها لصور سلبية عن العرب مقبولة ثقافياً فى الولايات المتحدة. ومن أجل اختبار هذا الفرض تم تحليل عدد من الصور والتعليقات والرسوم الكاريكاتورية المنشورة فى شيكاغو تربيون وشيكاغو تايمز، ولوس أنجليس تايمز، ونيويورك تايمز فى الفترة من أغسطس حتى ديسمبر ١٩٩٠م وقد أثبت التحليل هذا الفرض. وذهبت الدراسة إلى أن:-

(أ) وسائل الإعلام قد حصرت الموقف الجيوبوليتكى (الجغراسىّ) المعقد فى مجرد دوافع صدام حسين. واعتمدت وسائل الإعلام على صورتين كاريكاتيريتين لتوضيح وتفسير الصراع وهما: –

- صدام حسين غير عقلانى وغير متحضر (مجنون وهمجى).
- صدام حسين يمثل خطراً على المنطقة.

(ب) هذه الأفكار لم تكن قاصرة على الرسوم الكاريكاتورية ولكنها امتدت إلى المواد التحريرية أيضاً.

(ج) تم التركيز على الصورة العربية التقليدية السلبية للحط من قدر صدام حسين ولمحاولة تفسير دوافعه وأفعاله.

٤- دراسة آلن بالمر(١٢) Allen W. palmer

فى هذه الدراسة تم تحليل الرسومات الكاريكاتورية فى صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية وخاصة رسومات هربرت بلوك (هربلوك) Herbert Block ، المشهور بتوجهاته العدائية نحو العرب، وبأنه يشن حرباً ضدهم one man war وذلك فى أربع فترات تاريخية (١٩٥٦- ١٩٦٧- ١٩٧٣- ١٩٩٠) بالإضافة إلى الانتفاضة الفلسطينية. وخلصت الدراسة إلى المؤشرات التالية:-

(أ) الفترة الأولى ١٩٥٦: لم يُظهر هربلوك اهتماماً كبيراً بالهوية العربية فى هذه الفترة، إذ نشر سبعة رسومات عن أزمة السويس، واحد فقط من هذه الرسومات قدم العرب فى صورة رجل بدوى يسكن الصحراء ويطارده "دب" روسى. بقية الرسومات ركزت على الدور الأمريكى فى المنطقة فى مقابل انتشار النفوذ السوفيتى وضرورة مواجهة هذا الانتشار.

(ب) الفترة الثانية ١٩٦٧: وقد ظهر ١٤ رسماً فى يونيو ١٩٦٧م تركز على أن السلام أصبح اللاجئ رقم واحد Peace Still The Number one Refugee كما تم إظهار جمال عبد الناصر، ممثلاً للعرب ، فى شكل وحشى همجى يهدد الأبرياء بأسلحته الآلية.

(ج) الفترة الثالثة ١٩٧٣: نشر هربلوك رسمين فقط فى أحدهما صور الأهرامات وأمامها وقفت بعض الدبابات التى تطلق صواريخ على إسرائيل. وفى الرسم الثانى مدافع ثقيلة تتخفى وراء الأهرامات وعدد من الأماكن المعروفة فى مصر.

(د) الفترة الرابعة ١٩٩٠: نشر هربلوك عدداً كبيراً من الرسومات حول غزو العراق للكويت، وقد ركزت كلها على صدام حسين وصفاته الوضيعة. كما تم وصف عرفات والقذافى وصدام بأنهم إرهابيون متخفون The Three Musk Terrorists.

(ه) الانتفاضة: وجد أطفال الحجارة تعاطفاً من رسامى الكاريكاتير وتم وصفهم لأول مرة بأنهم "ضحايا".

وبصفة عامة تذهب هذه الدراسة إلى أن الصورة العربية فى الغرب ليست جامدة ولا ثابتة، وأنه قد حدث تطور إيجابى فى الصورة العربية على مر المراحل.

(٥) دراسة نيل لندنمان[١٣] Neal Lendenmann

قامت هذه الدراسة على تحليل رسومات بعض رسامى الكاريكاتير فى صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أمثال هربلوك Herblock وفلانيرى Flannery ودون رايت Don Wright وستيف بنسون Steve Benson وغيرهم.

وخلصت الدراسة إلى وجود فكرتين رئيسيتين فى هذه الرسومات:

(أ) الابتزاز العربى للولايات المتحدة من أجل الحصول على أسلحة من خلال فائض واحتياطى البترول العربى، وخضوع كثير من المسئولين الأمريكيين لهذا الابتزاز. مثال على ذلك رسم

كاريكاتيرى عن قضية صفقة بيع طائرات الأواكس الأمريكية للسعودية، حيث يظهر فى الرسم عاهل السعودية ومعه "شيك على بياض" موقع من ريجان يلبى فيه كل طلبات السعودية. إشارةً إلى قوة نفوذ سلاح البترول السعودى.

(ب) تشويه سمعة الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية والتى يتم تجسيدها فى ياسر عرفات. مثال على ذلك رسم يوضح أحد الفلسطينيين الذى يحمل فى يده مدفعاً ويسير وسط أنقاض بيروت (بعد الهجوم الإسرائيلى عليها وتدميرها) مبتسماً ويشعر بالراحة، ويشير إلى كاميرات التليفزيون قائلا "لقد جعلنا هذا المكان فى مثل هذه الصورة الرائعة لكى نسكن فيه !! "والإشارة واضحة إلى كونهم لا يسكنون إلا الخراب ولا يريدون إلا الدمار.

(٦) دراسة جورج ديمون[١٤] George H. Damon

تقوم الدراسة على تحليل الرسوم الكاريكاتيرية فى أربع صحف أمريكية هى: نيويورك تايمز، والبوستن جلوب، كرستيان ساينس مونيتور وسان فرنسيسكو كرونيكال، وذلك فى أربع فترات زمنية: مايو – يونيو ١٩٤٨م، نوفمبر – ديسمبر ١٩٥٦، يونيو – يوليو ١٩٦٧، أكتوبر – نوفمبر ١٩٧٣. وقد بلغ عدد الرسوم الخاضعة للتحليل ٢٢٦ رسماً.

وخلصت الدراسة إلى أن هذه الرسومات يمكن تقسيمها إلى فئات متسقة عبر الأربع حروب:-

- رسومات تهدف إلى تلخيص الموقف فى مصطلحات لا تتضمن شكل العرب ولا الإسرائيليين ويمكن وصفها بالحياد، وهى لا تأخذ موقفا ضد آخر، وتدعو إلى السلام.

- رسومات تهاجم القادة العرب وخاصة جمال عبد الناصر.
- رسومات تهاجم العرب وتقدم الصور التقليدية لهم.
- رسومات تهاجم العرب ضمنياً.
- رسومات تهاجم قادة إسرائيل.
- رسومات تهاجم اليهود وتقدم الصور التقليدية لهم.
- رسومات تهاجم إسرائيل ضمنياً.

كما خلصت الدراسة إلى أن الصورة العربية النمطية تم تقديمها بتركيز شديد على التفاصيل المسيئة للعرب، كما تم تصوير الصراع العربى الإسرائيلى على أنه صراع داود ضد جالوت، وفى المقابل، فقد تم فى أحيان قليلة تقديم صورة تقليدية للرجل اليهودى (رجل دين يهودى) ولكن بصفات إيجابية، أو يتم تقديم اليهودى فى ملابس غربية وملامح أمريكية.

(٧) دراسة وليد خدورى (١٥).

هدفت هذه الدراسة إلى إجراء مسح لكيفية تناول أزمة النفط فى الصحافة الأمريكية بصفة عامة وفى الكاريكاتير السياسى بصفة خاصة. وأشار الباحث إلى أن العرب قد احتفظوا خلال التاريخ الحديث بصورة بائسة فى الغرب.. فخلال العهد الاستعمارى جرى الترويج لصورتين: الفلاح الفقير البليد والسلطان السمين الذى يقضى وقته فى التمتع بالحريم. وكلا الصورتين تتناقضان مع المبادئ الأساسية للأخلاق البروتستانتية: العمل الدؤوب والفضيلة. أما فترة ما بعد الاستقلال ، وما اتسمت به من حماس متقد للقومية العربية ولعبد الناصر، فقد اُعتبرت عهداً جديداً من الفاشية والشيوعية فى الشرق الأوسط فى ظل هتلر

الجديد. مرة أخرى ترويج لموضوعين شديدى الإثارة لحساسية المجتمعات الرأسمالية فى فترة ما بعد ١٩٤٥.

أما خلال (فترة السبعينيات) فقد برزت إلى السطح صورتان جديدتان: الثورة الفلسطينية من ناحية وقد أصبحت مرادفة للإرهاب، ومنتجو النفط من الناحية الأخرى وقد تم تصويرهم يرتدون القفاطين راسمين على وجوههم ابتسامة مخادعة مزعجة، بينما هم يمسكون فى أيديهم بمضخات الوقود مهددين بقطع إمدادات النفط وخنق المجتمعات الغربية المُدَمرة العاجزة.

وقد خلص الباحث من تحليله لمادة دراسته إلى أن العرب كما يبدون فى وسائل الإعلام هم "قوم بالغو السمنة، قذرون، يرتدون ثياباً مهلهلة ويمرحون بسعادة بالقرب من سياراتهم الرولزرويس وجمالهم.. وهم شعب سادى يستمتع بالكوارث والمصائب التى تصيب الأمم الأخرى. والعرب يُصورون كدولة واحدة ذات زعيم واحد، وسياسة واحدة ويتمتعون بمركز تفاوضى مساوٍ لمركز الولايات المتحدة. بل إنهم يمارسون أفعالاً قذرة ضد النسر الأمريكى كنتف ريشه وسحقه حتى الموت.. وكذلك فقد أظهر الأوبك كثعبان ذى أجراس يعمل على تحطيم العالم. أما السلسلة الأخيرة من الكاريكاتيرات فتقدم صورة للاضطراب والقلق والفقر والانهيار العصبى الذى أصاب الشعب الأمريكى بفعل ذلك الإنسان الغامض المبتسم معدوم الضمير راكب الكاديلاك خلف سائقه، ألا وهو العربى.

(٨) دراسة إدمون غريب [١٦]

وقد ذهب الباحث ، من تحليله لاتجاهات الكاريكاتير فى الصحافة الأمريكية نحو العرب ، إلى أن العرب فى هذه الرسومات الكاريكاتيرية

يتمسلون بشارب رهيب ولحية أكثر رهبة، وبالهيئة الرثة والعينين المراوغتين، والأنف الكبير المعقوف والكوفية أو العباءة الرثتين والنظارات السوداء. كما يظهر العربى فى الكاريكاتير الأمريكى حافى القدمين حاملاً خنجراً وفى بعض الأحيان الرشاش السوفيتى (كلاشينكوف) وتظهر رسوم ، فى كثير من الحالات ، تصف أرض العرب بأنها مجرد صحراء قاحلة وآبار نفط وسيارات فخمة ووجهاً ضاحكاً بتشفٍ ولؤم.

وتظهر فى الحملة الكاريكاتورية على العرب عدة تيارات هى:

- إظهار العرب بشكل إرهابيين أو مؤيدين للإرهاب.
- إظهار إسرائيل بمظهر الضحية البريئة.
- إظهار الأوبك بمظهر الرجل العربى الشرير والجشع والخطر.
- إظهار العرب والمنتجين للنفط بمظهر الدول التى تبتز الدول الأوروبية وأمريكا للوصول إلى أهدافهم.
- إظهار العرب وكأنهم برابرة لا قيمة لحياة الإنسان أو كرامته عندهم.
- إظهار العرب بأنهم عملاء أو حلفاء للسوفيت.

ثانيا: صورة العرب والمسلمين فى الكتب المدرسية الغربية

تعتبر الكتب إحدى الأدوات ذات الأهمية والتأثير فى دراسة الثقافات وفى تكوين الصور الذهنية عنها وعن أصحابها. ويمكن القول إن الصور السلبية التى يكونها الأفراد عن الثقافات الأخرى ترجع بدرجة كبيرة إلى ما تعلموه من خلال الكتب الدراسية فى سنى دراستهم الأولى.

وتوجد كثير من الدراسات التى حللت صورة العرب فى الكتب المدرسية الغربية يمكن الإشارة إلى أهم نتائجها على النحو التالى:

(١) دراسة مارلين نصر[١٧]

استهدفت الدراسة الكشف عن صورة العرب والإسلام فى الكتب الفرنسية المخصصة للمواد غير العلمية (القراءة – التاريخ – الجغرافيا – التربية الدينية) فى المرحلتين الابتدائية والثانوية. وانتهت الدراسة إلى أن هناك سمة ثابتة فى روايات المجابهات التاريخية: ففى جميع الحالات يكون العنصر العربى هو البادئ بالعدوان والمتسبب فيه، وتنتهى هذه العلاقة التى تقوم على المجابهة والتبعية بهزيمة العرب وفشلهم، وبانتصار الفرنسيين فى جميع الحالات، سواء فى القصص التاريخية أو فى القصص الأدبية الفرنسية. فالعرب كعناصر فاعلة فى التاريخ يخسرون دائماً. كما تصف هذه الكتب العرب والمسلمين على أنهم لا يتحركون ، جامدون، بطيئون فى العمل، مطيعون لأمر رؤسائهم، قدريون، يؤمنون بالخرافة ودخلاء على أرض الغير وجبناء. وأوضحت الدراسة أيضاً أن النظرة الغالبة على الكتب التعليمية تجاه الحروب الإسرائيلية العربية هى نظرة تقلب علاقة الفاعل العربى الإسرائيلى بالأرض إلى عكسها، فتنسب إلى الفاعل العربى (ضم) الأراضى (العربية) وإلى مصر (دخول سيناء) وكأنها لم تكن ملكاً لها وحررتها.

(٢) دراسة إياد القزاز[١٨]

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الكتب المدرسية الصادرة بعد عام ١٩٧٥ وذلك لترى هل تحسنت الصورة أم لا. واستخدمت الدراسة تكنيك تحليل المضمون الكيفى. ويمكن عرض أهم نتائج الدراسة فيما يلى:

(أ) المعالجة الكلية للإسلام: على الرغم من أن معظم النصوص تشرح بدقة العناصر الجوهرية للإسلام، متضمنة العقيدة الأساسية: أركان الإسلام، حياة الرسول، فإن المناقشة جاءت مختصرة، كما أن العناصر الجوهرية قد تم حذفها. فعلى سبيل المثال فإن إسهام الإسلام في الحضارة الغربية والإنسانية تمت الإشارة إليه بطريقة مختصرة جداً ومبسطة وسطحية، كما لم تتم الإشارة إلى أى إسهام لعلماء المسلمين فى الحساب والجبر والفلسفة والطب والكيمياء.

(ب) تسمية الدين: فى كل الكتب المحللة تم استبدال مصطلح الإسلام بمصطلح "المحمدية " Mohammadism الذى كان شائع الاستخدام فى كثير من الكتب فيما قبل، ويعتبر هذا تحسنا عما كان الأمر عليه فى الخمسينيات والستينيات.

(ج) وصف النبى محمد: بعض الكتب تتضمن صوراً مزعومة للرسولﷺ ، وتستخدم تعليقات توضح خصائص النبى محمد فى ضوء هذه الصور. أحد هذه النصوص قدم صورة للرسول تحت عنوان "محمد وأتباعه : تُرى ما الخصائص التى وجدها الفنان فى هذا القائد الدينى ؟! "نص آخر كان مصحوباً بصورتين مع التعليق التالى: "المواطنون الغاضبون فى مكة حاولوا قذف محمداً بالحجارة بسبب تعاليمه الدينية، تاجر محترم من أهل مكة يحمى محمداً وينقذ حياته من هؤلاء الناس، محمد يعلّم طقوسه الدينية لأتباعه، تُرى لماذا ظهر محمد فى الصورة بدون وجه ومحاطاً بضوء كبير".؟

(د) الشخصية الحربية للإسلام: تركز هذه الكتب على مفهوم "الجهاد" أو "الحرب المقدسة" وكون الإسلام قد انتشر عن طريق الحرب.

كتاب آخر يوضح أنه "على العكس من تعاليم المسيح فإن محمداً قد امتدح ما أسماه بالحرب المقدسة، وأوضح أن الشهداء يدخلون الجنة" نص آخر يذهب إلى أن العرب قد "نشروا الإسلام عن طريق تهديد جيرانهم" نص آخر يذهب إلى أن "اليهودية قد استخدمت عنفاً قليلاً في انتشارها، والمسيحية نشرت الإنجيل عن طريق المبشرين، أما المسلمون فقد نشروا دينهم عن طريق الحرب والعنف".

(ه) **المرأة في الإسلام**: تؤكد هذه الكتب على أن الإسلام يضع المرأة في مرتبة ثانية. وأنها أقل من الرجال في كل شئ. حيث يشير أحد النصوص إلى أن "الشريعة الإسلامية تنص على أن النساء يقمن بخدمة أزواجهن وآبائهن.. ولا ينبغي للنسوة أن يكشفن وجوههن للغرباء، حتى في المنزل. والنساء قد يطبخن ويخدمن الضيوف ولكنهن لا يستطعن أن يأكلن إلا بقايا ما تركه الرجال والضيوف. وأن البنات لا يتم عدّهن من أولاد الرجل."

(و) **الحملات الصليبية**: هذه الكتب لا تلوم العرب على هذه الحروب، ولكنها تلوم الأتراك السلاجقة الذين استولوا على الأرض المقدسة، ومنعوا الحجاج المسيحيين من أداء الحج.

(ز) **متنوعات**: أحد الكتب يشير إلى أن المسلم العادى يصلى خمس مرات يوميا لمدة ستة أيام، أما اليوم السابع (الجمعة) فهو يصلى في المسجد". كتاب آخر يشير إلى أن شهر رمضان "هو الشهر الذى ولد فيه محمد، وفيه بعث، وفيه هاجر، وفيه مات".

(٣) دراسة العلمى[١٩]

أرسلت الباحثة استبياناً إلى ١٧٥ مدرساً فى ٢٠ مدرسة فى شمال شرق ولاية أوهايو الأمريكية فى محاولة لتحديد "كيف يمكن أن تسهم الكتب المدرسية فى إمداد الطلبة بالمعلومات الأساسية عن العرب" وقد أجاب ٩٧% من المدرسين بأنهم يستخدمون كتب النصوص Textbooks فقط فى تدريس المعلومات عن العرب. وقد قامت الباحثة بعد ذلك بتحليل ٥٨ كتاباً مدرسياً مُستخدماً فى المدارس الابتدائية والإعدادية.

وقد كشفت الدراسة عن أن معالجة الحياة البدوية للعرب هى الفكرة المسيطرة فى معظم هذه الكتب، وهى تنتشر أيضاً فى الصور الفوتوغرافية المنشورة للعرب. كما تميل هذه الكتب إلى التأكيد على تخلف العرب وتدنى ظروف معيشتهم. وعندما تصف هذه الكتب الإسلام فهى تتجاهل الجوانب المهمة لهذا الدين التوحيدى. كما ينتشر التشويه فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية والتعليم والقومية العربية وغيرها من الموضوعات.

أما عن الأساليب التى تُستخدم فى إظهار الصورة السيئة للعرب فكانت على النحو التالى:

- استخدام العبارات غير الدقيقة.
- استخدام العبارات الخاطئة.
- استخدام العبارات الناقصة التى تؤدى إلى انطباعات خاطئة.
- حذف الحقائق المهمة عن العرب وعن شخصياتهم التاريخية المشهورة.
- عدم تحديث المعلومات المتعلقة بالعرب فى هذه الكتب.

(٤) دراسة إياد القزاز[٢٠].

وقد غطت هذه الدراسة ٢٧ كتاباً فى ولاية كاليفورنيا باحثة عن صورة العرب والإسلام والصراع العربى الإسرائيلى فى هذه الكتب. وقد خلصت الدراسة إلى أن معالجة موضوع الحياة البدوية فى الوطن العربى كان مبالغاً فيه، كما تم التركيز فى هذه الكتب على الجوانب السلبية للحياة العربية البدوية دون محاولة التطرق إلى الجوانب الإيجابية فيها. أما عن الإسلام، فبخلاف أركانه الخمس التى تم تقديمها باختصار، فإن القليل جداً قد ذُكِر عن إسهام الإسلام فى حضارة العالم. كما أن تقديم الصراع العربى – الإسرائيلى كان غير متوازن ومتحيزاً لصالح إسرائيل. وكأمر واقع فإن التغطية وحجم المساحة المعطاة لإسرائيل فى هذه الكتب تفوق جملة المساحة المعطاة للدول العربية جميعا.

(٥) دراسة إياد القزاز وآخرين[٢١].

وقد حلل الباحثون ٢٤ كتاباً فى ولاية كاليفورنيا. وركزت الدراسة على صورة المرأة فى العالم العربى، الإسلام، الصراع العربى – الإسرائيلى. وقد أكدت هذه الدراسة نتائج الدراسات السابقة حيث صورت المرأة على أنها أشياء محجبة Veiled Objects بدون إرادة، أو قدرة على اتخاذ القرار، كما أنها جاهلة. أما عن الصراع العربى الإسرائيلى فقد تم تصويره بطريقة منحازة لإسرائيل.

(٦) دراسة كينى Kenny[٢٢].

وقد أخضع الباحث للتحليل سبعين كتاباً من الكتب التى تُدرّس فى المدارس الكندية فى مادتى التاريخ والجغرافيا. وخلص إلى أن تغطية قضايا الشرق الأوسط فى هذه الكتب محدودة وضيقة، وأن معالجة الإسلام فى هذه الكتب قد أسهمت فى حفظ الصورة السرمدية للإسلام

كديــن أصــولى وغــير ذلــك من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام كدين وكثقافة وكحضـــارة. ولــم تحــاول هــذه الكتب أن تلقى الضوء على بعض إسهامات الدين الإسلامى فى بناء الحضارة الإسلامية.

أمــا كتــب الجغرافــيا فقــد اشتركت مع نظيراتها من الكتب الأمريكية فــى نفــس المظاهــر والمشــاكل لاســيما المــبالغة فى التركيز على الجانب البدوى للحياة العربية متجاهلة جوانب التقدم والتحضر فيها.

وقــد أشــارت الدراســة إلــى أن معظــم مؤلفى هذه الكتب لم يحدّثوا كتــبهم توافقــاً مــع التغــيرات الديموغرافــية والاجتماعــية والاقتصـــادية والسياسية التى حدثت فى الشرق الأوسط.

(٧) دراسة سمير جرار[٢٣].

وقــد أخضــع الباحــث للتحلــيل (٤٣) كــتاباً مــن كتــب الدراســات الاجتماعــية فــى بعــض المدارس الثانوية الأمريكية. وأوضحت الدراسة أن صــورة الوطــن العــربى كمـــا يتم تقديمها فى هذه الكتب هى صورة سلبية، وأن هــذه الكتــب تمتلــئ بالصـــور النمطــية المــبالغ فيها عن العرب، كما ينقصـــها الـــتوازن فـــى عـــرض وجهـــات الـــنظر المختلفة، وتفتقد معظمها للــتفهم الكـــامل للحـــياة العربـــية وتقدم أنصاف الحقائق . وبصفة عامة فقد تم تصـــوير العـــرب علـــى أنهـــم بدائيون وبدو، قاطنو صحراء، محبون للحرب وللقـــتال، إرهابـــيون، ومـــتخلفون. كمـــا تـــم تصوير الوطن العربى على أنه صـــحراء قاحلـــة وبـــترول، وأنه خالٍ من أى تحديث. وأشار الباحث إلى أن هـــذه الكتـــب لـــم تحـــدّث نفســـها توافقاً مع التغيرات التى حدثت فى الوطن العربى.

(٨) دراسة لجنة النظر فى المعلومات التى تصور الشرق الأوسط فى كتب المدارس الثانوية الأمريكية[٢٤].

قـــام ثمانـــية أعضـــاء مـــن اللجنة Committee on the Middle East Image in Secondary School بتقيـيم الكتـب الـتى يدرسـها الطـلاب فـى المدارس الثانوية. وخلصت هذه اللجنة إلى المؤشرات التالية:

(أ) تـبالغ هذه الكتب فى التركيز على بعض الجوانب الحياتية والثقافية فى الوطـن العربى مثل البداوة والتخلف، وعادة ما تدعمها بصور تقوى هذه الصور المنطبعة.

(ب) تبالغ هذه الكتب فى التركيز على كون الأراضى العربية صحراء قاحلة، متجاهلة الجهود لإصلاح الأراضى والصحراء.

(ج) تتجاهل هذه الكتب أوجه التشابه بين الإسلام والأديان التوحيدية الأخرى (المسيحية- اليهودية) ويتم التركيز على أوجه الغرابة والاختلاف فقط.

(د) تركز هذه الكتب على الطبيعة السلبية لفكرة القومية العربية، فالمشكلات الـتى تواجهها الولايات المتحدة فى المنطقة مردها عداء العرب وبغضهم لإسـرائيل ولأمـريكا. ونـادراً ما يجد القارئ لهذه الكتب أى إشارة إلى وجهة نظر الفلسطينيين أو العرب. فى الوقت الذى تظهر فيه وجهة نظر إسرائيل وباستطراد فى هذه الكتب.

(٩) دراسة أعضاء الرابطة الوطنية للأمريكان من أصل عربى NAAA[٢٥].

وقـد أجرى هذه الدراسة أعضاء الرابطة الوطنية للأمريكان من أصل عـربى (١٩٨٠) National Association of Arab-American (NAAA) وذلك علـى ثمانية عشر كتاباً من الكتب التى يدرسها الطلاب فى ولاية واشنطن. وتم اختـيار ثمانـية موضوعات للتحليل هى: الثقافة، الاقتصاد، العوامل السياسية،

الديـــن، خصائص العرب، التاريخ القديم، المرأة، الصراع العربى- الإسرائيلى. وخلصت الدراسة إلى المؤشرات التالية:

(أ) إن التاريخ العربى والثقافة الإسلامية يتم عادة قياسها والنظر إليها وفق المعايير الغربية.

(ب) المعلومات التى تقدم فى هذه الكتب غير دقيقة وغير حديثة.

(ج) يـــتم فى هذه الكتب عادة توظيف الصور السلبية لوصف الثقافة العربية والخصال العربية.

(د) تبين هذه الكتب أن العرب جميعهم أشرار، وأن الإسرائيليين كلهم أخيار.

(ه) لا يـــتم إعطـــاء الإســـلام فى هذه الكتب حقه كواحد من أكبر الديانات التوحيدية فى العالم.

(١٠) دراسة "جمعية دراسات الشرق الأوسط"[٢٦].

قـــام أعضـــاء الجمعـــية بتحلـــيل ٤٦ كـــتاباً عـــن تاريخ العالم وتاريخ الشـــرق الأوســـط والدراســـات الاجتماعـــية الـــتى يتم دراستها فى المدارس الـــثانوية. وخلصـــت اللجـــنة إلـــى أن ٢٩ كـــتاباً مـــنها غير مقبولة كليةً إما لأنهـــا متحـــيزة أو مليـــئة بالأخطـــاء أو رديـــئة. أمـــا الـــ ١٧ كتاباً الباقية فتـــتراوح بيـــن كونهـــا ممتازة أو جيدة أو مقبولة نوعاً ما رغم وجود أخطاء طفيفة أو حتى تشويهات بسيطة حول القضية العربية- الإسرائيلية.

وعرضـــت الدراســـة نمـــاذج لـــبعض المعلومـــات الـــتى وردت عـــن العرب والإسرائيليين فى هذه الكتب على النحو التالى:

(أ) المصـــريون: "لـــم يفعلـــوا شـــيئاً مـــنذ بـــناء الأهرامات"، "خلف تافه لســـلف عظـــيم"، "ينقـــبون عـــن أمجـــاد ماضـــية"، اعتدائيون، غير منظميـــن، يخلقـــون المتاعـــب لأمـــريكا، يخســـرون الحـــروب، بلا

زعامـــة ويســـهل تضـــليلهم، يخدعـــون أنفســـهم، غـــير قادرين على إسناد تفاخرهم، أنفه من أن يستطيعوا قيادة دبابة.

(ب) الفلســـطينيون: "رجـــال عصـــابات، جماعـــات إرهابية غير عقلانية، جبـــناء، ثـــوار يســـاريون ، قطّـــاع طـــرق، شـــيوعيون، متطرفون، مثـــيرو اضـــطرابات، أشـــرار، متعصـــبون، غـــير متعقلين، عنفاء، مضللون، قساة، حمقى، مجانين، مغتابون.."

(ج) العـــرب: "شـــعب صـــحراوى، رعاة إبل، قوم رحّل، بدو، إرهابيون، أنانـــيون، انتقامـــيون، مولعـــون بالحـــروب، أشـــرار، وقحـــون، مخادعون، متعصبون، محبون لذواتهم، غير عقلانيين.."

(د) المســـلمون: "أتـــباع ديانـــة غريـــبة، ديانـــة عجيبة الأطوار، سحرية، يـــرتدون ألبســـة غريـــبة الأشـــكال ويمارســـون تعـــدد الـــزوجات.. متعصـــبون، قدريـــون، بطيـــئون فـــى قـــبول التغيير، يحملون عقائد لـــيس هـــذا زمانهـــا، شـــعب مولـــع بالحـــروب، متدينون جداً لكنهم مضللون، مخلصون لكنهم مستغلون.."

(ه) الإســـرائيليون: "مـــتقدمون تقدمـــاً كبـــيراً، حســـنو التنظيم، مثاليون، نشـــطاء، واســـعو الحـــيلة، أذكـــياء، عصـــريون، غربيون، فخورون بأنفسهم، لا يُطاقون.

(و) الـــيهود: "مضـــطهدون، مجـــدون، شـــعب متديـــن، لديـــه اســـتعداد للمشاجرة.

(١١) دراسة مارسيل بوازار[٢٧].

وهـــى دراســـة لصـــورة الإســـلام فى العصور الوسطى كما تعرضها الكتـــب المدرســـية فـــى فرنســـا وذلـــك مـــن خـــلال تحليل الكتب المدرسية

الفرنسية المقررة في الفترة من ١٩٤٥-١٩٧١م. وخلصت الدراسة إلى إن الحضارة الإسلامية لم تحظ إلا بنصيبٍ ضئيل في الكتب المدرسية الفرنسية (٤%) وكان تقديمها متحيزاً وجامداً، فقد وصفت هذه الكتب النبي محمد ﷺ بأنه "شخصية مستبدة برأيها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام" ، وتقوم هذه الكتب المدرسية باستخدام الوصف النفسي الزائف واستخدام النعوت التي هي بنفس الدرجة أحكام قيمية ذاتية غير مقبولة، وهكذا فمحمد الفقير يشعر بالأمن بفضل زواجه، وخلال سفره التقى بيهود ونصارى، وبتكريس أوقات فراغه للتأمل حصلت له رؤى "على طريقة الأنبياء" وقرر التبشير بـ "الرب- الله" (كما لو كان رباً خاصاً بالمسلمين دون سواهم). أخرج من مكة فظل مشغولاً باسترجاعها، منذ البداية التجأ للعنف. مكَّنه فنّه في قيادة الجموع من توحيد أنصاره الذين زرع فيهم روح التعصب ووعدهم بالجنة إذا هم ماتوا في سبيل "الحرب المقدسة"

(١٢) دراسة عبد المجيد دويب[٢٨].

وهي دراسة عن "تاريخ تونس في كتب التاريخ المدرسية بجمهورية ألمانيا الاتحادية" وتم نشرها عام ١٩٧٧م. وخلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

(أ) الإسلام يعيق التطور.

(ب) استيقظ العرب بفضل (إسرائيل) وحدث تغير كبير. استيقظ العرب نتيجة وصول اليهود إلى فلسطين ونجم عن ذلك بلية متفاقمة ومعارك خيضت بتعصبٍ لم يألفه عالمنا المتحضر.

(ج) الدول العربية، الموحدة على أساس الدين المشترك، اكتشفت القوة التي تمكنها منها الثروة البترولية. لقد استخدمت البترول بنجاح حتى أصبحت الآن قوة عالمية.

ثالثاً: صورة العرب والمسلمين فى الجرائد والمجلات الغربية:

تمثل دراسات صورة العرب فى الصحافة الغربية الجزء الأكبر من مجموع الدراسات التى أُجريت لتحليل صورة العرب فى الغرب وفى وسائل إعلامه، وقد يرجع ذلك إلى أهمية الصحافة النسبية فى تشكيل الصور وصنع السياسات من ناحية ولأنها أقدم وسائل الاتصال الجماهيرية من ناحية أخرى، إضافةً إلى إتاحيتها وسهولة الرجوع إليها فى فترات زمنية مختلفة . ويمكن عرض نماذج لهذه الدراسات فيما يلى:

(١) دراسة ميخائيل سليمان (١٩٥٦) [٢٩].

قامت الدراسة على تحليل معالجة الصحافة الأمريكية لأزمة السويس ١٩٥٦م وذلك من خلال تحليل بعض المجلات الأسبوعية (لايف- تايم- نيوزويك- يو.اس. نيوز أندوورلد ريبوت- ذا نيو ريببلك، ذانيشن- نيويورك تايمز) فى المدة من يوليو- ديسمبر.

وقد خلصت الدراسة إلى:

(أ) إن أغلب كتاب التقارير الصحفية والمراسلين يقدمون صورة مشوهة للعرب أهم معالمها البداوة، وانخفاض مستوى المعيشة، وانخفاض مستوى التعليم، والمكانة الوضيعة للمرأة (الحريم)، الطباع الاستبدادية، القذارة.. فى حين قُدِّم الإسرائيليون على أنهم "ديمقراطيون" ولهم صفات الغربيين وخصالهم.

(ب) إن أغلب كتاب التقارير الصحفية والمراسلين يشيرون إلى سوء معاملة اليهود فى الماضى، وحقهم فى العيش آمنين مطمئنين. ويقدم هؤلاء الكتاب العرب فى صورة "معتدين" و "شقاة".

(٢) دراسة ميخائيل سليمان (١٩٦٧)[٣٠].

قام الباحث بإعادة تطبيق أساليب دراسته الأولى على حرب يونيو ١٩٦٧ كما حلل المجلات الأسبوعية ذاتها التى حللها فى دراسته الأولى فى المدة من ١١ مايو- ٣٠ يونيو ١٩٦٧. وقد خلص الباحث إلى أن الصحافة الأمريكية خلال حرب ١٩٦٧ كانت مترددة فى انتقاد إسرائيل أو مجرد لومها وكانت بصفة عامة منحازة إليها ومؤيدة لها واتبعت فى ذلك أساليب عدة:

(أ) اختلاق الأسباب والتبريرات المنطقية لأعمال إسرائيل وتصرفاتها.

(ب) عدم عرض وجهات النظر العربية أو دفنها.

(ج) جعل الشيوعيين يتحدثون بلسان العرب.

(د) تجريد العرب من صفاتهم الإنسانية.

(ه) إلقاء اللوم على الحكام العرب (عبد الناصر: شخص يمثل كلَّ ما هو ردىء وكريه، سبب كل المشكلات).

(٣) دراسة ميخائيل سليمان (١٩٧٣)[٣١].

قام الباحث بإعادة تطبيق أساليب دراستيه الأولى والثانية على حرب ١٩٧٣، كما حلّل المجلات الأسبوعية ذاتها التى حلّلها فى دراستيه الأولى والثانية. وخلص إلى حدوث تحسن فى طريقة عرض التصرفات العربية إذ كانت أعمال العرب ونياتهم المزعومة تنشر بتفهم أكبر، إن لم نقل بتعاطف، وأهم تغيير نجده هو فى حقلى "ذكر إنجازات العرب" و "تسويغ أعمال العرب" وقد أظهرت المجلات الأسبوعية (التى تم تحليلها) اهتماماً بوجهة النظر العربية، ونشر إنجازات العرب على أرض المعركة بصورة وافية، والأهم من ذلك أن الأعمال أو الآراء

العربـيـة أخــذت تــبرز أو توضــع فــى إطارهـــا الصحيح أو توضح بشكل وافٍ كمـــا يُظهـــر التحلـــيل أن وســـائل الإعلام الأمريكية لم تتوقف بأى حالٍ مــن الأحــوال عــن انــتقاد أو إدانـــة الــبلدان العربية، على أن مقدار النشر لمصلحة العرب يعادل مقدار النشر الناقد لهم، وهذا تحسن كبير.

(٤) دراسة ميخائيل سليمان (١٩٨٣) [٣٢].

خلــص ميخائــيل ســليمان مــن تتــبعه نتائج الدراسات السابقة حول الصــورة العربــية فــى وســائل الإعــلام الأمريكــية إلــى عدة استنتاجات واستخلاصات منها:

- إن معظــم الدراســات قــد أوضــحت التحــيز الأمريكى لصالح إسرائيل ســواء فــى الاتجاهــات أو فــى السياسات المقترحة تجاه شعوب ودول المــنطقة. كمـــا كشــفت هـــذه الدراســات عــن تحيز قوى ضد العرب ومجتمعاتهم وثقافتهم ومؤسساتهم.
- لا توجــد كــتابات تاريخــية فــى أمــريكا عــن إســهامات العــرب أو تـــاريخهم، كمـــا لـــو كـــان العرب غير موجودين أو ليس لهم تأثير أو تم تجاهلهم كلية بواسطة المؤرخين وعلماء الاجتماع.
- تأثــرت الــرؤية الأمريكــية بالكــتابات الأوروبية عن العرب، فتم النظر إلـــيهم علـــى أنهـــم "أصـــوليون، إرهابيون، أميون، خطرون" واستمرت هـــذه الصـــورة عـــن طـــريق المستوطنين الأوربيين الأوائل الذين نقلوا معهم أسطورة التفوق على العرب.
- إن الصـــورة العامـــة للعـــرب فـــى الصحافة الأمريكية يمكن تحديدها فى النقاط التالية:
    - يتم النظر إلى العرب والمسلمين على أنهم شئ واحد.

- العرب والصحراء صنوان.
- العرب إما فى غنى فاحش أو فقر مدقع.
- العربى كذاب ومخادع ولا يمكن الثقة به.
- العربى قذر ولا أخلاق له.
- الجنود العرب مقاتلون جبناء، والآلة العسكرية العربية غير فعالة.
- العرب ينفقون ثرواتهم على السلع الاستهلاكية والترفيهية وأعمال الكرم والسخاء الغبية مثل شراء سيارة رولزرويس فى لندن لمدة يومين ثم تركها فى المطار للسلتق بقية العام.
- العرب ملعونون إذا فعلوا، ملعونون إذا لم يفعلوا.

(٥) دراسة حلمى خضر سارى (١٩٨٨)[٣٣].

قام الباحث بتحليل التغطية الإخبارية للوطن العربى فى الصحف البريطانية خلال الفترة من ١٩٦٧ حتى عام ١٩٨٠ مع إجراء تحليل مكثف لأهم الأحداث التى وقعت خلال الفترة (حرب ١٩٦٧- حرب ١٩٧٣ - اجتماع اوبك ١٩٧٣- مبادرة السلام ١٩٧٧- اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨- تصريح البندقية ١٩٨٠) وذلك فى أربع جرائد بريطانية هى الديلى اكسبرس والجارديان والتايمز والمورننخ ستار.

وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج أهمها:

(أ) إن الوطن العربى يتلقى من التغطية خلال فترات الحرب أكثر مما يتلقى خلال فترات السلم.

(ب) إن الصحف البريطانية فى عرضها لشئون الوطن العربى قد عكست تحيزاً ثقافياً ذا استعلاء عرقى فى نشر أحداث الوطن

العـــربى، وقـــد تركـــز هذا الاستعلاء العرقى حول المصالح البريطانية الاقتصادية منها والسياسية.

(ج) إن الصـــحف البريطانـــية لـــم تقتصـــر فقـــط على إساءة عرض أخبار الوطـــن العـــربى بـــل إنهـــا أبقت شرائح كبيرة من قرائها على جهلهم وتخـــبطهم فـــيما يـــتعلق بالـــتطور السياســـى والاجتماعى والاقتصادى والتعلـــيمى الـــذى يمـــر بـــه عـــدد مـــن الأقطـــار العربية فى العقدين الماضيين. (الستينيات والسبعينيات).

(٦) دراسة غازى زين عوض الله[٣٤].

وقـــد افـــترض الباحـــث أن هـــناك علاقـــة بيـــن إيجابـــية العلاقات الأمريكـــية مـــع كـــلٍ مـــن العـــرب والإســـرائيليين واتجاه معالجة افتتاحيات الصـــحف الأمريكـــية للموضـــوعات المـــتعلقة بالدول العربية وإسرائيل. وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

(أ) تـــم تقديـــم إســـرائيل فى صورة ودية للغاية، وتقديم العرب فى صورة غـــير وديـــة علـــى الإطلاق فى الفترة التى سبقت حرب يونيو ١٩٦٧. إلا أن هـــذا الاتجـــاه أخـــذ فـــى الهبوط بعد حرب يونيو ١٩٦٧ إذ كان الاتجـــاه فـــى ذلـــك الوقـــت محـــايدا بالنسبة لإسرائيل، وبقيت صورة العرب غير ودية.

(ب) بـــدأ اتجـــاه الافتتاحـــيات نحـــو العـــرب يبدو ودياً بشكل نسبى بعد هذه الفـــترة، فـــى الوقـــت الذى ظلت فيه صورة إسرائيل تُقَّدم بشكل ودىّ. وتغـــير هـــذا فـــيما بعـــد عـــام ١٩٧٠ بشكل مفاجئ، فظهرت صورة إســـرائيل غـــير وديـــة، ومالـــت الصـــورة التى قُدِّمت عن العرب إلى الحـــياد، وقـــد تجلـــى هـــذا بشـــكل أوضح فى الفترة التى أعقبت حرب

١٩٧٣، وفي تردد حكومة الرئيس نيكسون في منح التأييد المطلق لإسرائيل.

(٧) دراسة عزة على عزت[٣٥].

استهدفت الدراسة التعرف على صورة دول مجلس التعاون الخليجي في الصحافة البريطانية في الفترة ما بين ١٩٧٣- ١٩٨١م وانعكاس ذلك على تصور البريطانيين لهذه الدول. حيث انتهت الدراسة إلى أن إساءة الصحف البريطانية للصورة العربية يُعدُ جزءاً من أسلوبها الخاص حتى حيال الشعب البريطاني خاصة الصحف الشعبية التي تسعى وراء الفضائح وتبالغ في نشرها حتى وإن كانت تمس سمعة الشخصيات العامة البريطانية نفسها.

(٨) دراسة محمود عبد الرؤوف كامل[٣٦].

وقد هدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلين هما:

- كيف قدمت صحيفة نيويورك تايمز مصر كأمة وكدولة ؟
- هل تتماشى هذه الصورة مع طبيعة العلاقات المصرية الأمريكية ؟

وانتقى الباحث ستة أشهر في فترتين زمنيتين شهدتا تغيراً في العلاقات الأمريكية، إحداهما فترة علاقات سيئة والثانية فترة علاقات إيجابية، وانتقى الباحث الأخبار والتحقيقات والتعليقات لتحليلها. واتضح من النتائج أن تغطية النيويورك تايمز لمصر قد تبعت السياسة الخارجية الأمريكية سلباً وإيجاباً، وأن صورة مصر كدولة ظلت سائدة في

الفترتين، وأن هذه المعلومات المحدودة وغير المتوازنة عن مصر فى النيويورك تايمز قد أدت إلى تقديم صورة نمطية مشوهة عن مصر.

(٩) دراسة إدمون غريب[٣٧].

خلص الباحث من مقارنته بين تغطية الشئون العربية فى الصحافة الأمريكية وتغطية أخبار إسرائيل فيها إلى أن هناك عدم توازن فى هذه التغطية يظهر فى الجوانب التالية:

(أ) فى المساحة المعطاة لإسرائيل ولأخبارها بالمقارنة مع المساحة المعطاة لكل الدول العربية مجتمعة.

(ب) تنظر الصحافة عامة إلى الإسرائيليين على أنهم "الناس الطيبون" وإلى العرب على أنهم "الناس الأشرار" ويُنظر إلى إسرائيل على أنها امتداد لحضارة الغرب ولثقافته.

(ج) فى كثير من الأحيان تكون البيانات ونشرات الدعاية الإسرائيلية أساساً للأخبار، ويستخدم اسم "تل أبيب" بدلاً من "القدس" فى الإشارة إلى إسرائيل. ويشار إلى الإسرائيليين على أنهم "جنود" أو "كومندوز" أو "قوات أمن" بينما يُشار إلى الفلسطينيين على أنهم "رجال عصابات" أو "متسللون" أو مغيرون"، وتصبح حرب أكتوبر "حرب يوم الغفران" وحرب حزيران تصبح "حرب الأيام الستة" والأراضى المحتلة تصبح "يهودا والسامرا" أو الأراضى "المستعادة" أو الأراضى المدارة من قبل إسرائيل وهكذا.

(د) استخدام عدد كبير من الأفعال المحايدة فى سرد المعلومات للناطقين الإسرائيليين من قبيل :سأل، أبلغ، قال، أعلن، بينما

تستخدم للناطقين العرب أفعالاً وأوصافاً سلبية مثل : ادعى، زعم، هدد، اتهم، وما إلى ذلك.

(١٠) دراسة سامى مسلم[٣٨].

انتهت الدراسة- من خلال تحليل مضمون ثلاث صحف ألمانية يومية أسبوعية ومجلة أسبوعية وذلك فى الفترة من ٦ اكتوبر ١٩٧٣ حتى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣- انتهت إلى أن الصورة العربية فى أجهزة الإعلام الألمانية قد تطورت بشكل يتوازى وتطور العلاقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وإسرائيل من جهة والعلاقات الألمانية الاتحادية مع الأقطار العربية من جهة ثانية. كما أظهرت الدراسة أن تطور العمليات العسكرية خلال حرب أكتوبر أدت إلى بروز مرحلتين مهمتين فى الكتابة الصحفية فى أجهزة الإعلام الألمانية الاتحادية قرنت كل منهما بالصورة التالية عن العرب:

(أ) وضع الصور المقولبة القائمة حتى إندلاع حرب اكتوبر موضع التساؤل.

(ب) عودة إلى الصور المقولبة القديمة.

وقد بدأت المرحلة الأولى بتحقيق النجاحات العسكرية الأولية للجيوش العربية. وبدأت المرحلة الثانية بالثغرة التى اخترقتها القوات العسكرية الإسرائيلية على الضفة الغربية لقناة السويس. (الدوفرسوار)

وقد ذهبت الدراسة إلى أن الصحف الألمانية تميل فى تحليلها إلى عقد المقارنات الدائمة بين القادة العرب: فهى تضع "الديكتاتور" عبد الناصر أو القذافى قبالة" الليبرالى الواقعى" السادات، كما تقارن الرئيس حافظ الأسد" البعثى المعتدل" "باليسار الدوجماتى"، وتقارن الملك فيصل"

حامى التراث "بالنظام فى اليمن الجنوبى الذى تطلق عليه "النظام الماركسى" وبالملك حسين "هذا الملك الشجاع "الذى يواجه الفلسطينيين. كذلك فإن مقاومة الشعب الفلسطينى للاحتلال الإسرائيلى لم تحظ بتأييد الصحافة الألمانية، فقد وصمت الفدائيين الفلسطينيين الذين يقعون فى الأسر الإسرائيلى "بالإرهابيين" ووصمت كذلك عمليات المقاومة "بالاعتداء والتهديد والقتل". وقد بلغ الأمر بصحيفة "دى فلت" أن تنتهج أسلوباً تحقيرياً فى وصف الفدائيين الفلسطينيين" بالتلاميذ النموذجيين للإرهاب" أما الصحف الأخرى فإنها لا تتورع عن أن تصفهم فى أحسن الأحوال "بالمشاغبين" وفى غمرة هذه النعوت والأوصاف تحاول الصحف الألمانية الاتحادية "سحب" الشرعية من تحت أقدام المقاومة الفلسطينية.

(١١) دراسة كينيث ليفان Kenneth Lewan[٣٩].

قامت الدراسة على تحليل المواد الصحفية فى وسائل الإعلام الألمانية حول حرب يونيو ١٩٦٧م فى الفترة الواقعة ما بين مايو حتى نهاية أغسطس ١٩٦٧. وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

- إن صحافة ألمانيا الغربية فى هذه الفترة قد أجرت مقابلات صحفية مع شخصيات إسرائيلية أو مندوبين إسرائيلين أو متعاطفين مع إسرائيل، ويتم اختيار الأسئلة التى توجه إليهم بشكل يظهر إسرائيل فى وضع إيجابى، ولم يكن هناك تمثيل مناسب للعرب.
- اُتخذت الأحكام المسبقة عن العرب لصالح إبراز إسرائيل بصورة أفضل، ومنحت "التبريرات والأعذار" لإسرائيل فى تغيير مواقفها. وأكدت هذه الصحافة- مثلاً- فى موضوع إغلاق.مضيق تيران أنه

"ضـرورة حـيوية لإسـرائيل" ونعتـت الصـحافة تصرف مصر بأنه "غير قانونى".

- أشـارت الصـحف الألمانـية إلـى مـا أسـمته بعقدة "النقص العسكرى والأزمـة الاقتصـادية" لـدى العـرب مقـرونة باتهام سوريا بشن "الهجمات الإرهابية ضد إسرائيل" لتضع مسئولية البدء بالحرب على عاتق العرب.

- تـم تشـبيه الحـرب بيـن العرب وإسرائيل فى صحافة ألمانيا الاتحادية بقصـة داود وجـالوت، فـى العهـد القديـم مـن الكـتاب المقدس، والهدف واضـح وهـو تقريـب الأحـداث إلـى عقـول الألمان لابتزاز عواطفهم مع داود ضـد جـالوت، إذ إن داود المسـكين الضـعيف، أى إسـرائيل، يحارب جـالوت العدائـى، المـتفوق عـدداً، أى العـرب، ولكنّ داود، أى إسرائيل، يحقق نصراً "باهراً" ضد جالوت، أى العرب.

- تـم تصـوير الحـياة فـى إسـرائيل وعملـية زج جنودها فى المعركة تصـويراً رومانتيكـياً، إنهـا إسـرائيل "الصـغيرة والجسورة والمعتمدة على نفسـها" وهـى "ترسـل جـنوداً ضـاحكين يمـزحون ويغازلون المساعدات الشـابات الجمـيلات فـى الجـيش" وأن الإسرائيلين بعد كل أزمة "يخرجون أكثر قوة وأكثر تضامناً".

(١٢) دراسة الاتحاد العام لطلاب فلسطين فى ألمانيا[٤٠].

وتقـوم الدراسـة علـى تحلـيل مضـمون الكتابة الصحفية الألمانية الغربية حـول الشـرق الأوسـط فـى الفـترة الواقعـة ما بين يونيو ١٩٦٧ مارس ١٩٦٩م. واقتصـرت الدراسـة علـى الصـحف المحلية أو الإقليمية الصادرة فـى حـدود المديـنة أو المحافظـة، بالإضافة إلى بعض الصحف والمجلات الصادرة على نطاق ألمانيا الغربية كلها.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها:-

- إن الصحافة الألمانية تستخدم الصور النمطية عن العرب فى تشويه صورتهم، فهى تصور العرب قوماً من الكسالى، للعودة بالقارئ الألمانى إلى صور الكسل والارتخاء فى قصص ألف ليلة وليلة، حتى إن إحدى الصحف أشارت إلى أن العرب "عندما لا ينامون فإنهم يشربون القهوة"، كما وصفت الصحف الألمانية العرب بخداع النفس والخيال الواسع لأنهم "يحتاجون إليها فى حياتهم اليومية كالخبز والأرز".
- إن الصحافة الألمانية تستخدم معايير مزدوجة فى أدائها: فهى تصف الفدائيين الفلسطينين "بالإرهابيين" أو "مقاتلى المقاومة" أو "مقاتلى الحرية" وتصف حركة فتح بأنها "إحدى منظمات الإرهاب"، فى الوقت الذى تصف الهجمات الإسرائيلية بأنها مجرد "ضربات انتقامية" من أجل "الدفاع عن النفس". وتدين هذه الصحف مقاومة الشعب الفلسطينى للاحتلال الإسرائيلى، أما الممارسات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة ضد الفلسطنيين فإن هذه الصحافة تعتبرها "ممارسات إنسانية".
- إن الصحافة الألمانية دأبت على نشر المقالات حول القومية العربية "العمياء" كما جاءت من أفواه الإسرائيلين، ودون أى تعليق. وفى المقابل وضعت الفدائيين العرب فى الصورة السلبية المعاكسة.

(١٣) دراسة مارى ماك ديفيد Mary Mc David[٤١].

استهدفت الدراسة تحليل طرق المعالجة الصحفية للغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان فى الصحف الأمريكية ، وقد خلصت الباحثة من هذا التحليل إلى عدة نتائج منها:-

- إن معظم العناوين كانت تحمل وجهة النظر الإسرائيلية.

- إن الصور المنشورة غير مطابقة للحقائق، وتحمل صورة إنسانية لإسرائيل.
- إن الأخبار المعارضة لإسرائيل يتم دفنها فى الصفحات الداخلية.
- إن المصطلحات والمفاهيم المستخدمة فى المعالجة كانت كلها مصطلحات إسرائيلية.
- فى معالجة الأخبار الإسرائيلية تم استخدام أسلوب خلق الأعذار والتبريرات، وكذلك أسلوب تحويل الأنظار والانتباه نحو موضوعات أخرى أو أطراف أخرى غير موجودة فى الصراع.

١٤) دراسة محبوب هاشم[٤٢].

تقوم الدراسة على تحليل المقالات الإخبارية News Articles عن العرب فى الفترة الواقعة بين أول يناير ١٩٩٠ ونهاية ديسمبر ١٩٩٣ وذلك فى مجلتى نيوزويك والتايم.

وقد خلص الباحث إلى النتائج التالية:

- إن تغطية الأخبار العربية فى المجلتين كان معظمها سلبياً، خاصة فى العامين الأوليين (١٩٩٠-١٩٩١) (أخبار عن الغزو العراقى للكويت، الأزمات، الاختطاف، القتل...).
- إن العرب تم وصفهم فى ضوء صورهم النمطية باعتبارهم "متخلفين" و "إرهابيين" و "راكبى جمال".. فالجمال هى وسيلة المواصلات الأولى فى الوطن العربى". كما أن العرب كلهم مسلمون، فاحشو الثروة، برابرة، غير مثقفين، قتلة بدو، قاطنو الصحراء، شهوانيون، لديهم ولع باغتصاب الفتيات الغربيات.

- إلى جانب السمات التقليدية والصور النمطية للعرب فى وسائل الإعلام الأمريكية توجد بعض السمات التى فيها جزء من الصحة. منها:

  - منطقة الشرق الأوسط فى انحطاط On Decline
  - الوطن العربى ملئ بالحركات الأصولية.
  - الوطن العربى يعانى نقص الديمقراطية.
  - الوحدة العربية مجرد أسطورة.
  - العرب قوم يعيشون فى الماضى.
  - السرق والعبودية موجودان فى بعض المناطق العربية.

(١٥) دراسة كارين جوين ويلكنز Karin Gwinn Wilkins[٤٣].

تقوم الدراسة على تحليل جميع الصور الصحفية التى نُشرت عن الشرق الأوسط فى جريدة نيويورك تايمز إنديكس وذلك فى الفترة الواقعة من يوليو ١٩٩١ حتى يونيو ١٩٩٣.

وقد خلصت الباحثة إلى النتائج التالية:

- تم تقديم المرأة العربية كضحية Women as Victims بحيث يتم تسطيح دورها أو حصره فى نطاق الضحية، فالسياسيون دائما رجال بينما الضحايا هن النساء.
- تم تقديم المرأة بوصفها عنصرا سلبيا بينما يحتكر الرجال الأدوار الإيجابية.

- تـم تقديـم الـرجال بوصـفهم واضـعى القوانيـن (مـنفذيها) Law Enforcers أو محطميـيها Law Breakers ولا توجـد صـورة للنساء فى هذا المجال.

- تم تقديم المرأة بوصفها "ملاحظة" وليست "مشاركة" فى مجتمعها.

- المرأة العربية محجبة Veiled.

- تـم تعـريف الـرجال فـى الصور من خلال وظائفهم، أما النساء فقد تم تعريفهن من خلال حالتهن الأسرية أو توجهاتهن الدينية.

(١٦) دراسة فرانك جايلز[٤٤].

قسم جايلز اتجاهات الصحافة البريطانية إلى عدة فئات:

- الفـئة الأولـى: وتعـود إلى الأيام الأولى للإمبريالية، وتتمثل فى صورة رومانسـية للعـربى "فـارس الصـحراء" المقـاتل أو البدوى بخيمته وجماله وحياته البسيطة المفتوحة وعاداته فى الضيافة ومفهومه للشرف.

- الفـئة الثانـية: وفـيها يـتم الـنظر إلـى العرب على أنهم جميعاً داكنو البشـرة، غامضـون، عاجـزون، معنـيون بالـتزوير وخـداع الأغـراب الأبرياء، وميالون للمؤمرات والعنف والثورة.

- الفـئة الثالـثة: وتتمـثل فـى الشـعور بالضـيق بسبب ثروة العرب من وراء النفط، وغزو العرب لأجزاء كبيرة من الحياة البريطانية.

وقد خلص الباحث إلى نقطتين مهمتين:-

- إنـه سـيظل هـناك علـى الـدوام هوة واسعة من سوء الفهم بين العرب والبريطانييـن العادييـن، ذلـك أن الجـذور والأصول الاجتماعية والسياسية

والدينية وحتى العرقية للمجتمعين مختلفة جداً. وكذلك هناك فجوة لغوية عميقة إلى درجة أن الجهود لردمها تبدو غير مناسبة وحتى مستحيلة.

- إن على الصحف البريطانية واجب تجنب خلق الصور النمطية المغلوطة وغير الكاملة عن مجتمع يجهله معظم القراء جهلا كاملا.

(١٧) دراسة زاهارنا Zaharna[٤٥].

تقوم الدراسة على تتبع صورة الفلسطينيين شعباً وقادةً فى مجلة التايم الأمريكية وذلك خلال الخمسة عقود الماضية. وقد خلص الباحث إلى أن هذه الصورة قد مرت بست مراحل يمكن تحديد أهم عناصر كل مرحلة منها على النحو التالى:

- المرحلة الأولى (١٩٤٨): الفلسطينيون غير المرئيين The Invisible Palestinians إن الاتجاه الأول ذا الدلالة الذى ظهر فى مجلة التايم هو اختفاء الفلسطينيين وكذا فلسطين من التغطية الأمريكية. ويمكن القول إن ميلاد إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ لم يمسح فقط فلسطين من الخريطة بل مسح أيضاً هوية الفلسطينيين، ففى الفترة من ١٩٤٦-١٩٤٩ لم يكن يُستخدم مصطلح "الفلسطينيين" وبدلاً منه فقد كانت تستخدم مصطلحات أخرى مثل "عرب فلسطين" و "العرب المقيمون فى فلسطين" وغيرها، أما فى الخمسينيات فقد تم استخدام مصطلحات أخرى مثل "الأردنيين" و "العرب غير الأردنيين" و "عرب إسرائيل" وهكذا. وبإطلاق لفظ العرب على الفلسطينيين فإنهم بالتالى فقدوا هويتهم المميزة، وأصبحوا جزءا من جماعة عرقية أكبر تمتد وتنتشر من المغرب حتى السعودية، وبالتالى أصبح الصراع – كما تم تقديمه فى التايم –"صراعاً إسرائيلياً ضد الجماهير العربية".

- المـــرحلة الثانـــية (١٩٥٠-١٩٦٧) الصــورة المجــزأة Fragment Image كانـــت الصـــورة فـــى هـــذه المـــرحلة مجـــزأة وكل جزء منها على نقـــيض الآخـــر؛ فمـــن ناحـــية تم تقديم الفلسطينيين على أنهم غير مهرة وبلا قـــادة ولا يمـــثلون تهديـــداً ذا قـــيمة. ومن ناحية أخرى فقد أُعتبر الفلسطينيون جزءاً من الكيان العربى، ومن ثمَّ فهم يمثلون تهديداً قوياً لإسرائيل.

- المـــرحلة الثالـــثة (١٩٦٧-١٩٨٧) الصـــورة المقســـمة A Split Image فقد انقسمت صورة الفلسطينيين إلى قسمين:

- الفلســـطينيون كلاجئيـــن: خلفـــت حـــرب ١٩٦٧ مـــزيدا مـــن اللاجئين الفلســـطينيين ومـــزيدا مـــن عجـــز المجـــتمع الدولى عن توفير الرعاية لهم، مما عزز من صورة الفلسطينيين Victim Image كلاجئين وضحايا .

- الفلســـطينيين كإرهابييـــن: مـــنذ بدايـــة السبعينيات ظهرت صورة أخرى للفلســـطينيين هـــى صـــورتهم كإرهابييـــن، وأصبحت كلمة الفلسطينيين قرينة أو مـــرادفة للإرهـــابى والمخـــتطف ورجـــل العصابات، وأصبح الفلسطينيون وراء حوادث اختطاف الطائرات.

- المـــرحلة الـــرابعة (١٩٨٨) الصـــور المـــتقاربة Converging Images لأول مـــرة – فـــى هـــذه المـــرحلة – يصـــبح واضـــحاً بصـــورة مميزة أن الصـــراع العـــربى – الإســـرائيلى كـــان صـــراعاً بيـــن الفلســـطينيين والإســـرائيليين وهـــو مـــا ظهـــر واضـــحاً فى التغطية الأمريكية للانتفاضة، ولأول مـــرة أيضـــاً يظهـــر الرئـــيس الفلسطينى متحدثاً فى شكل وجه إنسانى Human Face.

- المـــرحلة الخامســـة (١٩٩١) الصـــورة المرحلـــية (الكوبـــرى) The Bridging Image مـــع بـــدء مؤتمـــر مدريـــد وتكويـــن الوفد الفلسطينى دخل عنصـــر جديـــد فـــى المعادلـــة الإعلامـــية الفلسطينية، إذ أصبح يتم الإشارة

إليهم كمفاوضين، وأصبحت تنشر صور للوفد الفلسطينى مع الفلسطينيين فى مناطق الاحتلال وكذا للقيادة فى تونس.

- المرحلة الأخيرة (١٩٩٣) التقدم المفاجئ في الصورة The Break Through Image إن توقيع معاهدة السلام الفلسطينية الإسرائيلية لم تكن إصلاحا دبلوماسيا فقط ولكنها إصلاح لصورة الفلسطينيين فى وسائل الإعلام الأمريكية. وظهرت فى هذه الفترة فكرتان:

  - الإنسانية فى مقابل التشويه السابق.
  - إحلال فكرة السلام محل الصراع والمعية محل التفرقة. (Identifying Togetherness With The Enemy)

(١٨) دراسة نادية سالم[٤٦].

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الصورة القومية للعرب والإسرائيليين فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة من ١٩٦٧-١٩٧٤م وأثر حربى ١٩٦٧، ١٩٧٣م على تلك الصورة. وقد انطلقت الدراسة من عدة فرضيات، أولها أن الصورة القومية هى انعكاس للواقع الاجتماعى وثانيها أن الصورة القومية ليست ثابتة أو مطلقة وأنها نسبية ومتغيرة تبعاً لتغير الأوضاع الاقتصادية والأبنية الاجتماعية والظروف السياسية والثقافية. وبصفة عامة، فقد خلصت الدراسة إلى أثر الحروب على الصورة القومية، حيث أبرزت حرب ٦٧ سمات غير طيبة للشخصية العربية فى أمريكا مثل "يشعر بالدونية وفاقد الثقة بنفسه، وكاذب وإرهابى ومتخلف" فى حين أبرزت سمات إيجابية عن الإسرائيليين" شجاع وواثق بنفسه ومتحضر وتفكيره علمى ومنظم" بينما حسنت حرب ١٩٧٣ الصورة الأمريكية عن الشخصية العربية وغيرت من الصورة الأمريكية عن الشخصية الإسرائيلية.

كمــا خلصــت الدراســة إلــى أن هناك أثراً للتغير فى النظام السياسى فــى بلــد مــا علــى صــورة الشــعوب الأخــرى عن هذا البلد . وأشارت الدراســة إلــى أن الصــحافة الأمريكــية تمــيز بين ثلاثة صور فرعية عن الشخصــية العربــية (العــربى بصــفة عامة – الفلسطينى – المصرى) بينما توحّد بين الصورة اليهودية و الصورة الإسرائيلية.

(١٩) دراسة سونيا جرجس[٤٧].

حاولــت الدراســة الــتعرف علــى صورة مصر فى صحيفة النيويورك تايمــز الأمريكــية خــلال ثــلاث فــترات تاريخــية، تمثل كل فترة تغيرا ذا دلالــة فــى المــناخ السياســى بين مصر والولايات المتحدة (١٩٥٦- ١٩٦٧ - ١٩٧٩). وتــنطلق الدراســة مــن فرضــية أساسية مفادها أن هناك علاقة ارتباطــية بيــن الســياق السياســى Political Context والصورة التى تعكسها وســائل الإعــلام للتعبــير عــن هذا السياق، فالتغيرات التى تحدث فى السياق السياســى يجــب أن تــنعكس علــى الصــورة المقدمــة بواســطة الوســيلة الإعلامية.

وقــد خلصــت الدراســة إلــى أن التغــير فــى العلاقــات المصــرية الأمريكــية خــلال الــثلاث فــترات قــد قابلــه تغــير فى صورة مصر فى الــتايمز، وكانــت طــريقة تغطــية الــتايمز لأخبار مصر متفقة مع السياسة الأمريكية إزاءها .

(٢٠) دراسة هناء فاروق[٤٨].

اســتهدفت الدراســة الــتعرف علــى معالجة جريدة لوموند الفرنسية لــتطورات عملــية الســلام العــربى – الإســرائيلى فى الفترة من ١٩٩١- ١٩٩٦ والــتعرف علــى تصــورات الجــريدة لعملــية السلام ودور إسرائيل فى تكوين صورة العالم العربى .

وقد خلصت الدراسة إلى أن الصحفيين فى هذه الجريدة يميلون إلى تبنى وجهات نظر نمطية عن العالم العربى وإسرائيل ، فإسرائيل هى " واحة الديمقراطية " وهى " ضحية سياستها المتفتحة التى تجذب إليها المهاجرين " فى الوقت نفسه تتبنى وجهة نظر مخالفة بالنسبة للعالم الثالث الذى يعيش فى ديكتاتورية وتخلف وقمع للمرأة والإرهاب وتخلف التكنولوجيا .

كما خلصت الدراسة إلى أن نظرة المراسلين الفرنسيين قد تنوعت للدول العربية ، إذ كانت تونس والمغرب دولتين متمدنتين يسود فيهما الإسلام الحكيم ، وتمتعت مصر وقائدها بصورة إيجابية للغاية وإن لم يكن ذلك بالكامل نظراً لوجود الإخوان والإرهاب بما يؤثر عليها ، بينما تمتع حافظ الأسد بصورة سلبية لأنه عنيف ومتعنت .

وقد ظهر المفاوضون العرب فى صورة إيجابية للغاية ، فهم يحبون السلام ويعملون من أجله مع الإخلاص لقضيتهم وقائدهم ، بينما كان المفاوضون الإسرائيليون يتميزون بالسلبية، ومعاندين وكثيرى التعصب .

رابعاً: صورة العرب والمسلمين فى القصص والروايات الغربية:

استحوذت الأفكار الخاصة بالوطن العربى والعالم الإسلامى على مخيلة الروائيين الغربيين وسيطرت على كتاباتهم لفترة طويلة. ولقد مثلت الاحتمالات الدرامية للصراع العربى الإسرائيلى وزيادة الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للوطن العربى أرضية خصبة لكثير من الروايات والقصص المعاصرة.

ولقد أدرك مؤيدو الصهيونية تأثير هذه الروايات الشعبية كوسيلة لاكتساب التعاطف مع إسرائيل. فرواية Exodus لـ ليون يورس Leon

Uris ،والتى تصف الصراع لإنشاء ولة إسرائيل ، تعتبر مثالاً واضحاً على قوة هذه الروايات وعلى تأثيرها على الرأى العام الغربى، إذ يعتبر كثير من الغربيين هذه الرواية تأريخاً حقيقياً لإنشاء دولة إسرائيل(٤٩).

وعلى الرغم من أهمية هذه الروايات والقصص فى رسم الصورة فإن هناك ندرة فى الدراسات التى حاولت تحليل اتجاهات هذه الروايات، فباستثناء دراسة جانيس تيرى Terry (١٩٨٣) لا توجد إلا إشارات عن هذه الروايات فى بعض الدراسات والكتابات العامة، ففى دراسة لإدوارد سعيد (١٩٨٣) (٥٠) عرض الباحث لمقتطفات من قصة نيبول Naipaul "إنحناءة فى النهر" وقصة جون آب دايك John UpDike "الانقلاب" وكلا القصتين عن الإسلام فى إفريقيا ولكن سياقهما العام يحمل دلالات عن الوضع الراهن للإسلام وللعرب اليوم.

ففى قصة آب دايك نقرأ على سبيل المثال أن الإسلام يعنى القسوة، الخوف من الأجانب، الحشمة، والعزلة "ثم يتحدث عن أحد المسلمين الذين سقط فى الانتخابات بعد سلسلة من الفضائح الجنسية (منها أن اثنتين من سكرتيراته، وليس واحدة، حملتا سفاحا) وعن آخر بغتال أحد المعارضين له فى مدينة نيويورك".

أما فى قصة نيبول فنقرأ الواقعة التالية "... رأيت مجموعات صغيرة من عرب فقراء بملابس بالية ينامون على العشب أو على قارعة الطريق. اعتقدت أنهم خدم مما أثار خجلى، ولكننى بعد ذلك رأيت سيدة غريبة مع أحد عبيدها... تمعنت جيدا فى هذا الشخص. كان يعتمر قبعة بيضاء صغيرة ودشداشته البيضاء كانت كافية للإفصاح عن هويته دون تعريف. كان يحمل كيسين ملآنيين بالحاجيات التى اشتراها من المخزن القريب وكان يسير، حسب العادة، عشر خطوات أمام سيدته

التى كانت، كما هو الحال بالنسبة للسيدات العربيات، سمينة والوشم على وجهها ظاهر من وراء الحجاب. كانت سعيدة لأنها فى لندن تقوم بشراء الحاجيات من المخازن الكبيرة مع غيرها من السيدات. لحظة ظننت لأننى عربى فرمتنى بنظرة من خلف الحجاب أرادت بها أن أرد عليها بنظرة إعجاب......."(٥١).

أما دراسة جانيس تيرى(٥٢) فتستعرض اتجاه الروايات المعاصرة التى تتعلق بالشرق الأوسط فى الغرب. وتخلص إلى أن هناك ثلاث فئات رئيسية لهذه الروايات:

أ- روايات المغامرات The Adventure Stories

وفى هذه الروايات يظهر الإسرائيليون فى صورة الأبطال أما العرب فهم الجبناء الأوغاد. والإسرائيليون نبلاء وشجعان والعرب جبناء وبرابرة. والإسرائيليون محبون للسلام وإنسانيون، والعرب عدوانيون وغير متحضرين. ونظام القيم الإسرائيلى مبنى على الشرف واحترام الحياة، ولكن العرب لا يحترمون النساء ولا الأطفال ومستعدون لطعن العدو من الخلف. ومن هذه الروايات رواية "الكوماندوز الإسرائيليون" لـ Androw Sugar ورواية "الشرطة الأردنية" لـ Iqual, leu وغيرها.

ب- روايات الجاسوسية:

وقد عرضت تيرى لمجموعة من قصص الجاسوسية والعنف مثل قصة "الهدف الفاتيكانى" لـ Barry Schiff و Mall Fishman وقصة "الجهاد" لـ Isser Horel وقصة "خطة ماسادا" لـ Leonard Harris وغيرها . وفى كل هذه الروايات فإن الإسرائيليين والأمريكيين هم الأبطال أما العرب والروس فهم الجبناء السذج . وتشير تيرى إلى أن جميع مؤلفى هذه الروايات لهم دراية بأحوال إسرائيل وينتمون إليها،

ومن ثمَّ فهم يظهرون دائماً تفوق إسرائيل وسموها ورفعتها فى مقابل وضاعة العرب ودنائتهم وخستهم.

ج- القصص المتصلة بالتمويل الدولى واحتياطات البترول:

وتقوم هذه القصص على فكرة الاعتماد الغربى على البترول العربى، ومن هذه القصص قصة "على الحافة" لـ Benjamin Stien & Herbert Stion وقصة "الدببة الفضية" و "شئ مؤكد ببليون دولار" لـ Paul Erdman. وفى هذه القصص يظهر المسلمون باعتبارهم لا يتحدون إلا فى فعل يؤذى الغرب ، ولذا فهم أعداء لا يمكن للعالم الغربى أن يثق بهم. كما أظهرت هذه القصص أن دول البترول العربية لا يعنيها شئ سوى السيطرة على الاقتصاد العالمى.

وتخلص تيرى إلى القول بأن صورة العالم العربى فى الروايات المعاصرة مشحونة بكراهية كل ما هو عربى وإسلامى، ويُصور العرب بشكل مستمر فى هذه الروايات بأحقر أنواع القذف العنصرى، فهم يصورون على أنهم "لا إنسانيون، جبناء، معادون للمرأة والأطفال" ويُصور الإسلام فى صورة سلبية للغاية.

خامساً : صورة العرب والمسلمين فى تليفزيون وسينما الغرب:

على الرغم من أهمية التليفزيون والسينما فى تشكيل الصور وتغييرها فإن الدراسات التى حاولت دراسة الصورة العربية فى هاتين الوسيلتين تعتبر محدودة ونادرة، كما أن هذه الدراسات انطباعية ذاتية تقوم على الملاحظة العامة والتجارب الشخصية وليس من بينها دراسة منهجية إمبيريقية اعتمدت على أدوات علمية محددة.

(١) دراسة إلياس إدريس[٥٣].

خلص الباحث من ملاحظته وتتبعه لصورة العربي في التليفزيون الفرنسي إلى عدد من الملاحظات والاستخلاصات:-

- كل العرب في التليفزيون الفرنسي مهاجرون: أي عمال، ضحايا ومساكين ، يجب الرفق بهم رغم تربيتهم التي لا تتماشى مع الحضارة الأوروبية التي هي أم الحضارات.
- العربي في التليفزيون الفرنسي إما ضحية أو مجرم خارج على القانون، ولا يمكن أن يكون مثقفاً أو رجل أعمال أو حالة أخرى غير الضحية الأبدية.
- ليس للعربي ، كما يتم تقديمه في التليفزيون الفرنسي ، هوية ثقافية وحضارية مثله مثل بقية البشر.
- يمكن للتليفزيون الفرنسي أن يقدم رجال أعمال عرب ولكن ذلك لا يحدث إلا إذا كان الأمر يتعلق بفضائح مالية وسياسية متعلقة بالاقتصاد الفرنسي.
- العربي لا يقدم إلا كمجرم أو إرهابي أو ثري يحتقر المرأة ويضطهد أطفاله، ومن ثمَّ فهو خطر حقيقي على الحضارة الأوروبية.

(٢) دراسة جاك شاهين ١ [٥٤].

خلص جاك شاهين من متابعته لبرامج التليفزيون الأمريكي إلى أن العرب يظهرون في هذه البرامج "على أنهم متوحشون وجبناء ومنحطون. ويقدم زعماء العرب ومساعدوهم على أنهم مجموعات من

البدو المتعطشين للدماء أو المبتزين في سوق النفط. كما يصورو قوادين عطاشا للجنس وخداعين وغادرين".

ويذهب شاهين إلى أن الصورة السائدة هي "لشيوخ الصحرا أثرياء النفط الذين يملكون الجمال وسيارات الكاديلاك" وقد لا تكو السيارات كاديلاك ولكنها "كثيراً ما تكون من تلك السيارات الكبير السوداء المترفة وبداخلها أشباح سوداء ترى من في الخارج ولايراه أحد". كما يصور العرب كذلك على أنهم "يسعون لاستغلال العذار الأمريكيات ذوات الأربعة عشر ربيعاً ".

ويذهب شاهين إلى أن المرأة العربية في المسلسلات الأمريكي متخلفة وتعيش في جوّ "الحريم" وتلبس الحجاب وتُرجم حتى الموت إذ ارتكبت الزنا، أما الرجال العرب فإنهم إما يمتلكون أموالاً طائلة أ يعيشون في الصحراء إضافة إلى كونهم جبناء وغير متحضرين. ك تظهر المسلسلات التليفزيونية أن الرجال العرب غير قادرين على د زوجاتهم. كما تظهر أن النساء الأوروبيات لا يشعرن بأية جانبية ن الرجال العرب، فهم مرفوضون منهن .

ويصل بنا التحامل - على حدّ تعبير شاهين - إلى حد أنه يسمح للمرأة العربية حتى أن ترقص رقصة "هز البطن" على التليفزيون. المرأة العربية لا يمكن أن تثير شهوة الرجل العربي، وإنما هي عادة نجمة البرنامج الشقراء التي تقوم بأدوار هز البطن.

(٣) دراسة جاك شاهين ٢ (٥٥).

يشير جاك شاهين في هذه الدراسة إلى أن برامج التليفزيون الأمريكي التي تتعلق بالوطن العربي تكشف عن ثلاث أساطير أساسية عن العرب:

- الغنى الفاحش.
- البربرية والتخلف.
- الشهوانية والجنسية المفرطة.

(٤) جاك شاهين ٣[٥٦].

في دراسة نشر نتائجها في كتاب كامل (١٩٨٤) حلل جاك شاهين ٢٠٠ حلقة من ١٠٠ برنامج ترفيهي وكارتوني وكوميدي وتسجيلي ودرامي تم إذاعتها في التليفزيون الأمريكي بين عامي ١٩٧٥، ١٩٧٦م. وقد خلص شاهين إلى أن كُتَّاب التليفزيون الأمريكي يميلون إلى استخدام عدد من الأساطير عن العرب، منها:

١. العرب يريدون شراء أمريكا.
٢. الأوبك كلمة مرادفة للعرب.
٣. الإيرانيون عرب.
٤. كل العرب مسلمون
٥. العرب تجار رقيق أبيض
٦. كل الفلسطينيين إرهابيون
٧. العرب هم أعداء العالم
٨. العرب لا يمكن الثقة بهم
٩. العرب قد يقتلون كل الناس حتى أقاربهم
١٠. كل العرب متشابهون.

ويشير شاهين إلى أن أكثر المفردات البصرية المستخدمة فى هذه البرامج هى "راقصات هز البطن" والمحجبات، النظارات الشمسية، العقال والجلابية، عيون البترول، الليموزين ، الجمال".

وخلص إلى أن صورة العرب يمكن تلخيصها فى أربع كلمات تبدأ بحرف B (4B's).

- الأشرار Baddies
- الأثرياء Billionaires
- الإرهابيون Bombers
- الراقصات Bally Dancer

(٥) دراسة سارى ناصر[٥٧].

وهى دراسة شاملة عن صورة العرب لدى الغرب منذ هيرودوت وحتى السبعينيات من القرن العشرين. وقد خصص الجزء الأخير من كتابه (ص ص١٤٢-١٦٢) لعرض صورة العرب فى السينما الغربية من خلال استعراضه لأهم الأفلام التى كان العرب والمسلمون محورها منذ بداية القرن. ويمكن عرض أهم ما توصل إليه الباحث فى النقاط التالية:-

- صورة العرب فى العشرينيات: أظهرت الأفلام الأولى العرب فى صورة "أهل التسلية Entertainers" وربطتهم بكلٍ من السحر والشعوذة، كما أظهرت بعض هذه الأفلام العرب فى صورة للفقراء المحرومين، أو السذج الأوغاد Villain. كذلك فقد أظهرت بعض الأفلام العرب فى صورة رومانسية بالغة الشفافية أو فى صورة فرسان نبلاء يتصرفون تصرف الأمراء.

- صــورة العــرب فى الثلاثينيات: شهدت فترة الثلاثينيات تكرارا لكثير من الأفكار والتيمات السينمائية التى ظهرت فى العشرينيات، كما شهدت ظهور أفكار جديدة مثل الحرب بين الإسلام والمسيحية بالتركيز على مفهوم الجهاد عــند المسلمين، وفى هذه الأفلام تم تصوير العرب والمسلمين بأنهم أوغاد وأنذال فى مقابل الأبطال الشرفاء من المسيحيين.
- صورة العرب فى الأربعينيات: فى هذه الفترة تم تصوير العرب فى شكل هزلى فكاهى، وتم تصويرهم أيضاً فى شكل خيالى "فانتازى". وظهر العرب فــى الليالى العربية يعيشون فى جو القصور المليئة "بالحريم" والتى تسيطر علــيها أعمــال السـحر والشــعوذة، ولذلك تكثر فى هذه الأفلام السجاجيد الطائرة، والخيول المجنحة، والجن ومصباح علاء الدين وغير ذلك.
- صــورة العــرب فــى الخمسينيات وما بعدها: وبدأ فى هذه الفترة ظهور الصــراع العــربى – الإســرائيلى، وصــراع العرب المسلمين مع اليهود ورغبــتهم فــى تدمــيرهم. وتم تصوير العرب – على عكس العشرينيات والثلاثينــيات – باعتــبارهم جــامدى القسـمات ولديهم نظم قيمية مختلفة ومتعارضة مع قيم الغرب ومعتقداته، كما تم تصويرهم باعتبارهم متخلفين، رجعيين، همجاً.

(٦) دراسة لندا فولر Linda, Fuller[٥٨].

تشــير فولــر إلــى أن الصــورة العربــية منذ بداية السينما وحتى الآن تُقــدم علــى الشاشــة الفضــية باعتــبارها نقيضــاً لكلٍّ ما هو غربى، فعرب الســينما Movie Arab يظهــرون علــى أنهــم شــهوانيون، مجــرمون، إرهابــيون، سُــذَّج، كمــا يــتم تقديــم الإسلام على أنه فى حرب مع اليهودية والمســيحية، والمــنطقة كلهــا فى حرب مع المفاهيم الغربية فى الاقتصاد أو فى نظامه العام.

وتشير فولر إلى أن أهم مفردات الصور السينمائية التى يقدم فيها العرب هى، الصحراء الجرداء، غرف الحريم والجوارى، أزقة ومقاهى بغداد والدار البيضاء..

(٧) دراسة ماجدة باجنيد:

استهدفت الدراسة الكشف عن تغطية شبكات التليفزيون الأمريكية الثلاثة ABC- NBC- CBS لمبادرة السلام السلمية، والتعرف على صورة السادات فى التليفزيون الأمريكى، وقد أظهرت الدراسة غياب وجهة النظر العربية للمبادرة فى مقابل بروز وجهة النظر الإسرائيلية، كذلك فقد وصف العرب بصفات سلبية فى أغلب الأحوال.

وكانت صورة السادات جيدة وإيجابية فى مجملها، وإن لم تنعكس تلك الإيجابية على بقية الدول العربية أو الرؤساء العرب.

(٨) دراسة سيريل تاونسيد Cyril Townsend[٥٩].

استهدفت الدراسة رسم صورة عامة للعرب كما يتم تقديمهم فى التليفزيون البريطانى والعوامل التى تؤثر على هذه الصورة. وخلص الباحث إلى عدة مؤشرات عامة هى:

- إن التليفزيون البريطانى يعتمد، أساساً، فى تقديمه للعرب على الصور النمطية لهم، ومن ثمَّ تظهر عدة صور سلبية منها:
  - العرب وحوش غير متحضرين يلبسون ثياباً طويلة متدلية.
  - التركيز على شيوخ النفط الأغنياء وعلى كونهم سمانا.
  - العرب إرهابيون يمارسون العنف.
  - العرب بصفة عامة غير أكفاء.

- إن التلـيفزيون الـبريطانى يـتأثر أكـثر بوجهــة الـنظر الإسرائيلية، ويظهر ذلك فى:

- هيمــنة بعــض المصــطلحات الإسرائيلية: الأمن الإسرائيلى.. يهودا والسامرا..
- موت جندى إسرائيلى أهم من موت عدة جنود عرب.
- استخدام مصطلح "إرهاب" على عمليات المقاومة فى لبنان وفلسطين.
- ظهر فى الآونة الأخيرة مصطلح "الخوف من الإسلام Islamophopia" ومــن ثــم تداخلت الصورتان العربية والإسلامية وغلب عليهما الطابع السلبى.

(٩) دراسة إيدو شتاينباخ Udo Steinbach[٦٠].

اســتهدفت هــذه الدراســة – أيضــاً رسم صورة عامة للعرب المسلمين كمــا يــتم تقديمهــا فــى التلـيفزيون ووسائل الإعلام الألمانية، وقد خلصت الدراسة إلى المؤشرات التالية:-

- توجــد صــورة ســلبية عــن الإســلام، والعــالم الإسلامى فى وسائل الإعــلام الألمانــية، تتمــثل أبعادها فى شيوع القمع والقهر والعنف فى العالم الإسلامى.
- "إن الصــورة الســلبية للإســلام" قــد حلــت محــل "الصــورة السلبية للشيوعيين" بعدما أسدل الستار على المواجهة بين الشرق والغرب.
- عــادة مــا يرتــبط المجــتمع الإســلامى فــى الإعــلام الألمــانى "بالثيوقراطية" و "تعدد الزوجات" و "التعصب" و "الاستبدادية".

- **هوامش الفصل التاسع**

(١) وليد خدورى (١٩٧٩) : "النفط وأجهزة الإعلام الغربية" فى: الإعلام الغربى والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية، لندن ١٩٧٩. الإمارات ، وزارة الإعلام والثقافة ، ص ٦٧

(2) Antz, W. Lee & pollock, Mark (1997): " Limiting The Opinions: Anti-Arab Images in U.S. Media Coverage of The Persian Gulf Crisis " in : yahya R. Kamalipour (Ed) The U.S. Media and The Middle East : Image and Perception . Westport , London , Preager . P. 122.

(3) Desousa, M.A. (1991) :"Symbolic Action and Pretended Insight: The Ayatallah khomeini in U.S. Cartons". In M.J. Medhurst & T.W. Benson (Eds) Rhetorical Dimensions in Media . Dubuque, IA, Kendall Hunt, P. 217.

(4) Damon, George & Michael, Laurence (1983) : A Survey of political Cartoons Dealing with The Middle East " In Edmund Ghareeb (Ed) Split vision: The Portrayal of Arabs in The American Media. Washington, D.C., the American – Arab Affairs Council, P. 143.

(٥) إدمون غريب (١٩٧٩): "الإعلام الأمريكى والعرب" فى الإعلام الغربى والعرب ، مرجع سابق، ص ٩٩.

(6) Curtiss, R.M. (1986): A Changing Image: American Perceptions of The Arab Israeli Dispute. Washington, D.C, American Educational trust, P. 322.

(٧) إدمون غريب (١٩٧٩): مرجع سابق ، ص ٩٩.

(8) Lendenmann, Neal (1983):" Arab Stereotyping in Contemporary American political Cartoons" in: Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., p. 395.

(9) Stockton, Ronald (1997):" Ethnic Archetypes and The Arab Image" in : Ernest Mc carus (Ed) The Development of Arab American Identity. Ann Arbor, The university of Michigan press, (4th edns) pp. 119-153.

(10) Al-Hajji, Maher & Nelson, Jack (1997): "American Students' perception of Arabs in Political Cartoons" in : Yahya kamalipour (Ed) Op. Cit., pp. 222- 230.

(11) Artz, Lee & Pollock, Mark (1997): Op. Cit., pp. 119-135.

(12) Palmer, Allen (1997): "The Arab Image in Newspaper Political Cartoons" In : Yahya kamalipour (Ed) Op. Cit., pp. 139-150.

(13) Lendenmann, Neal (1983): Op. Cit., pp. 345-354.

(14) Damon , George & Michal, Laurence (1983): Op. Cit., pp. 143-156.

(١٥) وليد خدورى (١٩٧٩): مرجع سابق، ص ص ٥٥-٨٠

(١٦) أدمون غريب (١٩٧٩): مرجع سابق، ص ص ٩٩-١٠٠

(١٧) مارلين نصر (١٩٩٥) : صورة العرب والإسلام فى الكتب المدرسية الفرنسية ـ بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية .

(18) Ayad Al Qazzaz (1983): " Image Formation and Textbooks " in : Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., pp. 369-380.

(19) Cited at Samir Ahmed Jarrar (1983): "The Treatment of Arabs in U.S. Social Studies Textbooks: Research Findings and Recommendations " in Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., pp. 382-383.

(20) Ayad Al-Qazzaz (1975) ·" Images of The Arabs in American Social Science Textbooks" in : Abu Laban, et al (Ed) Arabs in America. Willamette, Il, The Median University press international, pp. 113-132. Cited at Samir Ahmed Jarrar (1983) Op. Cit., P. 384.

(21) Ayad Al-Qazzaz, et al (1978) :The Arab world: A Handbook for Teachers. San Francisco, Tasco press. Cited at Samir Ahmed Jarrar (1983) Op. Cit., p. 385.

(22) Kenny, L.K. (1975): "The Middle East in Canadian Social Science Textbooks" in Abu-Laban et al, Arabs in America, op. Cit., pp. 133-148. Cited at Samir Ahmed Jarrar (1983) op. Cit., pp. 385-386.

(23) Samir Ahmed Jarrar (1976) "Images of The Arabs in The United States Secondary Schools Social Studies Textbooks, A Content Analysis". Unpublished ph.D. Dissertation, Florida State University. Cited at samir Ahmed Jarrar (1983) op. Cit. P. 385.

(24) W. Griswold, et al. (1975): The Image of Middle East in Secondary School Textbooks. New York: Middle East Studies Association of North America. Cited at Samir Ahmad Jarrar, (1983) Op. Cit., p. 383.

(25) NAAA, (1980) Treatment of The Arab World and Islam in Washington Metropolitan Area Junior and Senior Textbooks. Washington, D.C., Cited at Samir Ahmed Jarrar (1983) Op. Cit., p. 388.

(٢٦) ميخائيل سليمان (١٩٨٧) : صورة العرب فى عقول الأمريكيين . ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص ١١١-١١٣.

(٢٧) نقلاً عن : عبد القادر طاش (١٩٩٣) : صورة الإسلام فى الإعلام الغربى . القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، ص ٧٩.

(٢٨) نقلاً عن المرجع السابق ، ص ٨٠.

(٢٩) ميخائيل سليمان (١٩٨٧) : مرجع سابق، ص ص ٢٩-٤٧.

(٣٠) المرجع السابق نفسه، ص ص ٤٩-٦٤.

(٣١) المرجع السابق نفسه، ص ص ٦٥-٨٢.

(32) Michael W. Suleiman (1983) :"The Effect of American perceptions of Arabs on Middle East Issues." In : Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., pp. 337-344.

(٣٣) حلمى خضر سارى (١٩٨٨) : مرجع سابق .

(٣٤) غازى زين عوض الله (١٩٨٥): العربى فى الصحافى الأمريكية، جدة، مطبوعات تهامة.

(٣٥) عزة على عزت (١٩٨٨): صورة مجلس التعاون الخليجى فى الصحافة البريطانية فى الفترة م. ١٩٧٣ - ١٩٨١. رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة.

(٣٦) نقلا عن: إيناس أبو يوسف (١٩٩٤) : مرجع سابق.

(٣٧) إدمون غريب (١٩٧٩) : مرجع سابق، ص ٩٠-٩٢

(٣٨) سامى مسلم (١٩٨٥) : صورة العرب فى صحافة ألمانيا الإتحادية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص ١٨٣-١٩٦.

(٣٩) المرجع السابق نفسه، ص ص ٦١-٦٥

(٤٠) المرجع السابق نفسه، ص ص ٦٥-٦٩.

(41) Mc David, Mary (1983): "Media Myths of the Middle East: The U.S. Press on The War Of Lebanon" In : Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., 299-314.

(42) Mahboub Hashem (1997): " Coverage of Arabs in Two leading U.S. News- Magazines Coverage" In : Yahya Kamalipour (Ed) Op. Cit., pp. 151-162.

(43) Wilkins, Karin (1997):" Middle Eastern Women in Western Eyes: A Study of U.S. press photographs of Middle Eastern Women" In : Yahya Kamalipour (Ed) Op. Cit., pp. 50-61.

(٤٤) فرانك جايلز (١٩٧٩) : "الصحافة البريطانية والعرب" فى : الإعلام الغربى والعرب، مرجع سابق، ص ص ٢٢٩-٢٣٨.

(45) R.S. Zaharna (1997):" The Palestinian leadership and the American Media: Changing Images; Conflicting Results" In : Yahya Kamalipour (Ed) Op. Cit., pp. 37-49.

(٤٦) نادية سالم (١٩٧٨) : مرجع سابق، ص ص ٢٦٦-٢٧٠.

(47) Sonia Guirguis (1988): The Image of Egypt in The New York Times 1956-1967- 1979. PHD dissertation. School Of Education ,Health ,Nursing and Arts Professions, New York Univ

(٤٨) هناء فاروق صالح (١٩٩٩) : معالجة صحيفة لوموند الفرنسية لتطورات قضية السلام العربى - الإسرائيلى فى الفترة من ١٩٩١- حتى ١٩٩٦. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة.

(49) Terry, Janice (1983) :" Images of the Middle East in contemporary Fiction" In : Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., p. 315.

(٥٠) إدوارد سعيد (١٩٧٩): ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام فى: الإعلام الغربى والعرب، مرجع سابق، ص ص ١٢٥-١٤٠.

(٥١) المرجع السابق نفسه. ص ١٣٥-١٣٨.

(52) Terry, Janice (1983) . Op. Cit., pp. 315-326

(٥٣) إلــياس إدريس (١٩٩٠) : صورة العربى فى الأجهزة السمعية البصرية فى فرنسا . مجلة الوحدة ، العدد ٦٦، ص ص ٢٠٣-٢١٠

(٥٤) جاك شاهين (١٩٧٩): "وسائل الإعلام الأمريكية والصورة النمطية للعرب" فى: الإعلام الغربى والعرب، مرجع سابق، ص ص ٢٥-٣٦

(55) Jack, Shaheen (1983): " The Image of The Arab on American Television" In : Edmund Ghareeb (Ed) Op. Cit., pp. 327-336.

(56) Jack, Shaheen (1984) : The Tv. Arab. Bowling Green, Bowling Green State University popular press.

(57) Sari, Naser (1976) : Op. Cit., pp. 142-162.

(58) Magda Ahmad Baganid (1982): U.S. Television Networks' Coverage of Sadat's peace Initiative. Ph.D. Dissertation, Faculty of Mass Communication , Cairo University.

(59) Townsend , Cyril (1998) : "Media Coverage Of Arabs In Europe " in : The Sixth International Conference on Euro-Arab Media : Dialogue For The Future . 23-25 Feb.1998. Bahrain , Manama.

(60) Steinbach, Udo (1998): " The perception of Islam in the Media and public in Germany " In: The Sixth Inernational Conference on Euro-Arab Media. Op. Cit.,

الفصل العاشر

أفكار ومقترحات لتحسين الصورة العربية لدى الغرب

* ملاحظات مبدئية :

من خلال التتبع التاريخي لصورة العرب و المسلمين لدى الغرب المسيحي يمكن ملاحظة ما يلي :-

أولا: الثبات النسبي لصورة العرب والمسلمين في العقل الغربي

فأبعاد صورة العرب لدى الغرب لم تختلف باختلاف المراحل التاريخية ، وقد يكون هناك بعض التغيرات ، و لكنها تغيرات فى الشكل لا فى المضمون ، فى الكأس لا في الشراب ، فى الإطار الذي يحوى الصورة لا فى الصورة نفسها .

ثانيا :السلبية المطلقة لصورة العرب و المسلمين فى العقل الغربي ؛

فصورة العرب دائما سلبية لدى الغرب، فهم بصفة عامة "ملعونون إن فعلوا ،وملعونون إن لم يفعلوا " تتغير الظروف و السياقات و تظل الصورة السلبية عنهم و إن خفضتها أحياناً بعض "الرتوش" الإيجابية أو جمّلتها" بعض الظلال الاستثنائية .

ثالثا :اعتبار الدين محدداً رئيسياً من محددات الصورة العربية لدى الغرب.

فالإسلام أحد أسباب الصورة السلبية عن العرب لدى الغرب ، فالعرب لكون معظمهم مسلمين ، يعتبرون "منشقين عن الغرب المسيحي " و "وثنيين " ومن ثمّ فهم اقل مرتبة من أهل الغرب .

رابعاً : بروز دور "الاستشراق" في صناعة الصورة العربية لدى الغرب.

فالاستشراق باعتباره "أسلوبا غربياً للسيطرة على الشرق و استبنائه و امتلاك السيادة عليه " قد سخّر كل أدواته لاحتواء الشرق و تمثيله و التحدث باسمه ، ومن ثمّ فقد روّج الاستشراق للفرق بين المألوف (الغرب، نحن) و الغريب (الشرق ، المشرق ، هم) وأصبح الشرق معروفاً في الغرب بوصفه نقيض الغرب المتمم له .

خامساً : بروز آليات العقل الغربي في صنع صورة العرب في خطابه.

فالعقل الغربي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفى ، و بالتالي لا يتعرف إلى "الأنا" إلا عبر "الآخر"، وبكيفية عامة ، فالعقل الأوروبي لا يرى العالم إلا من خلال تقابل الأطراف ، كتقابل الأنا و الآخر، وما الوجود سوى صراع بين أضداد ، وبناءً عليه فإن الغرب المسيحي لم يكن ليتعرف على نفسه ، في القرون الوسطى ، إلا من خلال وضعه "الإسلام" كآخر : خصم و عدو. وفى العصر الحديث و مع انتشار الرحلات و الاستكشافات الجغرافية و ذيوع الفكر العلماني في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر فإن ثنائية الشرق و الغرب أصبحت تحكم حديث الغربي عن نفسه ، وهكذا أصبح الغرب لا يتعرف إلى نفسه إلا من خلال الصورة التي يبنيها لنفسه عن الآخر :الشرق ، واستمرت هذه الثنائية في التعمق داخل الوجدان الغربي إلى درجة أن مفكراً إنجليزياً (كيبلنج Kepling) لم يستطع تحديد "العرب" إلا بقوله "الشرق شرق،و الغرب غرب ولن يلتقيا" .

* أفكار و مقترحات عامة لتحسين الصورة

١- إنه لا يمكن تحسين الصورة العربية و الإسلامية لدى الغرب ما لم يتحسن الواقع الذى يعكس هذه الصورة ، إذ من الصعب تكوين أو رسم صورة جميلة لواقع غير جميل ، و علية فسوف تظل كل المحاولات قاصرة عن بلوغ هذه الغاية ما دام الواقع ثابتاً لا يتغير .

٢- إن الصورة ، علي تنوع أبعادها و تعدد مجالاتها ، هي كلٌ متكامل ، و قد لا يجدى تحسين بعدٍ منها فقط أو تجميل أحد مجالاتها فقط ، إذ لابدَّ من محاولة التوازي و التزامن في تصحيح كل الأبعاد و المجالات.

٣- إن تغيير صورة ناتجة عن تراكمات قرون عديدة يحتاج إلى سنوات طويلة، و من ثمَّ فيجب ألا نتوقع تغيير هذه الصورة السلبية بين ليلة و ضحاها ، ولابدَّ من التذرع بالصبر و المثابرة ، و لابدَّ من الاعتراف بأن سياسة " فورات الحماس " التي تنتابنا أحياناً و تدفعنا إلي العمل لا تصلح في هذا المجال ، إذ نحتاج إلي سياسة النفس الطويل ، و إلي العمل المتعاقب المتصل لا إلى العمل المتقطع المنفصل .

٤- إن تغيير الصورة قد لا يحتاج إلي ميزانيات ضخمة ولا إلي موارد مالية عظيمة قدر حاجته إلي التخطيط الجيد ، وإلي أسلوب التقديم المقنع للصورة المرغوب نقلها .

٥-إن تغيير الصورة لا يتم من خلال أنشطة مباشرة و معلنة ، وإنما يتم من خلال أنشطة غير مباشرة ، فإدراك الآخرين أنك تفعل هذا النشاط بغرض تحسين صورتك قد يكون مردوده سلبياً ، ولذلك لابدَّ أن تبدو هذه الأنشطة وكأنها تلقائية و عفوية .

٦- إن المبدأ الأساسي الذي يجب أن نبدأ منه و ننطلق من خلاله هو ما أشار إلية فولتير من أن " الطريقة الوحيدة التي تجعل بها الناس يتحدثون عنك بصورة حسنة هي أن تتصرف بطريقة حسنة ".

٧- إنه لكي نحسن الصورة العامة للعرب والمسلمين فلابدً من أن تتسم الجهود العربية والإسلامية في هذا الشأن بالاتساق والانسجام والبعد عن السياسات القطرية المجزأة ، إذ بدون ذلك نصبح كالفرقة الموسيقية التي يعزف كل فرد منها لحناً مختلفاً و مغايراً للحن الآخر ، و تكون النتيجة ضوضاء لا موسيقي.

٨- إن تغيير الصورة يحتاج إلي إيمان الأفراد بقدرتهم علي تغيرها ، وما لم يكن هناك هذا الإيمان و ذلك الاقتناع بالقدرة علي التغيير فلن تتغير هذه الصورة .

٩- إنه لا يمكن تحديد أشخاص بعينهم لتنفيذ هذه السياسات أو يوكل إليهم تغيير الصورة ، إذ تتوزع مسئولية ذلك علي جميع الأفراد ، و إن أختلف نصيب كل فرد منها ، فسائق التاكسي الذي يتعامل مع السياح له نصيب فيها ، و عمال الفنادق لهم دور فيها ، و الرؤساء و الملوك لهم دور فيها كذلك .

١٠- إن علينا أن نتخلي بشكل كلي أو جزئي عن " نظرية المؤامرة" التي نؤمن بها و نعتقد فيها ، إذ ليس معقولاً أن نعلق كل كبواتنا ونكساتنا وأخطائنا علي شماعة الآخرين: الذين يدبرون لنا و يكيدون لإفسادنا وتشويه صورتنا ، فنحن مسئولون ، شئنا أم أبينا ، عن واقعنا ومسئولون عن تغييره .

١١- إن علينا ، أيضاً ، أن نتخلي عن الشعور "بالاضطهاد" أو علي الاقل نحاول التخفيف من حدته ، إذ قد يؤدى هذا الشعور إلي القيام بكثير من التصرفات العدوانية ، الفردية و الجماعية و القومية .

١٢- إن رغبتنا في تغيير صورتنا لدى الآخر لا يعنى توحدنا معه وتشبهنا به لدرجة التطابق ، فالنتائج السلبية المترتبة على الصورة الحالية ،على شدتها، قد تكون أقل شاناً من النتائج المترتبة على التوحد مع الآخر والتطابق معه.

١٣- إن الصورة الجيدة هي مخرج من مخرجات القوة الذاتية للأمة، فلا صورة جيدة لأمة متمزقة أو ضعيفة، ومن ثمّ فلابدّ أن يكون ميزان القوة في صالحنا حتى تكون صورتنا جيدة أو على الأقل ليست سلبية.

١٤- إننا لابدّ أن نحسن صورتنا عن أنفسنا أولاً قبل أن نحاول تغيير صورتنا لدى الآخرين ، فسيطرة الشعور بالدونية و العجز قد تكون أقوى العوائق وأشدها دون تغيير الصورة .

١٥- إنه لابدّ من تغيير وجوه كثير من المتحدثين عنا و بلساننا، فرجال كل العصور و المتحدثون في كل الموضوعات هم سبب كثير من كوارثنا ومصائبنا.

• دور وسائل الإعلام في تحسين صورة العرب لدى الغرب:

توجد مجموعة من الاعتبارات التي يجب النظر إليها عند محاولة بحث دور وسائل الإعلام في تغيير صورة العرب في الخارج منها:-

(١) إن و سائل الإعلام هي إحدى وسائل تحسين الصورة العربية فى الخارج ، وقد تكون أقلها شأناً ، فهناك وسائل أخرى أكثر تأثيراً أبرزها وسائل التغيير الداخلية ، ومن ثمّ فلا يجب أن نعوّل عليها كثيرا .

(٢) إن الخطاب الإعلامي يجب أن يخاطب الآخر بمفاهيمه وأدواته ومصطلحاته وبلغته الذي يفهمها، ومن ثمّ فإننا نعجب من هذه الجهود الجبارة التي تحاول تحسين الصورة بلغتنا وبمصطلحاتنا وبطريقة تفكيرنا، وكأن على الآخر أن يتعلم طريقة تفكيرنا حتى يغير صورتنا لديه !!.

(٣) فى إطار استخدامنا لوسائل الإعلام ، يجب أن نتعلم مبادئ التسويق الاجتماعي بأشكاله المختلفة، ففرق كبير بين أن تبيع سلعة للآخرين وأن تبيع لهم مفهوماً أو تستبدله بغيره، إن فن الترويج للذات بأسسه و نظرياته يجب أن يتم هضمه جيداً قبل القيام بأي جهد اتصالي .

(٤) إننا لا يجب أن نلوم و سائل الإعلام الغربية باعتبارها المسئولة عن تشويه صورتنا فى الخارج ، فالشواهد تشير إلى أن صورتنا السلبية لدى الغرب أسبق من تاريخ ظهور هذه الوسائل. كما أن هذه الوسائل الغربية لا تستطيع أن تعكس واقعاً لا يؤمن به جمهورها، ومن ثمّ فهي تعكس توجهات الجمهور أكثر مما تقدم واقعاً جديداً له.

(٥) إنه لابدّ من التخلى عن الأساليب الإعلامية التقليدية والأطر الفكرية الكلاسيكية والاعتبارات البروتوكولية فى تغطية ومعالجة كثير من مشكلاتنا وقضايانا، ولن يحدث ذلك إلا بمزيد من الحرية الإعلامية القائمة على المسئولية الاجتماعية.

*** بعض الأفكار المطروحة لتحسين الصورة العربية فى الخارج**

(١) بث قناة للغرب لطرح الصورة الصحيحة عن العرب والمسلمين

على الرغم من معقولية هذه الفكرة فإن هناك بعض التحفظات عليها :-

- إن كثيراً من الدراسات تشير إلى أن الجمهور الغربى لا يشاهد غير قنواته ، وليس من المتوقع أن يشاهد قناة عربية تتوجه إليه.
- إن تجاربنا السابقة فى مجال توجيه قنوات بغير العربية تشير إلى أننا نتوجه بها إلى الداخل أكثر مما نتوجه بها إلى الخارج.
- إن جودة مضاميننا التليفزيونية وأساليب تقديمها ضعيفة وفقيرة إذا ما قورنت بمثيلتها الغربية ولذا فمن المتوقع أل تجذب انتباه الجمهور الغربى .

(٢) شراء بعض المساحات فى الجرائد والمجلات الغربية

وهى وسيلة قد لا تكون فعالة فى ضوء :-

- ارتفاع أسعار شراء هذه المساحات فى الصحف الغربية
- ميل الجمهور إلى عدم تصديق كثير من المواد الإعلانية
- استغلال هذه المساحات فى الترويج لبعض الانجازات الوهمية لبعض المسئولين العرب وفى تلميع صورهم .

(٣) دعوة الإعلاميين والمفكرين الغربيين لزيارة بلادنا

وفى هذا الإطار يجب ألا تقتصر أجندة الزيارات على وسائل الترفيه المختلفة بل يجب أن تتضمن ندوات ولقاءات فكرية على هامش هذه الزيارات .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }

صدق الله العظيم



أهم
مصادر الكتاب

أولاً: المراجع العربية:-

أ-الرسائل والدراسات غير المنشورة:

-**أشرف أحمد عبد المغيث** (١٩٩٣): دور الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصرى – دراسة تحليلية ميدانية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-**آمال سعيد نور** (١٩٩٣) : صورة للربة إيزيس على التمائم والجعارين المصرية فى قرطاج. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة

اعتماد معوض عوض (١٩٩٥) : صورة الموت فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، دراسة نقدية . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .

-**أيمن منصور ندا** (١٩٩٧): العلاقة بين التعرض للمواد التليفزيونية الأجنبية والاغتراب الثقافى لدى الشباب الجامعى المصرى. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاسرة.

-**إيناس محمد أبو يوسف** (١٩٩٤): صورة العالم الثالث فى الصحافة الأمريكية والمصرية. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-**ثريا أحمد البدوى** (١٩٩٥): دور الاتصال فى تكوين الصورة الذهنية لدى الشعب المصرى عن الأوروبيين. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة

-**حسن عماد مكاوى** (١٩٧٩): تدفق الأفلام الأجنبية فى السينما والتليفزيون فى جمهور مصر العربية – دراسة فى تحليل المضمون لعينة من الأفلام الأجنبية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

حماد إبراهيم حامد (١٩٨٦) : صورة الولايات المتحدة الأمريكية فى الصحافة المصرية اليومية ، دراسة مقارنة بين حقبتى الستينيات والسبعينيات . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام ، قسم الصحافة .

-**حنان محمد إسماعيل يوسف** (١٩٩٦): دور المادة الإخبارية التليفزيونية فى تدعيم مفهوم المشاركة السياسية لدى شباب القاهرة الكبرى. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-**راجية أحمد قنديل** (١٩٨١): صورة إسرائيل فى الصحافة المصرية سنوات ٧٢، ٧٤، ١٩٧٨. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-شادية يوسف علام (١٩٩٣) : صورة الأب لدى أبناء المسجونين (غير الجانحين) وعلاقتها بالبناء النفسى لهم ، دراسة إكلينيكية متعمقة . رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

-صلاح الدين محمد كامل (١٩٧٩): العلاقات العامة والصورة الذهنية لأجهزة المخابرات: مع دراسة تطبيقية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-عدلى سيد رضا (١٩٧٩): تدفق البرامج من الخارج فى تليفزيون جمهورية مصر العربية مع تحليل مضمون بعض المواد الأجنبية فى التليفزيون العربى. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-عصام خلف أحمد (١٩٩٠) : صورة مجنون ليلى بين التراث والمعاصرة . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا .

-عصام هاشم أحمد (١٩٩٠) : صورة السلطة لدى طلاب الجامعة . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس .

-عزة على عزت (١٩٨٨): صورة مجلس التعاون الخليجى فى الصحافة البريطانية فى الفترة من ١٩٧٣-١٩٨١. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

-نادية حسن إبراهيم (١٩٩٤) : صورة مادة الفلسفة عند الطلاب الدارسين لها فى المرحلة الثانوية : دراسة كشفية . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .

-هناء فاروق صالح (١٩٩٩): معالجة صحيفة لوموند الفرنسية لتطورات قضية السلام العربى – الإسرائيلى فى الفترة من ١٩٩١ حتى ١٩٩٦. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

_ منى سعيد الحديدى (١٩٧٧) : دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية فى الفيلم المصرى والآثار الاجتماعية والإعلامية المترتبة على ذلك . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة.

ب- الكتب

-إبراهيم الحيدرى (١٩٩٦): صورة الشرق فى عيون الغرب – دراسة للأطماع الأجنبية فى العالم العربى . بيروت، دار الساقى.

-أسعد رزق (١٩٧٨): موسوعة علم النفس . ط٤، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

-الســيد يس (١٩٩٦): الوعي التاريخي والثورة الكونية: حوار الحضارات في عالم متغير. القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

-الســيد يــس (١٩٩١): الوعي القومي المُحاصر: أزمة الثقافة السياسية العربية . القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

-المــنظمة العربــية للتربية والثقافة والعلوم (١٩٨٨): المعجم العربي الأساسي. باريس، لاروس.

-جيهان رشتى (١٩٩٣): الأسس العلمية لنظريات الإعلام. القاهرة، دار الفكر العربى

-جيهان رشتى (١٩٨٦): الإعلام الدولي . القاهرة، دار الفكر العربى.

-حامد زهران (١٩٨٤): علم النفس الاجتماعي . ط٥، القاهرة، عالم الكتب.

-حسن حنفى (١٩٩١): مقدمة في علم الاستغراب . القاهرة، الدار الفنية.

-حسن حنفى (١٩٩٨): هموم الفكر والوطن: الفكر العربى المعاصر. ج٢، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

-حســن عمــاد مكاوى (١٩٨٩): إنتاج البرامج للراديو: النظرية والتطبيق . القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

-حسن عماد مكاوى (١٩٨٩) : الأخبار في الراديو والتليفزيون . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية.

-حمــدى يــس (١٩٨٦): الشخصــية العربــية بين السلبية والإيجابية – دراسة أمبيريقية سيكلوجية. القاهرة، دار الكتاب للنشر والتوزيع.

-خالد زيادة (١٩٨٣): تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا . بيروت، معهد الإنماء العربى.

-راســم الجمــال (١٩٨٥): دراســات في الإعلام الدولي: مشكلة الاختلال الإخباري. جدة، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

-ســامى الشــريف (١٩٨٩): النشرات الإخبارية في الإذاعات العربية (المحتوى والشكل). القاهرة، دار الوزان للطباعة والنشر.

-ســعيد عــبد الفتاح عاشور (١٩٩٠): الأيوبيون والمماليك في مصر والشام. القاهرة، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع.

-سعيد محمد السيد (١٩٨٨): إنتاج الأخبار في الراديو والتليفزيون. القاهرة، عالم الكتب.

-سوزان القلينى ، هبة السمرى (١٩٩٣): إنتاج البرامج للراديو والتليفزيون. القاهرة، مكتبة الشباب.

-عبد العزيز بن عثمان التويجرى (١٩٩٨): الحوار من أجل التعايش. القاهرة، دار الشروق

-عـبد العظيم رمضان (١٩٨٣): الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية. القاهرة، دار المعارف.

-عـبد القـادر طاش (١٩٨٩): الصورة النمطية للإسلام والعرب فى مرآة الإعلام الغربى. الرياض، شركة الدائرة للإعلام.

-عـبد القـادر طـاش (١٩٩٣) : صورة الإسلام في الإعلام الغربي . القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى.

-عـبد اللطـيف خليفة، شعبان رضوان (١٩٩٨): الشخصية المصرية: الملامح والأبعاد – دراسة سيكولوجية. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

-على عجوة (١٩٨٣): العلاقات العامة والصورة الذهنية. القاهرة، عالم الكتب.

-غازى زين عوض الله (١٩٨٥): العربى فى الصحافة الأمريكية. جدة، مطبوعات تهامة.

-فاروق أبو زيد (١٩٩١): انهيار النظام الإعلامى الدولى. القاهرة، عالم الكتب.

-كرم شلبى (١٩٨٩): معجم المصطلحات الإعلامية. القاهرة، دار الشروق.

-لويس كامل مليكة (محرر) (١٩٨٥): قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-مارلين نصر (١٩٩٥) : صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية . بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية .

-محمـــد عابد الجابرى (١٩٩٥): مشكلة الهوية، العروبة والإسلام والغرب. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية.

-محمـــد عابد الجابرى (١٩٩٧): قضايا فى الفكر المعاصر. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-محمود المقداد (١٩٩٢): تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا. الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٦٧.

-محمود حمدى زقزوق (١٩٩٨): الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى. القاهرة، دار المعارف.

-مصطفى المصمودى (١٩٨٥): النظام الإعلامى الجديد. الكويت، عالم المعرفة، العدد ٩٤.

-منير البعلبكى (١٩٩٢): المورد قاموس إنكليزى – عربى. بيروت، دار العلم للملايين

-نادية سالم (١٩٧٨): صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية. القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية
-نسـمة الـبطريق (١٩٩٥) : نصوص السينما والتليفزيون والمنهج الاجتماعي . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جـ - الدراسات المنشورة:

-السيد يس (١٩٩٧): "حوار الحضارات فى عالم متغير" فى: فخرى لبيب (محرر) صراع الحضارات أم حوار الثقافات- أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات" القاهرة ١٠-١٢ مارس ١٩٩٧. القاهرة، منظمة الشعوب الأفريقية الأسيوية، مطبوعات التضامن (١٧٣).
-السـيد يـس (١٩٩٨):" فـي مفهـوم العولمة" فى: أسامة أمين الخولى (محرر) العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
-إلـياس إدريـس (١٩٩٠): صورة العربى فى الأجهزة السمعية البصرية فى فرنسا. مجلة الوحدة، العدد ٦٦.
-أنطوان المقدسى (١٩٨٣): " الصورة العربية عن الحضارة الأوروبية الغربية والاستجابة لهذه الصورة - عرض تاريخى وتفسير" فى: العلاقات بين الحضارتين العربية والأوروبية - وقائع ندوة همبورج أبريل ١٩٨٣. تونس، الدار التونسية للنشر.
-إيفـون مليكـيات ، حسـين الدرينى (١٩٨٥):" دراسة استطلاعية فى أبعاد تعقد التركيب والاتفـاق فـى التعمـيمات النمطية" فى: لويس كامل مليكة (محرر) قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي. المجلد الرابع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
-أيمـن منصـور نـدا (١٩٩٦): "الاختراق الثقافى عن طريق البث الوافد: دراسة مسحية لأدبـيات الاخـتراق" فى : سعد لبيب (محرر) ندوة "الاختراق الإعلامي للوطن العربي" . القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية.
-أيمـن منصـور نـدا (١٩٩٨): الاغـتراب الـثقافى لدى الشباب العربى. مجلة البحوث والدراسـات العربـية، العدد ٢٩، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية.

-جلال أمين (١٩٩٨): "العولمة والدولة" فى: أسامة الخولى (محرر)العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-جــورج جــبور (١٩٩٧): " الإسلام وأوروبا " فى: العلاقات العربية الأوربية- حاضرها ومســتقبلها، أعمــال المؤتمــر الدولــى الخامس حول العلاقات العربية الأوروبية حاضرها ومستقبلها، بروكسل ١٩٩٧. باريس، مركز الدراسات العربى الأوروبى.

-حمــدى ياســين ، ثناء الضبع (١٩٨٧): "الصورة القومية المتبادلة بين عينتين من الطلبة الســعوديين والمصـــريين" فى: بحوث المؤتمر الثالث لعلم النفس فى مصر. القاهرة، مركز التنمية البشرية والمعلومات.

- سيد عبد العال (١٩٨٨): مقياس القوالب النمطية لصفات المرأة المصرية. القاهرة ، مجلة علم النفس، العدد ٦.

-عــبد الإله بلقزيز (١٩٩٨): " العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة" فى: أســامة الخولى (محرر) العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- فخرى صالح (١٩٩٣): " الاستغراب فى مواجهة الاستشراق" فى: وحدة الثقافة العربية، أبحاث ندوة عمان – الأردن. منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

-فوزية مخلوف (١٩٩٧):" استخدام وإساءة استخدام مصطلح الثقافة فى عملية تشكيل النظام العــالمى الجديــد" فــى: فخرى لبيب (محرر) صراع الحضارات أم حوار الثقافات- أوراق ومداخــلات المؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات ، القاهرة ١٠- ١٢ مارس ١٩٩٧. القاهرة، منظمة الشعوب الأفريقية الأسيوية، مطبوعات التضامن (١٧٣).

-محمد الأطرش (١٩٩٨): " العرب والعولمة: ما العمل؟" فى: أسامة الخولى (محرر) العرب والعولمــة: بحــوث ومناقشــات الــندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-محمد جمال الدين سرور (١٩٨٨): علاقات العرب بالروم فى صدر الإسلام. مجلة التاريخ والمستقبل، جامعة المنيا، كلية الآداب، قسم التاريخ، المجلد (٢)، العدد ٤.

-محمــد عــابد الجابــرى (١٩٩٨): "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات" فى: أسامة الخولــى (محــرر) العــرب والعولمــة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-محمد على العوينى (١٩٩٨): الصور النمطية والسياسة الخارجية العربية. مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٥١.

-مسعود ظاهر (١٩٩٧): " صدام الحضارات كمقولة أيديولوجية لعصر العولمة الأمريكية" فـى: فخرى لبيب (محرر) صراع الحضارات أم حوار الثقافات- أوراق ومداخلات المؤتمر الدولى حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات" القاهرة ١٠- ١٢ مارس ١٩٩٧. القاهرة، منظمة الشعوب الأفريقية الأسيوية، مطبوعات التضامن (١٧٣).

-مصـطفى علـوى (١٩٧٩): " المتناقضات العربية " فى: حامد ربيع (محرر): المضمون السياسى للحوار العربى- الإسرائيلى: المتغيرات. القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية.

-نـادر محمـد عزيزة (١٩٩٧): "الحوار الثقاف والحضارى العربى - الأوروبى: نشأته- حاضره- مستقبله " فى: العلاقات العربية الأوروبية - حاضرها ومستقبلها، :أعمال المؤتمر الدولـى الخـامس حـول العلاقات العربية الأوروبية حاضرها ومستقبلها، بروكسل ١٩٩٧. باريس ، مركز الدراسات العربى الأوروبى.

-ولـيد خـدورى (١٩٧٩): "الـنفط وأجهزة الإعلام الغربية" فى: الإعلام الغربى والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية، لندن. الإمارات، وزارة الإعلام والثقافة.

د- الكتب المترجمة:

-إدوارد سعيد (١٩٩٥): الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء. ط٢، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

-إدوارد سـعيد (١٩٨٣): تغطـية الإسـلام. تـرجمة سمير نعيم خورى، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

-بشارة خضر (١٩٩٣): أوروبا والوطن العربى: القرابة والجوار. ترجمة جوزيف عبد الله. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-بوتومور (١٩٨٣): تمهيد فى علم الاجتماع. ترجمة محمد الجوهرى وآخرون، القاهرة، دار المعارف. ط٦.

-جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (محرران) (١٩٩٨): تراث الإسلام. ج١، ترجمة محمد زهير السمهورى وآخرين، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٢٣٣.

-حلمـى خضـر سارى (١٩٨٨): صورة العرب فى الصحافة البريطانية- دراسة اجتماعية للثبات والتغير فى مجمل الصورة. ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-رجاء جارودى (١٩٩٦): الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. القاهرة، دار الغد العربى.

-رونالد روبرتسون (١٩٩٨): العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية. ترجمة: أحمد محمود ، نورا أمين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، العدد ٧٨.

-سامى مسلم (١٩٨٥): صورة العرب فى صحافة ألمانيا الاتحادية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-سمير أمين (١٩٩١): إمبراطورية الفوضى. ترجمة سناء أبو شقرا، بيروت، دار الفارابى.

-سيمون سيرفاتى (محرر) وسائل الإعلام والسياسة الخارجية. ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

-صامويل هنتنجتون (١٩٩٨): صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمى. ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، القاهرة، سطور.

-فالـير تسيتاين وآخرون (١٩٩١): الاضطراب الكبير. ترجمة عصام خفاجى وأديب نعمة، بيروت، دار الفارابى.

-ميخائيل سليمان (١٩٨٧): صورة العرب فى عقول الأمريكيين. ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

-هربرت شيللر (١٩٩٩): المتلاعبون بالعقول. ترجمة: عبد السلام رضوان، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٢٤٣.

-ميلفين ديفلير ، ساندرا ب. روكيتش(١٩٩٣) : نظريات وسائل الإعلام . ترجمة كمال عبد الرؤوف ، القاهرة ، الدار الدولية للنشر والتوزيع .

هـ – الدراسات المنشورة المترجمة:

-إدمون غريب (١٩٧٩): " الإعلام الأمريكى والعرب " فى: الإعلام الغربى والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية. لندن ١٩٧٩. الإمارات، وزارة الإعلام والثقافة.

-إدوارد سعيد (١٩٧٩): " ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام" فى: الإعلام الغربى والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية. لندن ١٩٧٩. الإمارات، وزارة الإعلام والثقافة.

-أليشيا خواريرو (١٩٩٥): من أصول الحداثة إلى جذور ما بعد الحداثة. اليونسكو، ديوجين، مصباح الفكر، العدد ١٠٧/١٦٣.

-جاك شاهين (١٩٧٩): " وسائل الإعلام الأمريكية والصورة النمطية للعرب " فى: الإعلام الغـــربي والعـــرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية. لندن ١٩٧٩. الإمارات، وزارة الإعلام والثقافة.

-جـــريجورى نوكـــس (١٩٩٥):" ليبيا: قصة حكومة" فى: سيمون سيرفاتى (محرر) وسائل الإعـــلام والسياسة الخارجية. ترجمة محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

- -جـــون والانتشـــى (١٩٩٥): "مسربو الأخبار، الإرهابيون، صانعو السياسة والصحافة " فـــى: سيمون سيرفاتى (محرر) وسائل الإعلام والسياسة الخارجية. ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

-ديفيد جيرجس (١٩٩٥): " الدبلوماسية فى عصر التليفزيون: أخطار ديمقراطية الاتصالات" فـــى: سيمون سيرفاتى (محرر) وسائل الإعلام والسياسة الخارجية. ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

-روبرت أوكلى (١٩٩٥): " الإرهاب: تغطية وسائل الإعلام واستجابة الحكومة" فى: سيمون سيرفاتى (محرر) وسائل الإعلام والسياسة الخارجية. ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

-فرانشيسكو جابريبلى (١٩٩٨): " الإسلام فى عالم البحر المتوسط " فى: جوزيف شاخت ، كلـــيفورد بوزورث (محرران) تراث الإسلام. ج١، ترجمة محمد زهير السمهورى وآخرون، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٢٣٣.

-فرانك جايلز (١٩٧٩): " الصحافة البريطانية والعرب" فى: الإعلام الغربي والعرب: أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية. لندن ١٩٧٩. الإمارات، وزارة الإعلام والثقافة.

-كلوديـــا بكمان (١٩٩٧): "الفردية والمجتمعية أهما يتناقضان أم يتكاملان ؟ نماذج تاريخية لحـــوار ثقـــافى" فـــى: فخـــرى لبيب (محرر) صراع الحضارات أم حوار الثقافات- أوراق ومداخـــلات المؤتمـــر الدولي حول "صراع الحضارات أم حوار الثقافات" القاهرة ١٠- ١٢ مارس. القاهرة، منظمة تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية، مطبوعات التضامن (١٧٣).

-مكسيـــم رودنسون (١٩٩٨): "الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية" فى: جوزيف شـــاخت ، كليفورد بوزورث (محرران) تراث الإسلام، ج١، ترجمة محمد زهير السمهورى وآخرون، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٢٣٣

ثانياً- المراجع الأجنبية:-

أ- الكتب:

-Adorno, W. et al (1950): The Authoritarian Personality. New York, Harper & Row.

-Albig, W. (1939): Public Opinion. London, McGraw- Hill Book Company, Inc.

-Alston, W. & Brandt, R. (Eds.) (1974): The Problems of philosophy. 2nd ed., Boston, Allyn & Bacon.

-Austin, W. & Worchel, S. (Eds.) (1982): The Social Psychology of Intergroup Relations. Belmot CA, Wadsworth.

-Baren, S. & Davis, D. (1995): Mass Communication Theory: Foundations, Ferment and Future. California, Belmont, Wadsworth Publishing Company.

-Bar-Tal, D. et al (Eds.) (1989): Stereotyping and Prejudice: Changing Conceptions. New York, Springer - verlag Inc.

-Bennett, l. (1996): News: The politics of Illusion. New York, Longman publishers.

-Boorstin, D. (1964) : The Image: A Guide to Pseudo-Events in America. New York, Harper Colophon Books.

-Boulding, K. (1956): The Image. New York, Vail- Ballou press inc.

-Bowes, P. et al (1994): Stereotyping and Social Reality. MA, Basil Blackwell.

-Brown, R. (1995): Prejudice, Its Social Psychology. Oxford & Cambridge Blackwell.

-Schramm, W. (Ed.) (1954) : The process and Effect Of Mass Communication, Urbane, University of Illinois press.

-Cohen, B. (1967): The press and Foreign policy. Princeton, New Jersey, Princeston press.

-Curtiss, R.M. (1986): A Changing Image: American perceptions of The Arab Israeli Dispute. Washington, D.C., American Educational trust.

-De Fleur, M. & Rokeach, S. (1989): Theories of Mass Communication. 4th ed., New York, Longman.

-Dominick, J. (1990): The Dynamics of Mass Communication. 3rd ed., McGraw Hill Inc.

-Ehrenberg, A. & Pyatt, F. (Eds.) (1971): Consumer Behavior: Selected Reading. New York.

-Faules, D. & Alexander, D. (1978): Communication and Social Behavior: A Symbolic Interaction perspective. Reading, Ma, Addison Wesley.

-Fisher, D. & Merril, J. (Eds.) (1976): International and Intercultural Communication. New York, Hasting House Publisher.

-Fishman, M. (1980): Manufacturing The News. Sustin, University of Texas press.

-Forrell, J. & Smith, A. (Eds.) (1967): Image and Reality in World Politics. New York, Columbia University Press.

-Griffin, Em. (1994): First Look At Communication Theory. 2nd ed., McGraw Hill Inc.

-Gudy Kunst, W. & Kim, Y. (1992): Communicating with strangers: An Approach to Intercultural with Communication. New York, McGraw Hill Inc.

-Hamid Mowlana et al. (Eds.) (1992): The Triumph Of The Image: The Media's War In The Persian Gulf, A Global perspective. San Francisco, Oxford: West view press.

-Hartley, (1992): The Politics of Pictures: The Creation Of The public in The Age Of Popular Media. London, Routledge.

-Hartman, C. & Vilanova, P. (Eds.) (1992): Paradigms Lost, The Post Cold War Era. London, Plato press.

-Horowitz, M. (1978): Image Formation and Cognition. 2nd ed., New York, Appleton Century Crafts.

-Issam Sulieman Mousa (1984): The Arab Image in the U.S. Press. New York, Peter Lang.

-Jack Shaheen (1984): The TV. Arab. Bowling Green, Bowling Green State, University popular press.

-Kelman, H. (Ed.) (1965): International Behavior: A Socio-Psychological Analysis. New York, Holt, Rinehart and Winston.

-Lee, Y. et al, (Eds.) (1995) : Stereotype Accuracy: Toward Appreciating Group Differences. New York, American Psychological Association.

-Lexican Universal Encyclopaedia (1988): Image and Imagery. No. 11, New York, Lexicon publication Inc.

-Lippmann, W. (1922): Public Opinion. New York, Free Press.

-Lippmann, W. (1991): Public Opinion: With New Introduction By Michael Curtis, London, Transaction Publishers.

-McCarus, E (Ed.) (1997): The Development of Arab American Identity. 4th ed. Ann Arbor: The University of Michigan press.

-McQuail, D. (1983): Mass Communication Theory: An Introduction. London, SAGe Publications.

-McQuail, D. & Windahl, S. (1993): Communication Models For The Study Of Mass Communication. 2nd ed. London, Longman.

-Medhurst, M.J. & Benson, T W. (Eds.) (1991): Rhetorical Dimensions in Media. Dubuque, IA, Kendall Hunt.

-Miller, A. (Ed.) (1982) : In the Eye of the Beholder: Contemporary Issues in Stereotypes . New York, praeger Special Studies.

-Molefi, & Gudy Kunst, W. (Eds.) (1989): Handbook of International and Intercultural Communication. London, Sage publications Inc.

-Oakes, P. et al. (1994): Stereotyping and Social Reality. Cambridge, MA Basil Blackwell.

-Parenti, M. (1986): Inventing Reality, The politics of The Mass Media. New York, St. Martin's press.

-Pieterse, N. (1992): White On Black: Images of Africa and Blacks in Western Popular Culture. New Haven and London, Yale University Press.

-Richard Davis (1996) : The press and American Politics: The New Mediator. New Jersey, Prestiee Hall.

-Rosenau, J. (Ed.) (1969): International Politics and Foreign Policy. The Free press of Glenco Inc.

-Sari Nasir (1976): The Arabs and the English. London: Longman.

-Scott, A. (1967): The Functioning of International Political System . New York, Macmillan Company.

-Smith, P. & Band, M. (1998): Social Psychology Across Cultures, 2nd ed., London, Prentice Hall Europe.

-Spears, R. et al (Eds.) (1997) : The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Combridge, Blackwell Publishers, Inc.

-Wimmer, R. & Dominick, J. (1991): Mass Media Research: An Introduction. California, Belmont, Wadsworth publishing Company.

-Yahia Kamalipour (Ed.) (1999): Images of the U.S. Around the World: A Multicultural perspective. State University of New York Press.

-Yahia Kamalipour (Ed.) (1997): The U.S. Media and the Middle East: Image and Perception. London, Westport, Connecticut, praeger.

-Young, K. (1957): Handbook of Social Psychology. London, Routledge & Kegan paul LTD.

ب- الدراسات المنشورة:

-Antz, W. Lee & pollock, M. (1997): "Limiting the Opinions: Anti-Arab Images in U.S. Media Coverage of the Persian Gulf Crisis" In: Yahia R. Kamalipour (Ed.) The U.S. Media and The Middle East: Image and perception. London: West port, Connecticut. Praeger .

-Ayad Al Qazzaz (1983):" Image Formation and Textbooks" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision: The portrayal of Arabs in The American Media. Washington, D.C., The American - Arab Affairs Council.

-Bar-Tal, D. (1989):"Delegitimization: The Extreme Case Of Stereotyping and prejudice" In: Bar-Tal, D. et al. (Eds.) Stereotyping and prejudice: Changing Conceptions. London - Paris. Sssp.

-Bar-Tal, D. (1988):" Delegitimizing Relations Between Israeli Jews and Palestinians: A Social psychological Analysis" In: Hoffman, J. & Mari, S. (Eds.) Arab- Jewish Relations, Bristol, wyndhanall Hall.

-Biernat, M. & Manis, M. (1994): Shifting Standards and Stereotype - Based Judgments. Journal of personality and Social Psychology, Vol. 66.

-Bo Reimer & Rosengren, K. (1990): "Cultivated Viewers and Readers: A Life Style perspective" In: Signorielli, N. & Morgan, M. (Eds.) Cultivation Analysis: New Direction of Media Effects Research. London: SAGe Publications.

-Boulding, K. (1967):"The learning and Reality. Testing process in the International System" In: Farell, J. & Smith, A. (Eds.) Image and Reality in World politics. New York, Columbia University Press.

-Boulding, K. (1969):" National Images and International System" In: Rosenau, J. (Ed.) International Politics and Foreign policy. 2nd ed., New York: The Free Press of Jlenco, Inc.

-Bowes, J. (1977): Stereotyping and Communication Accuracy. Journalism Quarterly, Vol. 55, No. 1.

-Brigham, J. (1971): Ethnic Stereotype. Psychological Bulletin, Vol. 76.

-Bryant, J. & Carveth, R. & Brown, D. (1981): Television Viewing and Anxiety: An Experimental Examination. Journal of Communication, vol. 31, No.1.

-Buchanan, W. & Cantril, H. (1954): "National Stereotypes" in: Schramm, W. (Ed.) The process and Effect Of Mass Communication. Urbane: University of Illinois press.

-Campbell, D. (1967): Stereotypes and the perception of Group Differences. American Psychologist, vol. 22.

-Candry, S. & Ross, D. (1985): Sex and Agg ession: The Influence of Gender Label of the perception of Aggression in Children. Child Development, Vol. 56.

-Chapman, L. (1967) : Illusory Correlation in Observational Repot. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior, Vol. 6.

-Chomsky, N. (1992): The Media and The War: What War? In: Hamid Mowlana et al. (Eds.) The Triumph of the Image: The Media's war in the Persian Gulf, A Global Perspective. San Francisco, Oxford, West View Press.

-Damon, G. & Michal, L. (1983): "A Survey of Political Cartoons Dealing with The Middle East" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision: The portrayal of Arabs In The American Media. Washington, D.C., The American- Arab Affairs Council.

-Desousa, M.A. (1991) :" Symbolic Action and pretended Insight: The Ayatallah Khomeini in U.S. Cartoons" In: Medhurst, M. J. & Benson, T. W. (Eds.) Rhetorical Dimensions in Media. Dubuque, IA, Kendall Hunt.

-Eagly, A. & Mladinic, A. (1989): Gender Stereotype and Attitudes Toward Men and Women. Personality and Social Psychology Bulletin, vol. 15.

-Ellemers, N. & Knippenberg, A. (1997) :" Stereotyping in Social Context" in Spears, R. et al. (Eds.) The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackuell Publishers.

-Fishman, J. (1956): An Examination Of The Process and Function Of Social Stereotyping. Journal of social psychology, Vol. 43.

-Fuller, L. (1997): "Hollywood Holding U.S. Mostage: or Why Are Terrorists in The Movies Middle Easterners ?" in: Yahia Kamalipour (Ed.) The U.S. Media and the Middle East: Image and Perception. London: Westport, Connecticut, praeger.

-Gerbner, G. (1992):" Persian Gulf War: The Movie" In: Hamid Mowlana et al. (Eds.) The Triumph of the Image: The Media's War in the Persian Gulf, A Global Perspective. San Francisco, Oxford: West View Press.

-Gerhard, M. (1976):" Intercultural and International Communication" In: Fisher, D. & Merrill, J. (Eds.) International and Intercultural Communication. New York: Hasting House publisher.

-Gudy Kunst, W. et al. (1989):" Language and Intergroup Communication" In: Molefi, A. & Gudy Kunst, W. (Eds.) Handbook of International and Intercultural Communication. London, Sage Publications Inc.

-Hamid Mowlana (1999): "Roots of War: The Long Road of Intervention" In: Hamid Mowlana et al. (Eds.) The Triumph of The Image: The Media's War in the Persian Gulf, A Global perspective. San Francisco, Oxford, West View Press.

-Hamilton, D. & Grifford, R. (1976) Illusory Correlation in Interpersonal Perception: A Cognitive Basis of Stereotypic Judgments. Journal of Experimental Social Psychalogy, Vol. 12.

-Hamilton, D. & Sherman, S. (1989):" Illusory Correlation: Implications For Stereotype Theory and Research" In: Bar. Tal, D. et al (Eds.) Stereotyping and prejudice: Changing Conceptions. New York, Springer- Verlag Inc.

-Hamilton, D. & Trolier, T. (1986) : "Stereotypes and Stereotyping: An Overview Of the Cognitive Approach" In: Dovidio, J. & Gaertiner, S. (Eds.) Prejudice, Discrimination and Racism. Ortando, Fl. Acadenic Press.

-Haslam, A. (1997): "Stereotyping and social Influence: Foundations Of Stereotype Consensus" In: Spears, R. et al, (Eds.) The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackwell Publishers Inc.

-Hewstone, M. & Brown, R. (1986) : "Contact is not Enough" in Hewstone, M. & Brown, R. (Eds.) Contact and Conflict in Intergroup Encounters. Oxford, Blackwell.

-Hoffmann, S. (1967): "Perceptions, Reality and the Franco American conflict" In: Farell, J. & Smith, A. (Eds.) Image and Reality in world politics. New York, Columbia university press.

-Holsti, O. (1969): "The Belief System and National Image: A Case Study" In: Rosenau, J. (Ed.) International Politics and Foreign Policy. 2nd ed., The Free Press of Glenco Inc.

-Jack Shaheen (1983):" The Image of The Arab on American Television" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split vision: The portrayal of Arabs in the American Media. Washington, D.C., The American-Arab Affairs Council.

-Judd, M. & Park, B. (1993): Definition and Assessment of Accuracy in Social Stereotype. Psychological Review, Vol. 100.

-Jussim, L. (1991): Social perception and Social Reality: A Reflection - Construction Model. Psychological Review, vol. 98.

-Jussim, Lee et al (1995): "Why Study Stereotype Accuracy and Inaccuracy" in: Lee Y. et al. (Eds.) Stereotype Accuracy: Toward Appreciating Group Differences, New York, American Psychological Association.

-Kang, J. & Morgan, M. (1988): Culture Clash, Impact of U.S. Television in Korea. Journalism Quarterly. Vol. 65, N. 2.

-Katz, D. & Braly, K. (1933): Racial Stereotypes In One Hundred College Students. Journal of Abnormal and Social psychology, Vol. 28.

-Laid Zaghlami (1999):" Mass Media and the U.S. Image: An Algerian perspective" In: Yahia Kamalipour (Ed.) Images of the U.S. Around The World: A Multicultural perspectives. State University of New York Press.

-Lang, K. (1947): Images of Society: Media Research in Germany, Public Opinion Quarterly, Vol. 38, No. 4.

-Lendenmann, N. (1983):" Arab Stereotyping in Contemporary American Political Cartoons" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision: The Portrayal Of Arabs In The American Media. Washington, D.C., The American- Arab Affairs Council.

-Locksley, A. et al. (1980): sex stereotypes and social Judgment. Journal of personality and social psychology, vol. 39.

-Mace, A. (1943): National Stereotypes - Their Nature and Function. The Sociological Review (January - April).

-Mahboub Hashem (1997):" Coverage of Arabs in Two Leading U.S. News Magazines Coverage" In: Yahia Kamalipour (Ed.) The U.S. Media and the Middle East: Image and Perception. London, Westport, Connecticut, praeger.

-Martin, C. (1987): A Ratio Measure of Sex Stereotyping. Journal of personality and social psychology, vol. 52

-Mc Garty, C. & De La Haye, A. (1997) : "Stereotype Formation: Beyond Illusory Correlation" In: Spears, R. et al. (Eds.) The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackwell Publish Inc.

-McCauley, R. & Thangavelu, K. (1991): Individual Differences in Sex Stereotyping Of Occupations and Personality. Social Psychology Quarterly, vol. 54.

-McDavid, M. (1983):" Media Myths of The Middle East: The U.S. press on The War of Lebanon" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision: The Portrayal of Arabs in The American media. Washington, D.C., The American- Arab Affairs Council.

-Merill, J. (1962): The Image of the United States in Ten Mexican Dailies. Journalism Quarterly, Vol. 30, No. 2

-Miller, A. (1982): "Stereotyping: Further Perspectives and Conclusions"In: Miller, A. (Ed.) In The Eye of The Beholder: Contemporary Issues in Stereotyping. New York, praeger Publishers.

-Miller, A. (1982): Historical and Contemporary Perspectives on Stereotypingin" Miller, A. (Ed.) In The Eye of the Beholder: Contemporary Issues in Stereotyping. New York, praeger publishers.

-Morgan, M. (1986): Television and the Erosion of Regional Diversity. Journal of Broadcasting and Electronic Media, vol. 30, No. 2.

-Niebuhr, R. (1967): "The Social Myths in the "Cold War" In: Farell, J. & Smith, A. (Eds.) Image and Reality in World Politics. New York, Columbia University Press.

-North, R. (1967):" perception and action in the 1914 Crisis" In: Farrell, J. & Smith, A. (Eds.) Image and Reality in world politics. New York, Columbia University Press.

-Oakes, P. & Reynolds, K. (1997) :" Asking The Accuracy Question: Is Measurement The Answer?" .in: Spears, R. et al. (Eds.) The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackwell Publishers Inc.

-Ottati, V. & Lee, Y. (1995): "Accuracy: A Neglected Component of Stereotype Research" In: Lee, Y. et al. (Eds.) Stereotype Accuracy: Toward Appreciating Group Differences. New York, American Psychological Association.

Ottosen, R. (1992): "Truth, The First Victim of War"In: Hamid Mowlana et al. (Eds.) The Triumph of the Image: The Media's War in the persian Gulf, A Global perspective. San Francisco, oxford: West View Press.

Palmer, A. (1997): "The Arab Image in Newspaper Political Cartoons" In: Yahia Kamalipour (Ed.) The U.S. Media and The Middle East: Image and Perception. London, Westport, Connecticut, Praeger.

-Patricia, A. Karl (1983) :"In The Middle Of The Middle East, The Media and U.S. Foreign Policy" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision. Washington. D.C., The American - Arab Affairs Council.

-Potter, J. (1988): Perceived Reality in Television Effects Research. Journal of Broadcasting and Electronic Media Vol.. 32 N1.

Reicher, S. et al (1997):"Stereotype Construction as a Strategy Of Influence" In: Spears, R. et al. (Eds.) The Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackwell Publishers Inc.

Robertson, R. (1992):" Globality, Global Culture and Images of World Order" In: Kamp, H. M. & Smelser, N.H. (Eds.) Social Change and Modernity. Berkeley: University of California Press.

-Rudmin, W. (1989) The pleasure of Serendipity in historical research: on finding Stereotype in Morier's (1824) Hajji Baba. Cross Cultural Psychology Bulletin, vol. 23.

-Russell, B. (1974): "A Skeptical View of Mysticism" In: Alston, W. & Brandt, R. (Eds.) The Problems Of Philosophy. Boston, Allyn & Bacon.

-Sabin, H. (1992): "The War Close To Home: The Turkish Media" In: Hamid Mowlana et al. (Eds.) The Triumph Of The Image: The

Media's War In The Persian Gulf, A Global Perspective. San Francisco, Oxford: West View Press.

-Samir Ahmed Jarrar (1983):"The Treatment of Arabs in U.S. Social Studies Textbooks: Research Findings and Recommendations" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision: The Portrayal of Arabs in The American Media. Washington, D.C., The American- Arab Affairs Council.

-Schwartz, B. (1967): "The Maoist Image Of World Order" In: Farrell, J. & Smith, A. (Eds.) Image and Reality in World Politics. New York: Columbia University press.

-Schwartz, S. & Struch, N. (1989) : "Values, Stereotypes and Intergroup Antagonism" In: Bar-Tal, D. et al. (Eds.) Stereotyping and prejudice: Changing conceptions. New York, Springer verlag Inc.

-Schiller, H. (1992): "Manipulating Hearts and Minds" In: Hamid Mowlana et al. (Eds.) The Triumph Of The Image: The Media's War In The Persian Gulf, A Global Perspective. San Francisco, Oxford: West View Press.

-Signorielli, N. (1990): "Television's Mean and Dangerous World: A Continuation Of The Cultural Indicators Perspective" In: Signorielli, N. & Morgan, M. (Eds.) Cultivation Analysis: New Direction of Media Effects Research. London: SAGe Publications.

-Slater, D. & Elliot, W. (1982): Television Influence on social Reality. Quarterly Journal of Speech, vol. 68.

-Stangor, C. (1995): "Content and Application Inaccuracy in Social Stereotyping" In: Lee, Y. et al. (Eds.) Stereotype Accuracy: Toward Appreciating Group Differences . New York, American Psychological Association.

-Stephan, W. (1989) : "A Cognitive Approach to Stereotyping" In: Bar- Tel,D. et al. (Eds.) Stereotyping and Prejudice: Changing Conceptions. New York, Springer- Verlag Inc.
-Stephan, W. & Rosenfield, D. (1982):" Racial and Ethnic Stereotypes" In: Miller, A. (Ed.) In The Eye of The Beholder: Contemporary Issues in Stereotypes. New York, praeger Special Studies.
-Stockton, R. (1997):" Ethnic Archetypes and the Arab Image" In: Ernest McCarus (Ed.) The Development of Arab American Identity. Ann Arbor, The University of Michigan press, 4th ed.
-Stroebe, W. & Insko, C. (1989): " Stereotype, prejudice and Discrimination: Changing Conceptions in Theory and Research" In: Bar-Tal, D. et al. (Eds.) Stereotyping and prejudice: Changing Conceptions. New York, Springer verlag Inc.
-Suleiman, M. (1983):" The Effect of American Perceptions of Arabs on Middle East Issues" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision. Washington D.C., American Arab Affairs Council.
-Tajfel, H. (1969): Cognitive Aspects of Prejudice. Journal of Social Issues,
Vol. 25.
-Tajfel, H. & Turner, J. (1982): "The Social Identity Theory of Intergroup Behavior" In: Austin, W.G. & Worchel, S. (Eds.) The Social Psychology of Intergroup Relations. Belmot CA, Wadsworth.
-Tan, A., Tan, G. & Tan, A. (1987): American TV. In the Philippines: A Test Of Cultural Impact. Journalism Quarterly. Vol. 64, N.1.
-Terry, J. (1983): " Images of the Middle East in Contemporary Fiction" In: Edmund Ghareeb (Ed.) Split Vision: The Portrayal of

Arabs in the American Media. Washington, D.C., The American-Arab Affairs Council.

-Timothy, J. (1971):"Brand Image" In: Ehrenberg, A. & pyatt, F. (Eds.) Consumer Behavior: Selected Reading. New York.

-Triandis, H. & Vassiliou, V. (1967):" Frequency of Contact and Stereotyping" Journal of personality and social psychology, Vol. 7.

-Tversky, A.Q. & Kahneman, D. (1971):" Belief In The law Of Small Numbers" Psychological Bulletin, vol. 2.

-Vinacke, W. (1956): Exploration In The Dynamic Process of Stereotyping. Journal of Social psychology, Vol. 43.

-Weimann, G. (1984): Image of life in America: The Impact of American TV. In Israel. International Journal of Intercultural Relations. Vol. 8.

-White, R. (1967):"Misperception of Aggression in Vietnam" In Farrell, J. & Smith, A. (Eds.) Image and Reality in World Politics. New York, Columbia University Press.

-Wilkins, K. (1997): "Middle Eastern Women in Western Eyes: A Study of U.S. Press Photographs of Middle Eastern Women" In Yahya Kamalipour (Ed.) The U.S. Media and The Middle East: Image and Perception. London: Westport, Connecticut, Praeger.

-Wright, Charles (1960): Functional Analysis of Mass Communication. Public Opinion Quarterly, Vol. 24.

-Yzerbyt, V. et al (1997): "Stereotypes as Explanations: A Subjective Essentialistic View of Group Perception" In: Spears, R. et al (Eds.) the Social Psychology of Stereotyping and Group Life. Cambridge, Blackwell Publishers Inc.

-Zaharna, R.S. (1997): "The Palestinian Leadership and the American Media: Changing Images; conflicting Results" In: Yahia

Kamalipour (Ed.) The U.S. Media and the Middle East: Image and Perception. London, Westport, Connecticut, Praeger.

ج- الدراسات غير المنشورة:

-Magda Ahmad Baganid (1982): U.S. Television Networks' coverage of Sadat's peace Initiative. Ph.D. dissertation, Faculty of Mass Communication, Cairo University.

-Sonia Guirguis (1988): The Image of Egypt in the New York Times 1956-1979. Ph.D. dissertation , School of Education , Nursing and Arts Professions , New York Univ.

-Steinbach, U. (1998): The Perception of Islam in the Media and Public in Germany. In: The Sixth International Conference on Euro-Arab Media, Dialogue For The Future , 23-25 Feb. 1998. Bahrain , Manama.

-Townsend , C. (1998) :" Media Coverage Of Arabs In Europe " in : The Sixth International Conference on Euro-Arab Media, Dialogue For The Future , 23-25 Feb. 1998. Bahrain , Manama.

الصور الذهنية والإعلامية

عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير

تــأليــف :

د . أيمن منصور نــدا

الغلاف والاشراف الفنى :

وائـــل حســـان

الطبعة الأولى

٢٠٠٤

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٣٥٨٩ / ٢٠٠٤

المدينة برس

طباعة - نشر - تسويق إعلامي



١٠ شارع النورس ـ التعاون ـ الهرم

ص.ب : ٦٩ الهرم تليفاكس : ٧٤٠٥٠٥٧

محمول : ٠١٠/٥٤٧٥٧٤٧ ـ ٠١٠/١٤٨٥٤٤١

Email:madenapress@hotmail.com

مختصر السيرة الذاتية للمؤلف :



الدكتور / أيمن منصور ندا

المدرس بكلية الإعلام ـ قسم الإذاعة والتليفزيون

جامعة القاهرة

- ولد بمحافظة كفر الشيخ فى مارس ١٩٧٢ .
- حصل على بكالوريوس الإعلام من قسم الإذاعة والتليفزيون بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف فى مايو ١٩٩٤ .
- حصل على درجة الماجستير فى الإعلام الدولى بتقدير ممتاز فى مايو ١٩٩٧ .
- حصل على درجة الدكتوراه فى الإعلام الدولى بمرتبة الشرف الأولى فى يناير ٢٠٠١.
- له العديد من الكتب والمؤلفات المنشورة .

١) دراسات فى نظريات الرأى العام .

٢) التليفزيون المدفوع .. الواقع والمستقبل .

- له العديد من الدراسات والأبحاث المنشورة

١) نظرية تأثرية الآخرين فى دراسات الرأى العام : أسسها النظرية وبعض تطبيقاتها فى المجتمع المصرى .

٢) وسائل الإعلام وعلاقتها بظاهرة توهم المعرفة فى استطلاعات الرأى العام فى مصر.

٣) الدراسات الإعلامية فى معهد البحوث والدراسات العربية : دراسة ببليوجرافية .

٤) صـورة الأنـا والآخـر فى الصحافة المصرية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر : دراسة تحليلية مقارنة .

٥) الصورة الإعلامية والقرارات السياسية : التكوين والعلاقات المتبادلة .

٦) الاختراق الثقافى لدى الشباب العربى : أسبابه ومظاهره ومنهجية قياسه .

٧) الاختراق الثقافى عن طريق البث الوافد : دراسة مسحية لأدبيات الاختراق .

٨) وسـائل الإعـلام والإنترنـت والأمن النفسى والإجتماعى للمواطن المصرى " الأدوار والعلاقات المتبادلة " .

Aymannada@art.com.eg

Aymannada2@hotmail.com